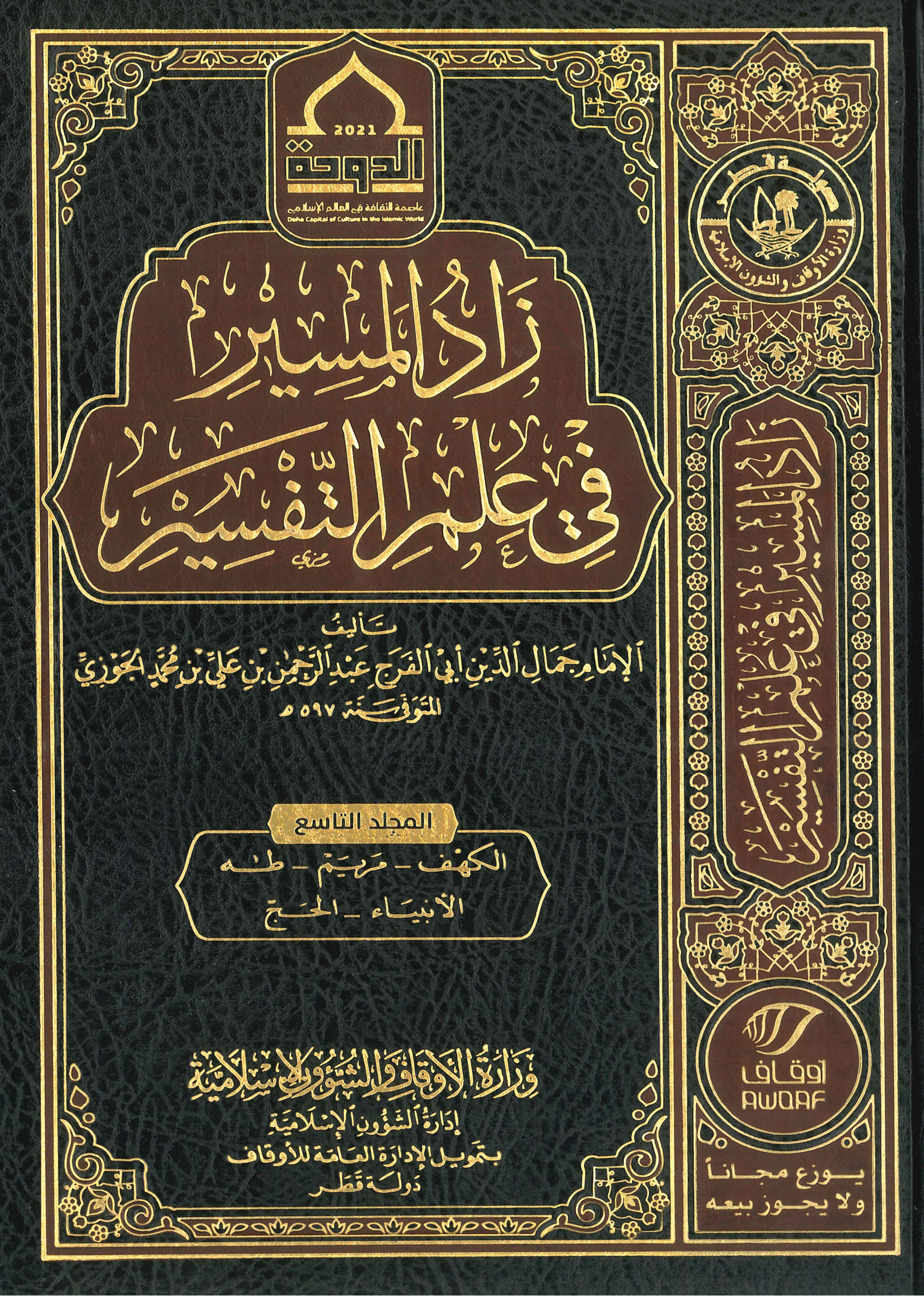

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد التاسع
الكهف - مريم - طه
الأنبياء - الحج
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
زاد المسير في علم التفسير
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٩

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com







زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد التاسع

الكهف - الحج

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

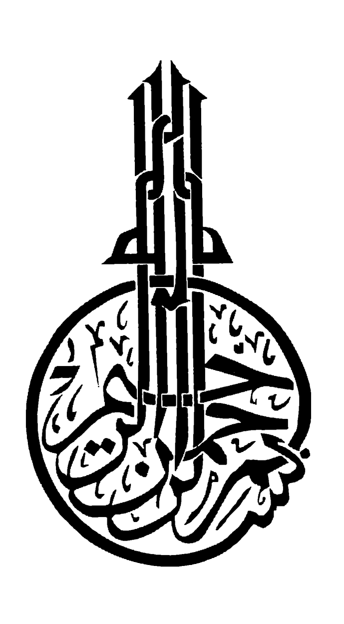
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم



سورة الكهف

فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ أنَّ سورةَ الكهفِ مكِّيَّةٌ، وكذلك قال الحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ،(١) وهذا إجماعُ المفسِّرين من غيرِ خلافٍ نعلمه، إلَّا أنَّه قد روي عن ابنِ عبَّاسٍ، وقتادةَ أنَّ فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال مُقاتلٌ: من أوَّلها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] مدنيٌّ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ١٠٨،١٠٧] الآيتان مدنية، وباقيها مكيٌّ(٢). [٤٩١/ ب]

وروى أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ، وَمَنْ حَفِظَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧١)، وابن جرير الطبري (١٥/ ١٤٠)، والوسيط (٣/ ١٣٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٩٤)، والبحر المحيط (٧/ ١٣٤)، وقال ابن عطية: هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السور نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، والأول أصح.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧١).

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٤٥)، وأحمد (٣٦/ ٤٣)، ومسلم (٨٠٩)، وأبو داود (٤٣٢٣)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢١٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢١٩) بلفظ: «**مَنْ حَفِظَ عَشَرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ لَمْ يَضُرَّهُ**»، وزاد أبو=

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ١-٦].

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قد شرحناه في أوَّل الفاتحةِ[١]، والمرادُ بعبدِهِ هاهنا: محمَّدٌ ﷺ، وبالكتابِ: القُرآن، تمدَّح بإنزالِهِ، لأنَّه إنْعَامٌ على الرَّسُولِ خاصَّة، وعلى النَّاسِ عامَّة.

قال العلماءُ باللُّغة والتَّفسير: في هذه الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُها: أنزل على عبدِهِ الكتاب.

﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا عدلًا.

وقرأ أبو رجاءٍ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ يعمر، والنَّخعيُّ، والأعمشُ: «قِيَمًا» بكسر القاف، وفتح الياء[٢]،وقد فسرناها في الأنعام[٣].

=عبيد: «وَمَنْ حَفِظَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) انظر: تفسير سورة الفاتحة الآية رقم (١).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٤٧)، والحجة (٣/ ٤٣٩)، والتيسير (ص: ١٠٨)، والمبسوط (١/ ٢٠٥)، والكامل في القراءات (١/ ٥٨٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم: (١٦١).

قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافًا، وقد سبق بيان العوج في آل عمران[١].

قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: عذابًا شديدًا، ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، ومن قبله، والمعنى: لينذر الكافرين ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بأنَّ لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾وهو الجنة.

﴿مَّٰكِثِينَ﴾ أي:مقيمين، وهو منصوب على الحال.

﴿وَيُنذِرَ﴾ بعذاب الله ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهود حين قالوا: عُزيرٌ ابن الله، والنصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون حين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلك القولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ ؛لأنَّهم قالوا: أفترى على الله، ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿كَبُرَتْ﴾ أي: عظمت ﴿كَلِمَةً﴾ الجمهورُ على النَّصبِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، ومجاهدٌ، وأبو رَزِينٍ، وأبو رجاءٍ، ويحيى بنُ يعمرَ، وابنُ مُحيصنٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «كَلِمَةٌ» بالرَّفعِ[٢].

قال الفَرَّاءُ: من نصب أضمرَ: كبرت تِلْكَ الكلمةُ كلمة، ومن رفع لم يضمر شيئًا، كما تَقُولُ: عَظُمَ قَوْلُكَ[٣].

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم: (٩٩).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨١) قراءة الحسن، وعيسى، وفي التحصيل (٤/ ١٧٢) قراءة ابن محيصن، والحسن، وانظر: الكامل في القراءات العشر (١/ ٥٩٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٤).



وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ نصب، فالمعنى: كبرت مقالتُهم: اتَّخذ الله ولدًا كلمة، فكَلِمَةً منصوبٌ على التَّمييز، ومَن رفع، فالمعنى: عظُمت كَلِمَةٌ هي قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[1].

قوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: إنَّها قَولٌ بالْفَم لا صحَّةَ لها، ولا دليل عليها، ﴿إِن يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾.

ثم عاتبهُ على حزنِهِ لفوتِ ما كان يرجو من إسلامِهم، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو الجوزاءِ، وقتادةُ: «بَاخِعُ نَّفْسِكَ» بكسرِ السِّينِ، على الإضافةِ[2].

قال المفسِّرون واللُّغويون: فلعلَّك مهلكٌ نفسَك، وقاتلٌ نفسَك، وأنشد أبو عُبَيْدَةَ لِذِي الرُّمَّةِ[3] [من الطويل]:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ   لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

أي: نحته.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٨).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٣٩).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٣٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٣)، وشرح المفصل(٢/ ٧)، ولسان العرب (٨/ ٥)، والمقاصد النحوية (٤/ ٢١٧)، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب (١/ ٤٧٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٥٣)، ولسان العرب (١٥/ ٣١٢) (نحا)، والمقتضب (٤/ ٢٥٩).

فإن قيل: كيف قال: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ والغالبُ عليها الشَّك، والله عالمٌ بالأشياءِ قبل كونها؟

فالجواب: أنَّها ليست بشكٍّ، إنَّما هي مقدَّرةٌ تقدير الاِستفهامِ الَّذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتلٌ نفسَك؟ لا ينبغي أَنْ يطولَ أساكَ على إعراضهم، فإِنَّ مَنْ حكمنَا عليه بالشّقوةِ لا تُجدي عليه الحسرة، [٤٩٢/أ] ذكره ابنُ الأَنْبارِيِّ.

قوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي: من بعدِ تولِّيهم عنك ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن.

﴿أَسَفًا﴾ **وفيه أربعةُ أقوالٍ**:

أحدها: حزنًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وابْنُ قُتَيْبَةَ[١].

والثاني: جَزَعًا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: غَضَبًا، قاله قتادةُ.

والرابع: نَدمًا، قاله السُّدِّيُّ.

وقال أبو عُبَيْدَةَ: ندمًا وتلهفًا وأسىً[٢].

قال الزَّجَّاجُ: الْأَسَفُ: المبالغةُ في الحزنِ، أو الغضبِ، يقال: أَسِفَ الرَّجل فهو أسيفٌ، قال الشاعر[٣] [من الطويل]:

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٣).

(٣) البيت للأعشي في ديوانه (ص: ١٦٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٢٩١)، وشرح شواهد=



أَرَى رَجُلًا مِنهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

وهـذه الآيـةُ تشـيرُ إلى نهـي رسـولِ الله ﷺ عـن كثـرةِ الحـرصِ عـلى إيـمان قومِـهِ لئـلَّا يـؤدِّي ذلـك إلى هـلاك نفسِـهِ بالأسـفِ.

قولـه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[الكهـف: ٧-٨].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم الرِّجال، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثـاني: العلـماءُ، رواه مجاهـدٌ، عـن ابـنِ عبَّـاسٍ؛ فعـلى هذيـن القولـينِ تكـون «مـا» في موضـع «مَـنْ»؛ لأنَّهـا في موضـع إبهـامٍ، قالـه ابْـنُ الأَنْبَـارِيِّ.

والثالث: أنَّه ما عليها من شيءٍ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: النَّبات والشجر، قاله مُقَاتِلٌ(١).

وقول مجاهدٍ أعمُّ، يدخل فيه النَّباتُ، والماءُ، والمعادنُ، وغير ذلك.

فإنْ قيل: قد نرى بعض ما على الأرضِ سمجًا وليس بزينةٍ.

فالجـواب: أنَّـا إنْ قلنـا: إنَّ المـراد بـه شيءٌ مخصـوص، فالمعنـى: إنَّـا جعلنـا

=الإيضـاح (ص ٤٥٨)، ولسـان العـرب (١/ ٣٥٧) (خضـب)، (٩/ ٥) (أسـف)،(٩/ ٣٠٢) (كفـف)، وبـلا نسـبة في الأشـباه والنظائـر (٥/ ٢٣٥)، والإنصـاف (ص: ٧٧٦)، وخزانـة الأدب (٧/ ٥)، ومجالـس ثعلـب (ص: ٤٧).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٣).

بعض ما على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العمومِ، ومعناه الخصوص.

وإِنْ قلنا: همُ الرِّجال أو العلماء، فلعبادتهم، أو لدلالتهم على خالقِهم.

وإِنْ قلنا: النَّباتُ والشَّجرُ، فلأنَّه زينةٌ لها تجري مجرى الكسوة والحُلية.

وإِنْ قلنا: إنَّه عامٌّ في كلِّ ما عليها، فلكونه دالاًّ على خالقِهِ، فكأنَّه زينة الأرضِ من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ أي: لنختبرَ الخلق، والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلى.

قال ابنُ الْأَنْبَارِيِّ: مَن قال: إنَّ ما على الأرض يعني به النَّبات، قال: الهاء والميمُ ترجع إلى سكَّانِ الأرض المشاهدين للزِّينة، ومَن قال: ما على الأرض الرِّجال، ردَّ الهاءَ والميم على ما؛ لأنَّها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيُّهم أحسنُ عملاً، هذا أم هذا؟

قال الحسنُ: أيُّهم أزهد في الدُّنيا[١].

وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوالٍ في سورة هود[٢].

ثُمَّ أعلم الخلق أنَّه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧٠٦) عن الحسن بلفظ: «أشدهم للدنيا تركًا»، ورواه أيضًا عن سفيان بلفظ: «أزهدهم في الدُّنْيَا»، وانظر: الدر المنثور؛ للسيوطي (٥/ ٣٦١)، وأورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٦) قال الحسن: «أيهم أزهد في الدنيا، وأترك لها».

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧).



قال الزَّجَّاجُ: الصَّعيدُ: الطَّريقُ الذي لا نبَاتَ فيه[١].

وقال ابنُ الأَنْبَارِيِّ: قال اللغويون: الصَّعيدُ: التُّراب، ووجه الأرضِ[٢].

فأمَّا «الْجُرُز» فقال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: أرض جُرُز، وأسد تقول: جَرَزٌ، وجُرُز، وتميم تقول: أرض جُرْز، وجَرْز، وبالتَّخفيف[٣].

وقال أبو عُبيدةَ[٤]: الصَّعيد الجرز: الغليظُ الذي لا ينبت شيئًا، [٤٩٢/ب] ويقال للسَّنِة المجدبة: جُرز، وسنون أجراز، لجدوبتها، وقلَّة مطرها، وأنشد[٥] [من الرَّجز]:

قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السِّنُونَ الْأَجْرَازُ ....

وقال الزَّجَّاجُ: الجُرز: الأرضُ التي لا ينبتُ فيها شيءٌ، كأنَّها تأكلُ النَّبْتَ أكلاً[٦].

وقال ابنُ الْأَنْبَارِيِّ: قال اللّغويون: الجرز: الأرضُ التي لا يبقى بها نباتٌ، تحرق كل نباتٍ يكون بها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٩).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٧٧).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ٨٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٣).

(٥) بلا نسبة في تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ١٥٤)، ولسان العرب (٥/ ٣١٧) (جرز)، وتاج العروس (١٥/ ٥٣) (جرز).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٩).

وقال المفسِّرون: وهذا يكونُ يوم القيامة، يجعلُ الله الأرض مستوية لا نباتَ فيها ولا ماء.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: ٩-١٢].

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ نزلت على سببٍ قد ذكرناه عند قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥][1].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى أم حسبت: أحسبت[2].

فأمَّا ﴿ٱلْكَهْفِ﴾، فقال المفسِّرون: هو المغارةُ في الجبلِ، إلَّا أنَّه واسعٌ، فإذا صغر، فهو غارٌ.

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: قال اللغويون: الكهفُ بمنزلة الغار في الجبلِ.

فأمَّا الرَّقيم، ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنَّه لوحٌ من رصاص كانت فيه أسماء الفتيةِ مكتوبة ليعلم من اطَّلع عليهم يومًا من الدَّهر ما قصَّتهم، قاله أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال وهبُ بنُ منبِّهٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ، ومجاهدٌ في روايةٍ.

---

(١) انظر: سورة الإسراء الآية رقم: (٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٣).



وقــال السُّــدِّيُّ: الرقيــم: صخــرةٌ كتــب فيهــا أســماء الفتيــةِ، وجعلــت في ســور المدينــةِ[١].

وقــال مُقاتــلٌ: الرَّقيــم: كتــابٌ كتبــه رجــلان صالحــان، وكانــا يكتــمان إيمانهــما مــن الملــك الــذي فــرَّ منــه الفتيــةُ، كتبا أمــر الفتيــة في لــوحٍ مــن رصاص، ثــم جعــلاه في تابــوتٍ مــن نحــاسٍ، ثُــمَّ جعــلاه في البنــاءِ الــذي ســدُّوا بــه بــاب الكهــفِ، فقــالا: لعــلَّ الله أَنْ يطلــع عــلى هــؤلاءِ الفتيــةِ أحــدًا، فيعلمــون أمرهــم إذا قــرؤوا الكتــاب[٢].

وقال الفَرَّاءُ: كتب في اللَّوحِ أسماؤهم: وأنسابهم، ودينهم، وممن كانوا[٣].

قــال أبــو عُبَيْــدَةَ، وابــنُ قُتيبــةَ: الرَّقيــمُ: الكتــاب، وهــو فَعِيــلٌ بمعنــى مَفْعُــول، ومنــه: كتــابٌ مرقــومٌ، أي: مكتــوبٌ[٤].

والثاني: أَنَّه اسمُ القريةِ التي خرجوا منها، قاله كعبٌ.

والثالث: اسمُ الجبلِ، قاله الحسنُ، وعطيةُ.

والرابع: أنَّ الرَّقيمَ: الدواة بلسانِ الرُّومِ، قاله عكرمةُ ومجاهدٌ في روايةٍ.

---

(١) رواه ابــن أبي حاتــم في تفســيره (١٢٧١٤) عــن السُّــدِّيِّ بلفــظ: «الرَّقِيــمِ حــين رقمــت أســماؤهم في الصخــرة، كتــب المَلِــكُ فيهــا أســماءهم، وكتــب أنهــم هلكــوا في زمــان كــذا وكــذا في ملــك ريبــوس، ثُــمَّ ضربهــا في ســور المدينــة عَــلَى البــاب، فــكان مِــنْ دَخَــلَ أو خــرج قرأهــا». وانظــر: الــدر المنثــور (٥/ ٣٦٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٤).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٤) وفيه الرَّقِيمِ: الوادي الذي فيه الكهف، وغريب القرآن (ص: ٢٦٣).د

والخامس: اسمُ الكلب، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والسادس: اسمُ الوادي الذي فيه الكهفُ، قاله قتادةُ، والضَّحاكُ.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

قال المفسِّرون: معنى الكلام: أحسبت أنَّهم كانوا أعجب آياتنا؟ قد كان في آياتنا ما هو أعجبُ منهم، فإنَّ خلق السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما أعجبُ من قصَّتهم.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: الذي آتيتك من الكتابِ والسُّنَّةِ والعلمِ، أفضل من شأنهم[1].

قوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معنى: أَوَوْا إليه صاروا إليه، وجعلوه مأواهم، والفتيةُ: جمع فتى، مثل غُلَام و غِلْمَة، وصَبِي وَصِبْيَة، وَفِعْلَة من أسماءِ الجمع، وليس ببناءٍ يُقاس عليه، لا يجوز غُراب وغِرْبة، ولا غَني وغِنْية[2].

وقال بعضُ المفسِّرين: الفتية: بمعنى الشَّباب، وقد ذكرنا عن [٤٩٣/أ] القتيبيِّ أنَّ الفتى: بمعنى الكامل من الرِّجال، وبيناه في قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [النساء: ٢٥][3].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١٢٧١٦) في تفسيرهما من طريق العوفي، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٠).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم: (٢٥).

قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أي: من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ أي: رِزْقًا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أَصْلِح لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أَرْشِدْنَا إلى ما يُقَرِّبُنا منك.

والمعنى: هيىء لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

والرُّشد والرَّشد والرَّشَاد: نقيض الضَّلالِ.

تلخيص قصَّة أصحاب الكهف

اختلف العلماءُ في بُدُوِّ أمرِهم، وسبب مصيرهم إلى الكهفِ، **على ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم هربوا ليلًا من ملكهم حين دعاهم إلى عبادةِ الأصنامِ، فمرُّوا براعٍ له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبَّدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينةِ، إلى أن جاءهم يومًا فأخبرهم أنَّهم قد ذكروا، فبكوا وتعوَّذوا بالله من الفتنةِ، فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسدَّ عليهم الكهفَ، وهو يظنُّهم أيقاظاً، وقد توفَّى الله أرواحهم وفاة النَّوم، وكلبهم قد غشيه ما غشيهم، ثمَّ إنَّ رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتبا أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوحٍ من رصاص، وجعلاه في تابوتٍ من نحاسٍ في البنيان، وقالا: لعلَّ الله يطلِع عليهم قومًا مؤمنين، فيعلمون خبرَهم، هذا قولُ ابنُ عبَّاسٍ[1].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧٢٠) بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور(٥/ ٣٦٦) لابن أبي شيبة، وابن المنذر.

وقـال عبيـدُ بـنُ عمـيرٍ: فقدهـم قومهـم فطلبوهـم، فعمَّـى الله عليهـم أمرهـم، فكتبـوا أسـماءهم وأنسـابهم في لـوحٍ: فـلان وفـلان أبنـاء ملوكنـا فقدناهـم في شـهرِ كـذا، في سـنة كـذا، في مملكـةِ فـلان، ووضعـوا اللَّـوح في خزانـة الملـك، وقالـوا: ليكونـن لهـذا شـأنٌ(١).

والثـاني: أَنَّ أحـد الحواريـين جـاء إلى مدينـة أصحـابِ الكهـف، فـأراد أن يدخلهـا، فقيـل لـه: إن عـلى بابهـا صَنَـمًا لا يدخلهـا أحـدٌ إلا سـجدَ لـه، فكـره أن يدخلهـا، فأتـى حَمَّامًـا قريبًـا مـن المدينـةِ، فـكان يعمـل فيـه بالأجـرِ، وعَلِقَـه فتيـة مـن أهـلِ المدينـةِ، فجعـل يخبرهـم عـن خـبرِ السَّـماءِ والأرضِ، وخـبر الآخـرة، فآمنـوا بـه وصدَّقـوه، حتَّـى جـاء ابـن الملـكِ يومًـا بامـرأةٍ، فدخـل معهـا الحـمَّام، فأنكـر عليـه الحـواري ذلـك، فسبَّه فدخـل، فـمات وماتـت المـرأة في الحـمَّام، فأتـى الملـك، فقيـل لـه: إنَّ صاحـبَ الحـمام قتـل ابنـك، فالتُمِـس فهـربَ، فقـال: مَـن كان يصحبُـه؟ فسـمِّي لـه الفتيـة، فالتمسـوا فخرجـوا مـن المدينـة، فمـرُّوا عـلى صاحـبٍ لهـم في زرعٍ، وهـو عـلى مثـل أمرهـم، فانطلـق معهـم ومعـه كلـبٌ حتَّـى آواهـم الليـل إلى الكهـفِ، فدخلـوه فقالـوا: نبيـت هاهنـا، ثـم نصبـح إن شـاء الله فـترون رأيكـم، فـضرب الله عـلى آذانهـم فنامـوا؛ وخـرج الملـك، وأصحابـه يتَّبعونهـم، فوجدوهـم قـد دخلـوا الكهـف، فكلَّـما أراد رجـل أن يدخـلَ الكهـف أُرعـب، فقـال قائـلٌ للملـك: أليـس قلـت: إن [٤٩٣/ ب] قـدرت عليهـم قتلتهـم؟ قـال: بـلى، قـال: فابـن عليهـم بـاب الكهـف حتـى

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٧٣) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

يموتـوا جوعًـا وعطشًـا، ففعـل، هـذا قـول وهـبُ بـن منبِّـهٍ(١).

والثالـث: أنَّهـم كانـوا أبنـاء عظماء المدينـةِ وأشرافهـم، خرجـوا فاجتمعوا وراءَ المدينـةِ عـلى غـير ميعـادٍ، فقـال رجـلٌ منهـم هـو أَسَـنُّهُمْ: إنِّي لأجـد في نفـسي شـيئًا مـا أظـنُّ أحـداً يجـدُه، فقالـوا: مـا تجـدُ؟ قـال: أجـدُ في نفـسي أنَّ ربي رب السَّـمواتِ والأرضِ، فقامـوا جميعًـا فقالـوا: ربُّنـا ربُّ السَّـموات والأرض، فأجمعـوا أن يدخلـوا الكهـفَ، فدخلـوا، فلبثـوا مـا شـاء الله، هـذا قـولُ مجاهـدٍ(٢).

وقـال قتـادةُ: كانـوا أبنـاءَ ملـوكِ الـرُّوم، فتفـرَّدوا بدينهـم في الكهـفِ، فـضربَ الله عـلى آذانهـم(٣).

فصل

فأمَّـا سـبب بعـث أصحـابِ الكهـفِ مـن نومهـم، فقـال عكرمـةُ: جاءت أُمَّـةٌ مسـلمةٌ، وكان ملكهـم مسـلمًا، فاختلفـوا في الـرُّوح والجسـدِ، فقـال قائـل: يبعـث الـرُّوح والجسـد، وقـال قائـلٌ: يبعـث الـرُّوح وحـده، والجسـد تأكلـه الأرض فـلا يكـون شـيئًا، فشـقَّ اختلافهـم عـلى الملـك، فانطلـق فلبـس

---

(١) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٧٤) مـن طريـق معمـر، عـن إسـماعيل بـن شَرُوسَ، عـن وهـب، بنحـوه، وإسـماعيل بـن شروس الصنعـاني أبـو المقـدام، قـال البخـاري: قـال معمـر: كان يضـع الحديـث. انظـر: الميـزان (١/ ٢٣٤).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ١٧٢) مـن طريـق عبـد الله بـن كثـير الـداري المكـي، بـه، بنحـوه.

(٣) رواه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٢/ ٣٢٣)، عـن معمـر، ومـن طريقـه ابـن جريـر الطـبري (١٥/ ١٩٨) بلفـظ مطـوَّل.

المسوح، وقعد على الرَّمادِ، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبيِّن لهم، فبعث الله أصحاب الكهفِ(١).

وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: جاء راعٍ قد أدركه المطرُ إلى الكهفِ، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطرِ، فلم يزل يعالجه حتَّى فتحه، وردَّ الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغدِ(٢).

وقال ابنُ السَّائبِ: احتاج صاحبُ الأرضِ التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمِهِ، فهدم ذلك السدَّ، فبنى به، فانفتح بابُ الكهفِ.

وقال ابنُ إسحاقَ: ألقى الله في نفس رجلٍ من أهل البلدِ أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمِهِ، فاستأجر عاملينِ ينزعان تلك الحجارة، فنزعاها، وفتحا باب الكهفِ، فجلسوا فرحين، فسلَّم بعضُهم على بعضٍ لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئًا يكرهونه، إنَّما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أنَّ ملكهم في طلبهم، فصلُّوا وقالوا لنمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع ما نذكر به، وابتغِ لنا طعامًا، نوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكَّر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعت عن بابِ الكهفِ، فعجب، ثم مرَّ مستخفيًا متخوِّفًا أن يراه

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٣)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم(١٢٧٢١) في تفسيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٥)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٦) من طريق معمر، عن إسماعيل بن شَرُّوسَ، عن وهب، بنحوه، وإسماعيل بن شروس، يضع الحديث.



أحد فيذهب به إلى الملكِ، فلمَّا رأى باب المدينةِ رأى عليه علامة تكون لأهلِ الإيمانِ، فعجب وخيِّل إليه أنَّها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناسًا لا يعرفهم، فجعل يتعجَّب ويقول: لعلِّي نائمٌ؛ فلمَّا دخلها رأى قومًا يحلفون باسمِ عيسى، فقام مسندًا ظهرَه إلى جدارٍ، وقال في نفسِهِ: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على وجه الأرضِ مَن يذكرُ عيسى إلَّا قتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعلَّ هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيرانِ، وأخرج ورقًا فأعطاه [٤٩٤/أ] رجلًا وقال: بعني طعامًا، فنظر الرَّجلُ إلى نقشِهِ فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجَّبون، ويتشاورون، وقالوا: إنَّ هذا قد أصابَ كنزًا، ففرَّق منهم، وظنَّهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكَم فلا حاجةَ بي إليه، فقالوا له: مَن أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزًا وأنت تريد أن تخفيه، شاركنا فيه وإلَّا أتيناك إلى السُّلطان فيقتلك، فلم يدرِ ما يقول، فطرحوا كساءه في عنقِهِ وهو يبكي ويقول: فُرِّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيتُ، فأتوا به إلى رجلينِ كانا يدبران أمر المدينةِ، فقالا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزًا، ولكن هذه ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكنَّ والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقولُ لكم.

قال مجاهدٌ: وكان ورق أصحاب الكهفِ مثل أخفاف الإبلِ، فقالوا: من أنت، وما اسمُ أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا مَن يعرفه، فقال له أحدهما: أتظنُّ أنَّك تسخر منَّا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا

الـضَّرب درهــم ولا دينار؟ إني سـآمر بـك فتعذَّب عذابًا شـديدًا ثـم أوثقك حتَّى تعـترفَ بهـذا الكنـز، فقـال يمليخـا: أنبـؤني عـن شيءٍ أسـألكم عنـه، فـإن فعلتم صدَّقتكـم، قالـوا: سـل، قـال: مـا فعل الملـك دقيانـوس؟ قالـوا: لا نعـرفُ اليوم عـلى وجـه الأرضِ ملكًا يسـمَّى دقيانوس، وإنَّما هـذا ملكٌ كان منذ زمـانٍ طويلٍ، وهلكـت بعـده قـرونٌ كثـيرةٌ، فقـال: والله مـا يصدِّقنـي أحـدٌ بـما أقوله، لقـد كنَّا فتيـةٌ، وأكرهنـا الملكُ عـلى عبـادةِ الأوثان والذَّبـح للطَّواغيـتِ، فهربنا منه عشـية أمـس فنمنـا، فلـمَّا انتبهنـا خرجتُ أشـتري لأصحـابي طعاماً، فـإذا أنا كـما ترون، فانطلقـوا معـي إلى الكهـفِ أريكـم أصحـابي، فانطلقوا معه وسـائر أهـلِ المدينةِ، وكان أصحابـه قـد ظنُّـوا لإبطائـه عليهم أنَّه قـد أُخذ، فبينـما هم يتخوَّفـون ذلك، إذ سـمعوا الأصـوات وجلبـة الخيـل، فظنُّـوا أنَّهـم رسـل دقيانـوس، فقامـوا إلى الصَّـلاةِ، وسـلَّم بعضُهـم عـلى بعـضٍ، فسبق يمليخـا إليهم وهـو يبكـي، فبكوا معـه، وسـألوه عن شـأنه، فأخبرهـم خبره، وقـصَّ عليهم النَّبـأ كلَّه، فعرفـوا أنَّهم كانـوا نيامًـا بأمـر الله تعالى، وإنَّـما أوقظـوا ليكونوا آيـة للنَّاس، وتصديقًـا للبعث؛ ونظـر النَّـاس في المسـطورِ الـذي فيـه أسـماؤهم وقصَّتهـم، فعجبوا، وأرسـلوا إلى ملكهـم فجـاء واعتنـق القـوم، وبكـى، فقالـوا لـه: نسـتودعك الله ونقـرأ عليـك السَّـلام، حفظـك الله، وحفـظ ملـكك، فبينا الملك قائـمٌ، رجعـوا إلى مضاجعهم، وتـوفَّى الله ﷻ أنفسَـهم، فأمـر الملـكُ أن يجعل لكلِّ واحـدٍ منهم تابوتًـا من ذهبٍ، فلـما أمسـوا رآهـم في المنـامِ، فقالـوا: إنَّا لم نخلـق من ذهـبٍ وفضةٍ، ولكـن خلقنا [٤٩٤/ب] مـن تـرابٍ، فاتركنـا كـما كنَّـا في الكهـفِ عـلى الـتُّراب حتَّـى يبعثنـا الله ﷻ منـه، وحجبهـم الله ﷻ حـين خرجـوا مـن عندهـم بالرُّعب، فلـم يقدر أحـدٌ أن يدخلَ



عليهم، وأمر الملك فجعلَ على بابِ الكهفِ مسجدًا يصلَّى فيه، وجعل لهم عيداً عظيمًا يؤتى كل سنةٍ.

وقيل: إنَّه لما جاء يمليخا ومعه النَّاس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشِّرهم، فإنَّهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجسادٌ لا ينكرون منها شيئاً، غير أنَّها لا أرواحَ فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم[١].

قوله: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنمناهم ومنعناهم السَّمع، لأنَّ النائمَ إذا سمِعَ انتبه.

و﴿ عَدَدًا ﴾ منصوبٌ على ضربين:

أحدهما: على المصدر، المعنى نَعُدُّ عدداً.

والثاني: أَنْ يكون نعتًا للسِّنين، المعنى: سنين ذات عددٍ، والفائدةُ في ذكرِ العددِ في الشَّيءِ المعدودِ، توكيد كثرةِ الشَّيءِ، لأنَّه إذا قلَّ فهم مقداره، وإذا كثر احتيجَ إلى أن يعد العدد الكثير[٢].

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ من نومهم، يقال لكلِّ من خرجَ من الموتِ إلى الحياةِ، أو من النَّومِ إلى الانتباه: مبعوث، لأنَّه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرُّفِ والانبعاثِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧١).

وقيل: معنى ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أنَّه لم يكن فيها شهورٌ ولا أيَّام، إنَّما هي كاملةٌ، ذكره المَاوَرْدِيُّ[١].

قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ قال المفسِّرون: أي: لنرى، وقال بعضُهم: المعنى: لتعلموا أنتم.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو عِمرانَ، والنَّخعيُّ: «لِيُعْلَمَ» بضمِّ الياءِ، على ما لم يسمَّ فاعله[٢].

﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قومِ أصحابِ الكهفِ.

﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: لنعلمَ أهؤلاء أحصى للأمدِ أو هؤلاءِ، فكأنَّه وقع بينهم تنازعٌ في مدَّةِ لَبثهم في الكهفِ بعد خروجِهم من بينهم، فبعثهم الله ليبيِّن ذلك ويظهر.

قال قتادةُ: لم يكن للفريقين علمٌ بلُبثهم، لا لمؤمنيهم، ولا لكافريهم[٣].

قال مُقاتلٌ: لما بعثوا زال الشكُّ وعرفت حقيقة اللَّبثِ[٤].

وقال القاضي أبو يعلى: معنى الكلام: بعثناهم ليظهر المعلوم في اختلافِ الحزبين في مدَّةِ لبثهم، لما في ذلك من العبرةِ.

(١) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٢٨٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٢) «لِيُعْلَم أي احزبين» حكاه الأخفش، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٤٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم (١٢٧٢٣) في تفسيرهما، من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٦).

قولـه تعـالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف: ١٣-١٥].

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ أي: خبر الفتيةِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدقِ.

قوله تعـالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أي: ثبَّتناهـم عـلى الإيمـانِ، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ألهمناهـا الصَّبر ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بـين يـدي ملكهـم دقيانـوس.

﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وذلـك أنَّـه كان يدعـو النَّـاس إلى عبـادة الأصنـامِ، فعصـم الله هـؤلاء حتَّـى عصـوا ملكهـم.

وقـال الحسـنُ: قامـوا في قومِهـم فدعوهـم إلى التَّوحيـدِ، وقيـل: هـذا قولهـم بينهـم لـمـا اجتمعـوا خـارجَ المدينـةِ عـلى مـا ذكرنـا في أوَّل القصَّـةِ.

[٤٩٥/أ] فأما «الشَّطط» فهو الجورُ.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: شَطَّ الرَّجلُ، وأَشَطَّ: إذا جار(١).

ثُـمَّ قـال الفتيـةُ: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ يعنـون الذيـن كانـوا في زمـن دقيانوس ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ أي: عبدوا الأصنامَ ﴿لَّوْلَا﴾ أي: هلَّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ أي: عـلى عبادةِ الأصنـامِ ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي: بحجَّة.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٢).

وإنَّما قال: عليهم، والأصنام مؤنَّثة، لأنَّ الكفَّار نحلوها العقل والتَّمييز، فجرت مجرى المذكرين من النَّاسِ.

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنَّ له شَرِيكًا.

قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٦-١٧].

قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هذا قولُ يمليخا، وهو رئيسُ أصحابِ الكهفِ، قال لهم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: فارقتموهم، يريد: عبدة الأصنامِ[1].

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون، إلَّا الله، فإنَّ القومَ كانوا يعبدونَ الله ويعبدونَ معه آلهة، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادةَ الله، هذا قولُ عطاء الخُراسانيّ، والفَرَّاء[2].

والثاني: وما يعبدون غير الله.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٦).

قال قتادةُ: هي في مصحفِ عبدِ الله: «ومَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ»، وهذا تفسيرُها[١].

قوله: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: اجعلوه مأواكم، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: يبسطُ عليكم من رزقِهِ، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مِّرْفَقًا﴾ بكسرِ الميم، وفتحِ الفاءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «مَرْفِقًا» بفتحِ الميم، وكسرِ الفاءِ[٢].

قال الْفَرَّاءُ: أهلُ الحجازِ يقولون: «مَرفِقاً» بفتحِ الميمِ وكسرِ الفاءِ، في كلِّ مرفقٍ ارتفقت به، ويكسرون مرفقَ الإنسانِ، والعرب قد يكسرون الميمَ منهما جميعًا[٣].

قال ابنُ الأنْبَارِيِّ: معنى الآية: ويهيىء لكم بدلًا من أمرِكم الصَّعبِ مِرْفقًا، قال الشَّاعر[٤] [من الطَّويل]:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

(١) هي قراءة عبد الله بن مسعود كما في معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٢٢٣).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والحجة (٥/ ١٣٠)، والتيسير (ص: ١٤٢)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٦).

(٤) البيت؛ للأحول الأزلي، أو الكندي يعلى بن مسلم بن قيس في لسان العرب (١٣/ ١٢٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٢٦٧).

معناه: فليت لنا بدلًا من ماءِ زمزم.

قال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم﴾ يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمِهِ، ويأتكم باليسرِ والرِّفق واللُّطفِ(١).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ المعنى: لو رأيتها لرأيت ما وصفنا.

﴿تَزَاوَرُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «تزَّاوَرُ» بتشديد الزَّاي.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿تَزَاوَرُ﴾ خفيفة.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «تَزْوَرُّ» مثل: «تَحْمَرُّ»(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، والجَحْدريُّ: «تَزْوارُّ» بإسكان الزَّاي، وبألفٍ ممدودةٍ بعد الواو من غيرِ همزةٍ، مشدَّدة الرَّاء(٣).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «تَزْوَئِرُّ» بهمزةٍ قبل الرَّاء، مثل: «تَزْوَعِرُّ»(٤).

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو السماك: «تَزَوَّر» بفتح التَّاءِ والزَّاي وتشديدِ الواو المفتوحةِ خفيفة الرَّاء، مثل: «تَكَوَّر»، أي: تميل وتعدل.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والحجة (٥/ ١٣١)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: المحتسب (٢/ ٢٥)، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٨٢) عن الجحدري، وأيوب السختياني، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٢) عن الجحدري، وأبي رجاء، وزاد في البحر المحيط (٧/ ١٥١) ابن أبي عبلة، وجابر، وورد عن أيوب «تَزْوَارُّ» عَلَى وَزْنِ «تَحْمَارُّ».

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٥١).

قال الزَّجَّاجُ: أصل ﴿تَزَاوَرُ﴾ تتزاور، فأُدغمت التَّاءُ في الزَّاي، و﴿تَقْرِضُهُمْ﴾ أي: تعدل عنهم وتتركهم، وقال: ذُو الرُّمَّةِ[1] [من الطويل]: [٤٩٥/ب]

إِلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوازَ مُشْرِفٍ شِمالاً وعن أَيمانِهنَّ الفَوارِسُ

يقرضن: يتركن.

وأصلُ القرض: القطع والتفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أَقْرِضْني دِرْهَماً، أي: اقطع لي من مالكِ دِرهمًا[2].

قال المفسِّرون: كان كهفهم بإزاءِ بنات نعش في أرضِ الرُّومِ، فكانت الشَّمس تميلُ عنهم طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغيِّر ألوانهم.

ثم أخبر أنَّهم كانوا في متَّسعٍ من الكهفِ ينالهم فيه بردُ الرِّيحِ، ونسيم الهواءِ، فقال: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: أي: في متَّسعٌ، والجميع: فجوات، وفِجاء بكسر الفاءِ[3].

وقال الزَّجَّاجُ: إنَّما صرف الشَّمس عنهم آية من الآياتِ، ولم يرض قول مَن قال: كان كهفهم بإزاءِ بناتِ نعش[4].

---

(١) البيت في ديوانه (ص: ١١٢٠)، والعين (٥/ ٥٠)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٤٢)، ولسان العرب (٥/ ٣٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٣).

قولــه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يشـير إلى مـا صنعـه بهـم مـن اللُّطـفِ في هدايتهـم، وصرف أذى الشَّـمسِ عنهـم، والرُّعـب الـذي ألقـى عليهـم حتَّـى لم يقـدر الملـكُ الظَّـالمُ ولا غـيرُه عـلى أذاهـم.

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: من دلائلِهِ على قدرته ولطفه.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ هـذا بيـان أنَّـه هـو الـذي تـولَّى هدايـة القومِ، ولـو لا ذلـك لم يهْتَدوا.

قولــه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الكهـف: ١٨].

قوله : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظًا.

قـال الزَّجَّـاجُ: الأيقـاظ: المنتبهـون، واحدهـم: يقـظ، ويقظـان، والجميع: أيقـاظ؛ والرُّقـود: النيام[١].

قال الفَرَّاءُ: واحد الأيقاظ: يَقِظ، ويَقْظ[٢].

قال ابنُ السَّائبِ: وإنَّما يحسبون أيقاظًا، لأنَّ أعينهم مفتحة وهم نيامٌ.

وقيل: لتقلُّبهم يمينًا وشمالًا.

وذكـر بعـضُ أهـلِ العلـمِ: أنَّ وجـه الحكمـةِ في فتـح أعينهـم، أنَّـه لـو دامَ طبقهـا لذابت.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٧).



قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾.

وقرأ الحسنُ، وأبو رجاءٍ: «وتَقْلِبهم» بتاءٍ مفتوحةٍ، وسكون القاف، وتخفيف اللَّامِ المكسورةِ.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وعكرمةُ: «ونَقْلِبهم» مثلها، إلا أنَّه بالنَّون[1].

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: على أيمانهم وعلى شمائلهم.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كانوا يقلبون في كلِّ عامٍ مرَّتين، ستَّة أشهر على هذا الجنب، وستَّة أشهرٍ على هذا الجنب، لئلَّا تأكل الأرض لحومهم[2].

وقال مجاهدٌ: كانوا ثلاث مائة عام على شقٍّ واحدٍ، ثم قلبوا تسع سنين[3].

قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أخبر أنَّ الكلبَ كان على مثل حالهم في النَّوم، وهو في رأي العين منتبه.

وفي الوصيد أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الفناء فناء الكهفِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ،

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ الجمهور «وَنُقَلِّبُهُمْ» بنون العظمة، وقرأ الحسن «وتقلّبهم» بالتاء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرتفع بالابتداء، قاله أبو حاتم، وحكى ابن جني القراءة عن الحسن بفتح التاء وضم اللام وفتح الباء، وقال هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم، وأبو حاتم أثبت.اهـ انظر: التحصيل (٤/ ١٧٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٠٣)، والبحر المحيط (٧/ ١٥٣)، والكامل في القراءات (١/ ٥٩٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٢٧٣٦)، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٣).

(٣) رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٣) بلفظ: ﴿ونقلبهم﴾ قال: في التسع سِنِين لَيسَ فِيمَا سواهُ.

وبـه قـال سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، ومجاهـدٌ، والضَّحـاكُ، وقتـادةُ، والفَـرَّاءُ[١].

قـال الفَرَّاءُ: يقـال: «الْوَصِيدُ» و«الْأَصِيدُ» لغتان، مثـل الإكفاف والوكاف، وأرَّخـت الكتـاب وورَّخـت، ووكَّـدت الأمـر وأكَّدت؛ وأهـل الحجـاز يقولون: الْوَصِيـدُ، وأهـل نجـد يقولون: الْأَصِيـدُ، وهو: الحظـيرة والفناء[٢].

والثاني: أنَّه الباب، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: فيكـون المعنـى: وكلبهـم باسـط ذارعيـه بالبـاب، قـال الشـاعر[٣] [مـن الطويـل]: [٤٩٦/أ]

بـأرضٍ فَضَـاءٍ لا يُسَـدُّ وَصِيدُهـا عـليَّ ومعـروفي بهـا غـير مُنْكَـرِ

والثالـث: أنَّـه الصَّعيـد، وهـو الـتُّرابُ، رواه العـوفيُّ عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال سـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، ومجاهـدٌ في روايـةٍ عنهـما.

والرابع: أنَّه عتبةُ البابِ، قاله عطاءٌ.

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: وهـذا أعجـب إليَّ، لأنَّهـم يقولـون: أوصـد بابـك، أي: أغلقــه، ومنــه قولــه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[الهمـزة: ٨]، أي: مطبقــة مغلقــة، وأصلــه أن تلصــق البــاب بالعتبــة إذا أغلقتــه، وممَّــا يوضــح هــذا أنَّــك إذا جعلـت الكلـب بالفنـاء، كان خارجـاً مـن الكهـف، وإن جعلتـه بعتبـةِ البـابِ، أمكـن أن يكـون داخـل الكهـفِ، والكهـف وإن لم يكـن لـه بـابٌ وعتبـةٌ، فإنَّـما

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٧).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٨٦).

(٣) بلا نسبه في غريب القرآن (ص: ٢٦٥)، والزاهر (١/ ١٧٧)، وتاج العروس (فضل).



أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستعير[1].

قوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

وقرأ الأعمشُ، وأبو حصينٍ: «لوُ اطَّلعت» بضمِّ الواوِ[2].

و﴿ٱطَّلَعۡتَ﴾ أي: لو أشرفت عليهم ﴿لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ رهبة لهم، ﴿وَلَمُلِئۡتَ﴾.

قرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «وَلَمُلِئْتَ» خفيفة مهموزة.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ: «ولَمُلِّئْتَ» مشدَّدة مهموزة[3].

﴿رُعۡبٗا﴾ أي: فزعاً وخوفاً، وذلك أنَّ الله تعالى منعهم بالرُّعب لئلَّا يدخل إليهم أحدٌ.

وقيل: إنَّهم طالت شعورهم وأظفارهم جدًّا، فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاه الزَّجَّاجُ[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن (ص: ٢٦٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٨٢) عن يحيى، والأعمش، وزاد ابن عطية في المحرر الوجيز(٣/ ٥٠٤) ابنًا واثب، وانظر: الكامل (١/ ٥٦٢).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (٥/ ١٣٤)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الكهف: ١٩-٢٠].

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذكرنا، بعثناهم من تلك النَّومة ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ ﴾ أي: ليكون بينهم تساؤلٌ وتنازعٌ واختلافٌ في مدَّة لبثهم، فيفيد تساؤلهم اعتبار المعتبرين بحالهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ ﴾ أي: كم مرَّ علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ ﴾ وذلك أنَّهم دخلوا غدوة، وبعثهم الله في آخرِ النَّهارِ، فلذلك قالوا: ﴿يَوْمًا ﴾ فلمَّا رأوا الشَّمس قالوا: أو بعض يومٍ ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: القائلُ لهذا يمليخا رئيسهم، ردَّ علم ذلك إلى الله تعالى(١).

وقال في روايةٍ أُخرى: إنَّما قاله مكسلمينا، وهو أكبرهم(٢).

قال أبو سليمان: وهذا يوجب أن تكون نفوسُهم قد حدَّثتهم أنَّهم قد لبثوا أكثرَ ممَّا ذكروا.

وقيل: إنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جدًّا.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٦٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

قوله: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم ﴾.

قال ابنُ الأَنْبَارِيِّ: إنَّما قال: أحدكم، ولم يقل: واحدكم لئلَّا يلتبس البعض بالممدوح المعظَّمِ، فإنَّ العربَ تقول: رأيت أحد القومِ، ولا يقولون: رأيتُ واحد القومِ، إلَّا إذا أرادوا المعظَّم، فأراد بأحدهم: بعضهم، ولم يرد شريفهم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمْ ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿بِوَرِقِكُمْ ﴾ الرَّاءُ مكسورة خفيفة.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ساكنة الرَّاء، وعن أبي عمرٍو «بورقكم» مدغمة يشمها شيئاً من التَّثقيل[١].

قال الزَّجَّاجُ: تصير كافاً خالصة[٢].

قال الفَرَّاءُ: «الْوَرِق» لغة أهل الحجاز، وتميم يقولون: «الْوَرْقُ»، [٤٩٦/ب] وبعضُ العربِ يكسرون الواو، فيقولون: «الْوِرْقُ»[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (١/ ٢٢٢-٢٢٣)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ٨٦).

قال ابنُ قُتيبةَ: «الْوَرِق» الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم[١]، يدلُّك على ذلك حديث عرفجةَ أنَّه اتَّخذ أنفاً من وَرِقٍ[٢].

قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقسوس، ويقال: هي اليوم طرسوس.

قوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أي أهلها ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾[٣].

وللمفسِّرين في معناه ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أحل ذبيحة؛ قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعطاءٌ، وذلك أنَّ عامةَ أهل بلدهم كانوا كفَّارًا، فكانوا يذبحون للطَّواغيت، وكان فيهم قومٌ يخفون إيمانهم.

والثاني: أحلَّ طعامًا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

قال الضَّحاكُ: وكانت أكثر أموالهم غصوبًا[٤].

وقال مجاهدٌ: قالوا لصاحبهم لا تبتع طعاماً فيه ظلم ولا غصب[٥].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣)، وأبو داود (٤٢٣٣)، والترمذي (١٧٧٠)، والنسائي في الكبرى (٩٤٠٠) من طريق عبد الرحمن بن طرفة بن عَرْفَجَة بن أسعد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: «**أُصِيبَ أَنْفِي يَوْمَ الْكُلاَبِ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّخَذْتُ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ، فَأَنْتَنَ عَلَيَّ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ**».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٥٧).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤١).

والثالث: أكثر، قاله عكرمةُ.

والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادةُ.

والخامس: أطيب، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتلٌ[(١)].

والسادس: أرخص، قاله يمان بن رياب.

قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل الزَّكاء: النَّماء والزِّيادة[(٢)].

قوله: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي: بما تأكلونه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: ليدقِّق النَّظر فيه، وليحتل لئلا يطَّلع عليه.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي: ولا يخبرنَ أحدًا بمكانكم.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلعوا ويشرفوا عليكم.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ **وفيه ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: يقتلوكم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال الزَّجَّاجُ: يقتلوكم بالرَّجمِ[(٣)].

والثاني: يرجموكم بأيديهم، استنكارًا لكم، قاله الحسنُ.

والثالث: بألسنتهم شتمًا لكم؛ قاله مجاهدٌ، وابنُ جريجٍ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٦).

قولـه تعـالى: ﴿ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾ أي: يردُّوكـم في دينهـم، ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ أي: إن رجعتـم في دينهـم، لم تسـعدوا في الدُّنيـا ولا في الآخـرةِ.

قولـه تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١ ﴾[الكهـف: ٢١].

قولـه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ ﴾أي: وكـما أنمناهـم وبعثناهـم، أطلعنـا وأظهرنـا عليهـم.

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: وأصـلُ هـذا أنَّ مَـن عثـر بـشيءٍ وهـو غافـلٌ، نظـر إليـه حتَّـى يعرفـه، فاسـتعير العثـار مـكان التبـين والظُّهـور، ومنـه قـول النَّـاس: مـا عثـرت عـلى فـلانٍ بسـوءٍ قـطُّ، أي: مـا ظهـرت عـلى ذلـك منـه(١).

قوله: ﴿ لِيَعۡلَمُوٓاْ ﴾ في المشارِ إليهم بهذا العلمِ قولان:

أحدهما: أنَّهـم أهـل بلدهـم حـين اختصمـوا في البعـث، فبعـث الله أهـل الكهـفِ ليعلمـوا ﴿ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ بالبعـثِ والجـزاءِ ﴿حَقّٞ ﴾ وأنَّ القيامـةَ لا شـكَّ فيهـا، هـذا قـولُ الأكثريـن.

والثـاني: أنَّهـم أهـل الكهـفِ بعثناهـم لـيروا بعـد علمِهـم أنَّ وعـدَ الله حـقٌّ، ذكـره المَـاوَرْدِيُّ(٢).

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٩١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٣).



قوله: ﴿ إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ ﴾ يعني: أهلُ ذلك الزَّمان.

قـال ابـنُ الأَنْبَـارِيِّ: المعنـى: إذ كانـوا يتنازعـون، ويجـوز أن يكـون المعنـى: إذ تنازعـوا.

وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّهـم تنازعـوا في البنيـانِ، والمسـجد. فقـال المسـلمون: نبنـي عليهـم مسـجدًا، لأنَّهـم عـلى ديننـا، وقـال المشركـون: نبنـي عليهـم بنيانـاً، لأنَّهـم مـن أهـل سـنَّتنا، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ.

والثـاني: أنَّهـم تنازعـوا في البعـثِ، فقـال المسـلمون: تبعـث الأجسـاد [٤٩٧/أ] والأرواح، وقـال بعضُهـم: تبعـثُ الأرواح دون الأجسـادِ، فأراهـم الله تعـالى بعـثَ الأرواحِ والأجسـادِ ببعثـه أهـل الكهـف، قالـه عكرمـةُ.

والثالث: أنَّهم تنازعوا ما يصنعون بالفتيةِ، قاله مُقاتلٌ(١).

والرابع: أنَّهم تنازعوا في قدرِ مكثهم.

والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثَّعْلَبِيُّ(٢).

قولـه: ﴿ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ﴾ أي: اسـتُروهم مـن النَّـاسِ بـأن تجعلُوهـم وراءَ ذلـك البنيـانِ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

وفي القائلينَ لهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم مشركو ذلك الزَّمانِ، وقد ذكرناه عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهفِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: يعني المُطَاعِين والرُّؤساء(١).

قال المفسِّرون: وهم الملك وأصحابه المؤمنون اتَّخذوا عليهم مسجدًا.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: بنى عليهم الملك بيعة(٢).

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الكهف: ٢٢-٢٤].

قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ثَلَاثَةٌ مرفوعٌ بخبرِ الابتداءِ، المعنى: سيقولُ الذين تنازعوا في أمرِهم هم ثلاثةٌ(٣).

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

وفي هؤلاءِ القائلين قولان:

أحدهما: أنَّهم نصارى نجران، ناظروا رسولَ الله ﷺ في عدَّة أهل الكهفِ، فقالت الملكية: هم ثلاثةٌ رابعهم كلبهم، وقالت اليَعْقُوبيَّةُ: هم خمسةٌ سادسهم كلبهم، وقالت النَّسْطُورِيَّةُ: هم سبعةٌ وثامنهم كلبهم، فنزلت هذه الآيةُ، رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ(١).

والثاني: أنَّهم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم، ذكره المَاوَرْدِيُّ(٢).

قوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: ظنًّا غير يقين، قال زهيرٌ(٣) [من الطَّويل]:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ   وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

فأمَّا دخولُ الواوِ في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ ولم تدخل فيما قبل هذا، ففيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ دخولها وخروجها واحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ(٤).

والثاني: أنَّ ظهورَ الواوِ في الجملةِ الثامنةِ دلالة على أنَّها مرادة في الجملتين المتقدَّمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنَّها مرادة فيما قبل، وإنَّما حذفت تخفيفًا، ذكرهُ أبو نصر المناشر في شرح اللَّمعِ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠)، والوسيط (٣/ ١٤٢)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٦).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٢٨)، وخزانة الأدب (٣/ ٨ـ ١٠)، وشرح شواهد المغني (١/ ٣٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

والثالث: أنَّ دخولَها يدلُّ على انقطاع القصَّةِ، وأنَّ الكلامَ قد تمَّ، ذكره الزَّجَّاجُ أيضاً، وهو قولُ مُقاتلِ بن سُليمانَ[١]، فإنَّ الواو تدلُّ على تمام الكلامِ قبلها، واستئناف ما بعدها.

قال الثَّعلبيُّ: فهذه واو الحكمِ والتَّحقيق، كأنَّ الله تعالى حكى اختلافهم، فتمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ثمَّ حكم أنَّ ثامنهم كلبهم[٢].

وجاء في بعضِ التَّفسيرِ أنَّ المسلمينَ قالوا عند اختلافِ النَّصارى: هم سبعةٌ، فحقَّق الله قولَ المسلمين.

والرَّابع: أنَّ العربَ تعطف بالواوِ على السَّبعةِ، فيقولون: ستَّة، سبعة، وثمانية، لأنَّ العقدَ عندهم سبعة، كقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ إلى أن قال في الصِّفةِ الثَّامنة: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صفةِ الجنَّةِ: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وفي صفة النَّارِ: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١-٧٣]، لأنَّ أبواب النَّارِ سبعةٌ، وأبوابُ الجنَّةِ ثمانيةٌ، ذكر هذا [٤٩٧/ب] المعنى أبو اسحاقَ الثَّعلبيُّ[٣].

وقد اختلف العلماءُ في عددهم على قولين:

أحدهما: أنَّهم كانوا سبعة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

(٣) انظر: المصدر السابق.

والثاني: ثمانيةٌ، قاله ابنُ جريجٍ، وابنُ إسحاقَ.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: وقيل: معنى قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السَّخاء حاتم، والشِّعرُ زهيرٌ، أي: السَّخاء سخاء حاتمٍ، والشِّعر شعر زهيرٍ.

وأمَّا أسماؤهم، فقال هشيمٌ: مَكْسِلْمِينا، ويَمْلِيخا، وطرينوس، وسدينوس، وسرينوس، ونواسس، ويرانوس، وفي التفسير خلافٌ في أسمائهم فلم أطل بِهِ.

واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان لراعٍ مرُّوا به فتبعهم الرَّاعي والكلب، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيدُ بنُ عميرٍ.

والثالث: أنَّهم مرَّوا بكلبٍ فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلبُ: ما تريدون منِّي؟ لا تخشوا جانبي أنا أحب أحباء الله، فناموا حتَّى أحرسكم، قاله كعبُ الأحبار.

وفي اسم كلبهم أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: قطمير، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: اسمه الرَّقيم، وقد ذكرناه عن سعيدِ بنِ جبيرٍ.

والثالث: قطمور، قاله عبدُ الله بنُ كثيرٍ.

والرابع: حمران، قاله شعيبُ الجبائي.

وفي صفته ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أحمر، حكاه الثَّوريُّ.

والثاني: أصفر، حكاه ابنُ إسحاقَ.

والثالث: أحمر الرَّأس، أسود الظَّهر، أبيض البطنِ، أبلق الذَّنب، ذكره ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾.

حرَّك الياءَ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأسكنها الباقون(١).

قوله: ﴿ مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ أي: ما يعلمُ عددهم إلَّا قليل من النَّاس.

قال عطاءٌ: يعني بالقليل: أهل الكتاب(٢).

قال ابنُ عبَّاسٍ: أنا من ذلك القليل، هم سبعةٌ، إنَّ الله عدَّهم حتَّى انتهى إلى السَّبعة(٣).

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٩٦)، والمبسوط (١/ ٣٤٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٩) من طريق ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاء الخُراسانيِّ، عنِ ابنِ عباسٍ، ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الكهف: ٢٢] قال: يعني أهلَ الكتابِ.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢١٩) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، به، بنحوه.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٦٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠) من طريق قتادة، قال: كان ابنُ عبَّاسٍ يقولُ: «**أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ هُمْ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**».

قوله: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ[(١)]، وقتادةُ[(٢)]: لا تمار أحدًا، حسبك ما قصصت عليك من أمرهم.

وقال ابنُ زيدٍ: لا تمار في عدَّتهم إلَّا مراءً ظاهرًا أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون[(٣)].

وقيل: إلَّا مراءً ظاهرًا بحجَّةٍ واضحةٍ، حكاه المَاوَرْدِيُّ[(٤)].

والمراء في اللُّغة: الجدال؛ يقال: مارى يماري مماراة ومراء، أي: جادل.

قال ابنُ الأنْبَارِيِّ: معنى الآية: لا تجادل إلَّا جدالَ متيقِّنٍ عالم بحقيقةِ الخبر، إذ الله تعالى ألقى إليك ما لا يشوبه باطلٌ.

وتفسير المراءِ في اللُّغة: استخراج غضب المجادلِ، من قولهم: مريت الشاة: إذا استخرجت لبنها[(٥)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ أي: في أصحابِ الكهفِ، ﴿مِّنْهُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: من أهل الكتابِ[(٦)].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢١) من طريق عطيَّة العوفي، به، بنحوه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٦٦)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢١) من طريق معمر بن راشد، به، بنحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠) من طريق ابن وهب، به، بنحوه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٨).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٤).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٢) من طريق قابوس، عن أبيه، به.

قال الفَرَّاءُ: أتاه فريقان من النَّصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النَّبيُّ ﷺ عن عددهم، فنهي عن ذلك(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[الكهف: ٢٣-٢٤].

سبب نزولها: أنَّ قريشًا سألوا النَّبيَّ ﷺ عن ذي القرنين، وعن [٤٩٨/أ] الرُّوح، وعن أصحابِ الكهفِ، فقال: غدًا أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يومًا لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ(٢).

ومعنى الكلام: ولا تقولنَّ لشيءٍ: إنِّي فاعلٌ ذلك غدًا، إلَّا أن تقول: إن شاء الله، فحذف القولَ.

قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: معناه: واذكر ربَّك بعد تقضي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله ـ إذا صلَّى ـ حاجتك، أي: بعد انقضاءِ الصَّلاة.

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٨).

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة كما في الدر المنثور (٥/ ٣٥٨) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به، فذكره، ومحمد بن السائب الكلبي متروك.

وللمفسِّرين في معنى الآيةِ ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنَّ المعنى: إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يومٍ أو شهرٍ أو سنةٍ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، والجمهورُ.

والثاني: أنَّ معنى إذا نسيت: إذا غضبت، قاله عكرمةُ.

قال ابنُ الأَنْبَارِيِّ: وليس ببعيدٍ، لأنَّ الغضبَ ينتج النِّسيانَ.

والثالث: إذا نسيت الشَّيء فاذكر الله ليذكرك إيَّاه، حكاه الماوَرْدِيُّ(١).

فصل

وفائدةُ الاستثناءِ أن يخرج الحالفُ من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصَّة موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسلم من الكذبِ لوجودِ الاستثناءِ في حقِّه.

ولا تختلف الرِّواية عن أحمدَ أنَّه لا يصحُّ الاستثناء في الطَّلاق والعتاق، وأنَّه إذا قال: أنت طالقٌ إن شاء اللهُ، وأنت حرٌّ إن شاءَ الله، أن ذلك يقعُ، وهو قولُ مالكٍ.

وقال أبو حنيفةَ والشَّافعيُّ: لا يقعُ شيءٌ من ذلك.

وأمَّا اليمين بالله تعالى؛ فإنَّ الاستثناء فيها يصحُّ، بخلاف الطَّلاقِ، وكذلك الاستثناء في كلِّ ما يُكفَّر، كالظِّهار، والنَّذر، لأنَّ الطلاقَ والعتاقَ لفظه لفظ إيقاع، وإذا علق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع

(١) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٩).

مـن جهتِـهِ، بخـلافِ سـائر الأيـمان، لأنَّهـا ليسـت بموجبـات للحكـم، وإنَّـما تتعلَّـق بأفعـال مسـتقبلة.

وقد اختلف في الوقت الذي يصحُّ فيه الاستثناء على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه لا يصـحُّ الاسـتثناء إلَّا موصـولاً بالـكلام، وقـد روي عـن أحمـدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نحـو هـذا، وبـه قـالَ أكثـرُ الفقهـاءِ.

والثـاني: أنَّـه يصـحُّ مـا دام في المجلـسِ، قالـه الحسـنُ وطـاووسُ، وعـن أحمـدَ نحـوه.

والثالـث: أنَّـه لـو استثنى بعـد سـنة، جـاز، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ، ومجاهـدٌ، وسـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، وأبـو العاليـة.

وقـال ابـنُ جريـرِ الطَّـبريُّ: الصـوابُ للإنسـان أن يسـتثني ولـو بعـد حنثـه في يمينـه، فيقـول: إن شـاء الله، ليخـرج بذلـك ممـا ألزمـه الله في هـذه الآيـة، فيسـقطُ عنـه الحـرج، فأمَّـا الكفـارة فـلا تسـقطُ عنـه بحـالٍ، إلَّا أن يكون الاسـتثناء موصـولًا بيمينـه، ومـن قـال: لـه ثنيـاه ولـو بعـد سـنةٍ، أراد سـقوط الحـرج الـذي يلزمـه بـتركِ الاسـتثناءِ دون الكفَّـارة[1].

قوله: ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي ﴾. [٤٩٨/ب]

قـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو: «يهدينـي ربي» بيـاءٍ في الوصـلِ دون الوقـفِ، وقـرأ ابـنُ كثـيرٍ بيـاءٍ في الحالـين.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٧٢).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ بغير ياءٍ في الحالين(١).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: عسى أن يعطيني ربِّي من الآيات والدِّلالات على النبوَّة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدل من قصَّة أصحابِ الكهفِ، ففعل الله له ذلك، وآتاه من علم غيوب المرسلين ما هو أوضح في الحجَّة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحابِ الكهفِ، هذا قول الزَّجَّاج(٢).

والثاني: أنَّ قريشًا لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحابِ الكهف، قال: غدًا أخبركم كما شرحنا في سببِ نزولِ الآيةِ، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ أي: عسى أن يعرفني جوابَ مسائلكم قبل الوقت الذي حدَّدته لكم، ويعجِّل لي من جهته الرَّشاد، هذا قول ابنِ الأنباريِّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦)﴾[الكهف: ٢٥-٢٦].

قوله: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ منوَّناً.

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤١)، و المبسوط(١/ ٣٤٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٨).

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «ثلاث مائةِ سنين» مضافاً غير منوَّن[١].

قال أبو عليٍّ: العددُ المضافُ إلى الآحادِ قد جاء مضافاً إلى الجميعِ، قال الشَّاعر[٢]:

وَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ سَحْقِ عِمامةٍ وخمسِ مِيءٍ مِنْهَا قَسِيٌّ وزائفُ

وفي هذا الكلام قولان:

أحدهما: أنَّه حكايةٌ عما قال النَّاسِ في حقِّهم، وليس بمقدارِ لبثهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ، واستدلَّ عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾، وكذلك قال قتادةُ[٣]، وهذا قول أهل الكتابِ.

والثاني: أنَّه مقدارُ ما لبثوا، قاله عبيدُ بنُ عمير، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ، وابنُ زيدٍ؛ والمعنى: لبثوا هذا القدرِ من يوم دخلوه إلى أن بعثَهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله: ﴿سِنِينَ﴾.

قال الفرَّاءُ، وأبو عُبيدةَ، والكسائيُّ، والزَّجَّاجُ: التقدير: سنين ثلاث مائة[٤].

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (٥/ ١٣٦)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٢) البيت لمزرِّد بن ضرار في المحكم والمحيط (٢/ ٥٦٠)، والألفاظ (١/ ٣٥٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٣)، ولسان العرب (٩/ ١٤٣)، وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ١٣٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قولُهُ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] هذا قولُ أهلِ الكتَابِ، فَرَدَّهُ الله عليهم فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾.

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٨).

وقال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: أنَّها لم تكن شهورًا ولا أيَّامًا، وإنَّما كانت سنين[١].

وقال أبو عليٍّ الفارسيِّ: سنين بدل من قولِهِ: ثلاث مائة[٢].

قال الضَّحاكُ: نزلت: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ فقالوا: أيَّاماً، أو شهورًا، أو سنين؟ فنزلت: سنين، فلذلك قال: سنين، ولم يقل: سنة[٣].

قوله: ﴿سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ يعني: تسعَ سنين، فاستغنى عن ذكرِ السنين بما تقدَّم من ذكرها.

ثم أعلم أنَّه أعلم بقدر مدَّة لبثهم من أهلِ الكتابِ المختلفين فيها، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

قال ابنُ السائبِ: قالت نصارى نجران: أمَّا الثلاث مائة، فقد عرفناها، وأمَّا التِّسع، فلا علم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ وقيل: إنَّ أهل الكتاب قالوا: إنَّ للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاث مائة وتسع سنين، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غير الله.

[٤٩٩/أ] وقيل: إنَّما زاد التِّسع، لأنَّه تفاوت ما بين السِّنين الشَّمسية والسِّنين القمرية، حكاه الماوَرديُّ[٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٣٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٠) من طريق أبي أسامة، عن الأجلح، به، بنحوه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٠٠).

قوله: ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه على مذهب التَّعجب، فالمعنى: ما أسمع الله به وأبصر، أي: هو عالمٌ بقصَّة أصحابِ الكهفِ وغيرهم، هذا قولُ الزَّجَّاجِ، وذكر أنَّه إجماع العلماء(١).

والثاني: أنَّه في معنى الأمرِ، فالمعنى: أبصر بدين الله وأسمع، أي: بصر بهدى الله وأسمع، فترجع الهاءُ إمَّا على الهدى، وإمَّا على الله ﷻ، ذكره ابنُ الأنْبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي: ليس لأهلِ السَّموات والأرضِ من دون الله من ناصرٍ، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ولا يجوز أن يحكم حاكمٌ بغير ما حكم به، وليس لأحدٍ أن يحكم من ذاتِ نفسهِ فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمِهِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «ولا تُشْرِكْ» جزماً بالتَّاء(٢)، والمعنى: لا تشرك أيُّها الإنسانُ.

قوله: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف: ٢٧-٢٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والحجة (٥/ ١٤١)، والتيسير (ص: ١٤٣).

قوله: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ﴾ في هذه التلاوة قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى القراءةِ.

والثاني: بمعنى الاتباع.

فيكون المعنى على الأوَّل: اقرأ القرآنَ، وعلى الثاني: اتَّبعه واعمل به.

وقد شرحنا في سورة الأنعام معنى ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[1].

قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾.

قال مجاهدٌ[2]، والفرَّاءُ[3]: ملجأ.

وقال الزَّجَّاجُ: معدلًا عن أمرِهِ ونهيه[4].

وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاءِ.

قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾.

سبب نزولها: أنَّ المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ: عيينة بن حصنٍ، والأقرعُ بنُ حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسولَ الله: لو أنَّك جلست في صدرِ المجلس، ونحيت هؤلاء عنَّا ـ يعنون سلمان وأبا ذرٍّ وفقراء المسلمين ـ وكانت عليهم جباب الصُّوف ـ جلسنا إليك، وأخذنا

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم: (١١٥).

(٢) هو في تفسير مجاهد (ص: ٤٤٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٥) من طريق سفيان، عن منصور، به.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٠).

عنك، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسولُ الله ﷺ يلتمسهم، حتَّى إذا أصابهم في مؤخّر المسجدِ يذكرون الله، قال: الحمدُ لله الذي لم يمتني حتَّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمَّتي، معكم المحيا ومعكم المهات، هذا قولُ سلمانَ الفارسيِّ[١].

ومعنى قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: احبسها معهم على أداءِ الصَّلوات ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾.

وقد فسرنا هذه الآية في الأنعامِ[٢] إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تصرف بصرك إلى غيرِهم من ذوي الغنى والشَّرف؛ وكان عليه السلام حريصًا على إيمانِ الرُّؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريدًا لزينةِ الدُّنيا قط، فأمر أن يجعل إقبالَه على فقراءِ المؤمنين.

قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾.

سببُ نزولها: أن أميَّةَ بنَ خلفٍ الجمحيَّ، دعا رسولَ الله ﷺ إلى طردِ الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ[٣]. [٤٩٩/ ب]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٠)، والواحدي في أسباب النزول (٣/ ١٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠١٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٥٢).

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٩٨) من طريق جويبر، عن الضحاك، به، بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨٢) لابن مردويه.

وفي روايةٍ أُخرى عنه أنّه قال: هو عيينة وأشباهه[١].

ومعنى أغفلنا قلبه: جعلناه غافلًا.

وقرأ أبو مجلزٍ: «من أغْفَلَنَا» بفتح اللّام، ورفع باء القلب[٢].

﴿عَن ذِكْرِنَا﴾: عن التّوحيد والقرآن والإسلامِ، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشِّركِ.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ **فيه أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنّه أفرط في قولِه، لأنّه قال: إنّا رؤوس مضر، وإن نسلم يسلم النّاس بعدنا، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبّاسٍ.

والثاني: ضياعًا، قاله مجاهدٌ.

وقال أبو عُبيدةَ: سرفًا وتضييعًا[٣].

والثالث: نَدَمًا، حكاه ابنُ قُتيبةَ عن أبي عُبيدةَ[٤].

والرابع: كان أمرُه التّفريط، والتّفريط: تقديمُ العجزِ، قاله الزّجّاجُ[٥].

---

(١) انظر: الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٥).

(٢) على معنى أهمل ذكرنا وتركه، في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والمحتسب (٢/ ٢٨) قراءة عمرو بن فائد، وزاد المهدوي في التحصيل (٤/ ١٧٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٥١٣) موسى الأسوري، وفي البحر المحيط (٧/ ١٦٨) عمرو بن عبيد.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨١).

قولـه تعـالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهـف: ٢٩].

قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقلِ الذي أتيتكم به الحق من ربّكم[١].

قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه وعيدٌ وإنذارٌ، وليس بأمرٍ، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

والثالـث: أنَّ معنـاه لا تنفعـون الله بإيمانكـم، ولا تضرُّونـه بكفركـم، قالـه المَاوَرْدِيُّ[٣].

وقال بعضُهم: هذا إظهارٌ للغنى، لا إطلاق في الكفرِ.

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ أي: هيَّأنـا وأعددنـا، وقـد شرحنـاه في قولِـه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ﴾[يوسـف ٣١].

فأمَّا الظالمون، فقال المفسِّرون: هم الكافرون.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٠٣).

وأمَّا السّرادق، فقال الزَّجَّاجُ: السُّرَادِقُ: كل ما أحاط بشيءٍ، نحو الشقة في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيءِ[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: السُّرَادِقُ: الحجرة التي تكون حول الفسطاط[٢].

وقرأت على شيخنا أبي منصورٍ اللُّغوي، قال: السرادق فارسيٌّ معرَّبٌ، وأصله بالفارسيَّة سرادار، وهو الدهليز[٣]، قال الفرزدقُ[٤]:

تَمَنَّيْتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيتُهُمْ ... تَرَكْتُ لَهُمْ قَبْلَ الضِّرَابِ السُّرَادِقَا

وفي المراد بهذا السرادق قولان:

أحدهما: أنَّه سرادق من نارٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

روى أبو سعيد الخدريُّ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُدُرٍ، كِثَفُ[٥] كُلِّ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**»[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٣) انظر: المعرب (ص: ٣٩٨).

(٤) البيت في ديوانه (٢/ ٥٨٦)، والمعرب (ص: ٣٩٨).

(٥) قوله: «كِثَفُ كُلِّ وَاحِدَةٍ»: يَعْنِي غِلَظَهُ.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد كما في زيادات المروزي (٢/ ٩٠)، وأحمد في مسنده (٩/ ٢٣)، والترمذي (٢٥٨٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٤٣) وصححه، من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، به، بنحوه. وهذا إسناد ضعيف، لضعف دراج -وهو ابن سمعان أبو السمح- في روايته عن أبي الهيثم -وهو سليمان بن عمرو العتواري.

وفي روايةِ أبي صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: السَّرادق: لسان من النَّار، يخرج من النَّار فيحيطُ بهم حتَّى يفرغ من حسابِهم[١].

والثاني: أنَّه دخانٌ يحيط بالكفَّار يوم القيامةِ، وهو الظِّلُّ ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في المرسلاتِ[٢] قاله ابنُ قُتيبةَ[٣].

قوله: ﴿سُرَادِقُهَاۚ﴾ أي: مما هم فيه من العذابِ وشدَّة العطشِ.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وفيه سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ماءٌ غليظٌ كدردي الزَّيت، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه كل شيءٍ أذيب حتَّى انماع، قاله ابنُ مسعودٍ.

وقال أبو عُبيدةَ، والزَّجَّاجُ: كل شيءٍ أذبته من نحاسٍ أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مهل[٤].

والثالث: قيحٌ ودمٌ أسود كعكر الزَّيت، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أنَّه الفضةُ والرَّصاص يذابان، روي عن مجاهدٍ أيضاً.

والخامس: أنَّه الذي انتهى حرُّه، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٦) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس في قولهِ: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩] قالَ: «هِيَ حَائِطٌ مِنْ نَارٍ».

(٢) انظر: تفسير سورة المرسلات الآية رقم (٣٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

[٥٠٠/أ] **والسادس**: أنَّه الصديدُ، ذكره ابنُ الأَنْبَارِيِّ.

قال مغيثُ بنُ سمي: هذا الماءُ هو ما يسيل من عرق أهل الموقفِ في الآخرة وبكائهم، وما يجري منهم من دمٍ وقيحٍ، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنَّم، فتطبخه جهنَّم، فيكون أوَّل ما يغاث به أهل النَّار.

والسابع: أنَّه الرَّماد الذي ينفض عن الخبزة إذا خرجت من التَّنور، حكاه ابنُ الأَنْبَارِيِّ.

قوله: ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ قال المفسِّرون: إذا قرَّبه إليه سقطت فروةُ وجهه فيه.

ثم ذمَّه، فقال: ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ ﴾ النَّار ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾.

وفيه خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: منزلًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: مجتمعًا، قاله مجاهدٌ.

والثالث: مُتَّكأً، قاله أبو عُبَيْدَةَ[١]، وأنشد لأبي ذُؤَيْبٍ[٢] [من البسيط]:

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقًا ... كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٠).

(٢) البيت في الكامل (٤/ ٥٧)، وشرح شعر الهذلي (ص: ١٢٠)، والتنبيه والإيضاح (١/ ١٠٦)، وأساس البلاغة (ذبح)، ولسان العرب (١/ ٥٣٧)، وتاج العروس (١٢/ ١٤٢)، وخزانة الأدب (٥/ ١٣٧) وفي كثير من المصادر يروى: إِني أَرِقْتُ فبِتُّ الليلَ مُشْتَجِراً.

وذبحه: انفجاره.

قال الزَّجَّاجُ: مرتفقًا منصوبٌ على التَّمييز؛ ومعنى مرتفقًا: متكئاً على المرفقِ[١].

والرابع: ساءت مجلساً؛ قاله ابنُ قُتيبةَ[٢].

والخامس: ساءت مطلبًا للرِّفق، لأنَّ مَن طلبَ رفقًا من جهتها، عدمه، ذكره ابنُ الأَنْبارِيِّ.

ومعاني هذه الأقوال تتقاربُ.

وأصلُ المرفق في اللُّغة: ما يرتفق به.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف: ٣٠-٣١].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: خبر «إنَّ» **هاهنا على ثلاثةِ أوجهٍ**:

أحدها: أن يكون على إضمار: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ منهم، ولم يحتج إلى ذكر «منهم»؛ لأنَّ الله تعالى قد أعلمنا أنَّه محبطٌ عمل غير المؤمنين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

والثاني: أن يكون خبر «إنَّ»: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾، فيكون قوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ قد فصل به بين الاسمِ وخبرِه، لأنَّه يحتوي على معنى الكلام الأوَّل، لأنَّ من أحسن عملاً بمنزلةِ الذين آمنوا.

والثالث: أن يكون الخبر: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾؛ بمعنى: أنَّا لا نضيع أجرهم[١].

قال المفسِّرون: ومعنى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعًا، بل نجازيه عليها بالثَّواب.

فأمَّا الأساور، فقال الفَرَّاءُ: في الواحدِ منها ثلاث لغاتٍ: إِسْوَارٌ و سِوَارٌ وسُوَارٌ؛ فمن قال: إِسْوَارٌ، جمعه أَسَاوِرُ، ومن قال: سِوَارٌ أو سُوَارٌ، جمعه أَسْوِرَةٌ، وقد يجوز أن يكون واحد أساورة وأساور: سوار[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: الْأَسَاوِر جمع أَسْوِرة، وإِسْوَرَة، يقال هُو سِوَارٌ في اليد، بالكسر، وقد حكي: سوار[٣].

قال المفسِّرون: لما كانت الملوك تلبس في الدُّنيا الأساور في اليد، والتِّيجان على الرُّؤوس، جعل الله ذلك لأهل الجنَّة.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: يحلى كل واحدٍ منهم بثلاثةٍ من الأساور، واحدٌ من الذَّهب وواحدٌ من لؤلؤٍ ويواقيت[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٣).

(٢) انظر: لغات القرآن (ص: ١٠٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٣).

(٤) انظر: الوسيط (٣/ ١٤٧)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٩).

فأمَّا السُّندسُ والإستبرقُ، فقال ابنُ قُتيْبَةَ: السُّندس: رقيق الدِّيباج، والإستبرق ثخينه(١).

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغوي، قال: السُّندس رقيق الدِّيباج، لم يختلف أهل اللُّغة في أنَّه معربٌ(٢)، قال الرَّاجز(٣) [من الرجز]:

وَلَيْلَة مِنْ اللَّيالي حِنْدِسِ لَوْنُ حَواشِيها كَلَوْنِ السُّنْدُسِ

والاستبرقُ: غليظُ الدِّيباج، فارسيٌّ معرَّب، وأصله استفره، وقال [٥٠٠/ب] ابنُ دريدٍ: استروه، ونقل من العجميَّة إلى العربيَّة، فلو حُقِّر استبرق، أو كسر، لكان في التحقير أُبيرق، وفي التكسير أبارق بحذفِ السِّين، والتَّاء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ الاتِّكاء: التحاملُ على الشَّيءِ.

قال أبو عُبيدَةَ: والأرائكُ: الفرش في الحجال، ولا تكون الأريكةُ إلَّا بحجلةٍ وسرير(٤).

وقال ابنُ قُتيبةَ: الأرائكُ: السُّرر في الحجال، واحدها: أريكةٌ(٥).

وقال ثعلبٌ: لا تكون الأريكةُ إلَّا سريرًا في قبَّة عليه شَواره ومتاعه.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٢) انظر: المعرب (ص: ٣٦١).

(٣) البيت بلا نسبة في المخصص (٢/ ٣٨٥)، والألفاظ (١/ ٣٠٤)، والمعرب (ص: ٣٦١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠١).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).



قال ابنُ قُتيبةَ: الشَّوار، مفتوحُ الشَّين، وهو متاع البيتِ[١].

وقال الزَّجَّاجُ: الأرائكُ: الفرش في الحجال. قال: وقيل: إنَّها الفرش، وقيل: الأسرَّة، وهي على الحقيقة: الفُرش كانت في حجال لهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٢-٣٦].

قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾.

روى عطاءٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي وتركهما، فاتَّخذ أحدُهما الجنان والقصور، وكان الآخرُ زاهداً في الدُّنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئًا من زينة الدُّنيا، أخذ مثل ذلك فقدَّمه لآخرته، حتَّى نفد ماله، فضربهما الله ﷻ مثلاً للمؤمنِ والكافر الذي أبطرته النِّعمة[٣].

وروى أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ المسلم لما احتاج، تعرض لأخيه الكافر، فقال الكافرُ: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقتُه في سبيلِ الله، فقال الكافرُ: لكنِّي ابتعت به جناناً، وغنماً، وبقرًا، والله لا أعطيتك شيئاً أبدًا حتَّى تتَّبع ديني، ثم أخذ بيدِ المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه.

(١) انظر: أدب الكاتب (ص: ٦٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٤).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٨).

وقال مُقَاتِلٌ: اسمُ المؤمن يمليخا، واسمُ الكافر قرطس، وقيل: قطرس، وقيل: هذا المثل ضرب لعيينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه[1].

قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ «الْحَفُّ»: الإحاطةُ بالشَّيء، ومنه قوله: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، والمعنى: جعلنا النَّخل مطيفاً بها.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إعلام أنَّ عمارتهما كاملة.

قوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: لم يقل: آتتا، لأن كِلْتَا ثنتان لا تفرد واحدتهما، وأصله: كل، كما تقول للثَّلاثة: كل، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمعِ، وجاز توحيدُه على مذهبِ كل، وتأنيثُه جائزٌ للتَّأنيث الذي ظهر في كلتا، وكذلك فافعل بكلا وكلتا وكل، إذا أضفتهن إلى معرفة وجاء الفعل بعدهنَّ، فوحد واجمع، فمن التَّوحيد قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، ومن الجمع: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، والعرب قد تفعل ذلك أيضاً في أي، فيؤنِّثون ويذكرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ويجوز في الكلامِ بأيت أرضٍ، وكذلك ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ويجوزُ في الكلامِ في أيت[2]، قال الشاعرُ[3] [من الطويل]:

---

(١) انظر: مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٢).

(٣) البيت نسبه الجاحظ في الحيوان (ص: ٨٩) إلى عبد الله بن الحارث، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان حين فارق مصعبًا، وهو في معاني القرآن (٢/ ١٤٣)، والمذكر والمؤنث (٢/ ٢٦٨) بلا نسبة.



[٥٠١/أ] بـأي بـلاءٍ أم بأيَّـة نعمـةٍ تقـدَّم قبـلي مسـلمٌ والمهلَّـب

قـال ابـنُ الأنْبَـارِيِّ: كلتـا وإن كان واقعـاً في المعنـى عـلى اثنتين، فـإنَّ لفظه لفـظ واحـدة مؤنَّثـة، فغلـب اللَّفـظ، ولم يسـتعمل المعنـى ثقـة بمعرفـة المخاطبِ بـه؛ ومـن العـرب مـن يؤثـر المعنـى عـلى اللَّفـظ، فيقـول: كلتـا الجنَّتـين آتتـا أكلهـا، ويقـول آخـرون: كلتـا الجنتـين آتـى أكلـه، لأنَّ كلتـا تفيـد معنـى كل، قـال الشَّـاعر[١] [مـن الطَّويـل]:

وَكِلَتَاهُمَـا قَـدْ خُـطَّ لِي في صَحِيفَتِـي فَـلَا الْمَوتُ أَهْـوَاهُ وَلا الْعَيْـشُ أَرْوَحُ

يعنـي: وكلهـما قـد خـطَّ لي، وقـد قالـت العـرب: كلُّكـم ذاهـبٌ، وكلكـم ذاهبـون. فوحَّـدوا للفـظ «كل»، وجمَّعـوا لتأويلهـا[٢].

وقـال الزَّجَّـاجُ: لم يقـل آتتـا، لأنَّ لفـظ كلتـا لفـظ واحـدة، والمعنـى: كل واحـدة منهما آتـت أكلهـا ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تنقـص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فأعلمنـا أن شربهـما كان مـن مـاء نهـر، وهـو مـن أغـزر الـشُّربِ[٣].

وقـال الفَـرَّاءُ: إنَّـما قـال: فجَّرنـا بالتَّشـديد، وهـو نهـرٌ واحـدٌ، لأنَّ النَّهـر يمتـد، فـكان التفجـر فيـه كلـه[٤].

---

(١) البيـت لابـن مقبـل كـما في الحيـوان (٣/ ٢١)، وحماسـة البحـتري (ص: ٢٥٨)، وبـلا نسـبة في المذكر والمؤنـث (٢/ ٢٧٢)، وخزانـة الآداب (٥/ ٥٨).

(٢) انظر: المذكر والمؤنث (٢/ ٢٧٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٥).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).

قرأ أبو رَزِين، وأبو مجلزٍ، وأبو العالية، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلةَ: «وَفَجَرْنَا» بالتَّخفيف[١].

وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكِّل: «خِلَلَهُمَا»[٢].

وقرأ أبو العالية، وأبو عِمرانَ: «نهْرًا» بسكونِ الهاءِ[٣].

قوله: ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ يعني للأخ الكافر ﴿ثَمَرٌ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «وكان له ثُمُرٌ»، «وأحيط بثُمُره» بضمَّتين.

وقرأ عاصمٌ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الثَّاءِ والميم فيهما[٤].

وقرأ أبو عمرٍو: «ثُمْرٌ» و«بثُمْرِهِ» بضمَّةٍ واحدةٍ وسكون الميمِ[٥].

قال الفرَّاءُ: «الثمَر»، بفتح الثَّاءِ والميم: المأكول، وبضمِّها: المال[٦].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣) عن سلام، ويعقوب، وفي التحصيل للمهدوي(٤/ ١٩١) عن عيسى بن عمر الثقفي، وانظر: المحرر (٣/ ٥١٦)، والبحر المحيط (٧/ ١٧٤) وزاد الأعمش.

(٢) لم نقف عليها.

(٣) وهي قراءة أبي السَّمَّال، والفياض بن غزوان، وطلحة بن سليمان، وانظر: المحرر (٣/ ٥١٦)، والبحر المحيط (٧/ ١٧٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٦٤)، والحجة (٥/ ١٤٢)، والتيسير (ص:١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٧)، وانظر: التحصيل(٤/ ١٩١)، والمحرر(٣/ ٥١٦)، والبحر المحيط(٧/ ١٧٥).

(٥) انظر: التحصيل (٤/ ١٩١).

(٦) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).



وقـال ابـنُ الأَنبـارِيِّ: الثَمَـر، بالفتـح: الجمـع الأوَّل، والثُمـر، بالضـمِّ جمـع الثمـر، يقـال: ثَمـر، وثُمـر، كـما يقـال: أَسـد، وأُسـد ويصلـح أن يكـون الثمـر جمـع الثِّـمار، كـما يقـال: حِمـار وحُمـر، وكِتـاب وكُتـب؛ فمـن ضـمَّ قـال: الثمـر أعـم، لأنَّهـا تحتمـل الثـمار المأكولـة، والأمـوال المجموعـة.

قـال أبـو علـيٍّ الفـارسيِّ: وقـراءةُ أبي عمـرٍو: «ثُمْـرٌ» يجـوز أن تكـون جمـع ثـمارٍ، ككتـاب، وكتـب، فتخفَّـف، فيقـال: كتـب، ويجـوز أن يكـون ثمـر جمـع ثمـرة، كبدنـة وبـدن، وخشـبة، وخشـب، ويجـوز أن يكـون ﴿ثَمَرٌ﴾ واحـداً، كعنـق، وطنـب[1].

وقد ذكر المفسِّرون في قراءةِ من ضمَّ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه المالُ الكثير من صنوف الأموالِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الذَّهبُ والفضَّةُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه جمع ثَمَرَة.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثَمَرٌ، وثمارٌ وثُمرٌ[2].

فـإن قيـل: مـا الفائـدةُ في ذكـر الثَّمـر بعـد ذكـر الجنَّتـين، وقـد علـم أنَّ صاحـب الجنَّـة لا يخلـو مـن ثمـرٍ؟ **فعنـه ثلاثـةُ أجوبـةٍ:**

أحدهـا: أنَّـه لم يكـن أصـلُ الأرض ملـكاً لـه، وإنَّـما كانـت لـه الثِّـمار، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ.

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٥).

والثاني: أنَّ ذكرَ الثَّمر دليلٌ على كثرة ما يملك من الثِّمار في الجنَّتين وغيرهما، ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ. [٥٠١/ب]

والثالث: أنا قد ذكرنا أنَّ المراد بالثَّمر الأموال من الأنواع، وذكرنا أنَّها الذَّهبُ والفضَّة، وذلك يخالف الثَّمر المأكول.

قال أبو عليٍّ الفارسيِّ: مَن قال: هو الذَّهبُ، والورِقُ، فإنَّما قيل لذلك: ثمرٌ على التَّفاؤل، لأنَّ الثمرَ نماء في ذي الثمرِ، وكونه هاهنا بالجني أشبه من الذَّهب والفضَّةِ[1].

ويقوي ذلك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾، والإنفاقُ من الورق، لا من الشجر.

قوله: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: يراجعه الكلام ويجاوبه.

وفيما تحاورا فيه قولان:

أحدهما: أنَّه الإيمانُ والكفرُ.

والثاني: طلبُ الدُّنيا، وطلبُ الآخرةِ.

فأمَّا النَّفر فهم الجماعةُ، ومثلهم: القومُ والرَّهطُ، ولا واحد لهذه الألفاظِ من لفظها.

وقال ابنُ فارسٍ اللُّغوي: «النَّفر»: عدَّة رجالٍ من ثلاثة إلى عشرة[2].

---

(١) انظر: الحجة (٣/ ٣٧٠).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ٨٧٨).

وفيمن أراد بنفره ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: عبيده، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: ولده، قاله مُقاتلٌ[(١)].

والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمانَ.

قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفرِ، وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أنكر فناء الدُّنيا، وفناء جنَّته، وأنكر البعثَ والجزاءَ بقولِهِ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وهذا شكٌّ منه في البعثِ، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: كما تزعم أنت.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يقول: إن كان البعثُ حقًّا ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾[(٢)].

قرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرةِ والكوفةِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «خيراً منهما» بزيادة ميمٍ على التَّثنية، وكذلك هي في مصاحفِ أهل مكَّةَ والمدينة والشام[(٣)].

قال أبو عليٍّ: الإفرادُ أولى؛ لأنَّه أقربُ إلى الجنَّة المفردة في قولِه:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٩).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والحجة (٥/ ١٤٤)، والتيسير (ص: ١٤٨)، والمبسوط (١/ ٢٧٧).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، والتَّثنية لا تمتنع، لتقدُّم ذكر الجنَّتين(١).

قوله تعالى: ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدُّنيا، سيعطيني في الآخرةِ أفضل منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾[الكهف: ٣٧- ٤١].

قوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: خلق أباكَ آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: ما أنشىء هو منه، فلمَّا شكَّ في البعثِ كان كافراً.

قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصم، وحمزةُ، والكسائيُّ، وقالونُ عن نافعٍ: «لكنَّ هو الله ربي»، بإسقاط الألفِ في الوصلِ، وإثباتها في الوقفِ.

وقرأ نافعٌ في روايةِ المسيَّبي بإثباتِ الألفِ وصلاً ووقفاً، وأثبت الألف ابنُ عامرٍ في الحالين(٢).

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، والحجة (٥/ ١٤٤)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٧).

وقرأ أبو رجاءٍ: «لكنْ» بإسكانِ النُّون خفيفة من غير ألفٍ في الحالين[١].

وقرأ ابنُ يعمرَ: «لكنَّ» بتشديد النُّون من غير ألفٍ في الحالين.

وقرأ الحسنُ: «لكنْ أنا هو الله ربي» بإسكانِ نون «لكنْ» وإثبات «أنا»[٢].

قال الفَرَّاءُ: فيها ثلاثُ لغاتٍ: لَكِنَّا، ولَكِنَّ، ولَكِنَّهُ، بالهاءِ[٣]، أنشدني أبو ثروانَ[٤] [من الطويل]:

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ   وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكِ لَا أَقْلِي

وقال أبو عُبيدةَ: مجازُه: «لكن أنا هو الله ربي»، ثمَّ حذفت الألفِ [٥٠٢/أ] الأولى، وأُدغمت إحدى النُّونين في الأخرى فشدِّدت[٥].

قال الزَّجَّاجُ: وهذه الألف تحذف في الوصلِ، وتثبت في الوقفِ، فأمَّا من أثبتها في الوصلِ كما تثبت في الوقفِ، فهو على لغة مَن يقول: أنا قمت، فأثبت الألف، قال الشاعرُ[٦] [من الوافر]:

أَنَـا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي   ....

---

(١) انظر: التحصيل (٤/ ١٩٢)، والمحرر (٣/ ٥١٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (٤/ ١٩٢) عن أُبي بن كعب، والحسن.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).

(٤) البيت بلا نسبة في تذكرة النحاة (ص: ٢٣)، والجنى الداني (ص: ٢٣٣)، وخزانة الأدب (١١/ ٢٥٥)، وشرح المفصل (٨/ ١٤١)، ومغني اللبيب (١/ ٧٦).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٣).

(٦) البيت لحميد بن بحدل، أو حميد بن حريث بن بحدل في ديوان (ص: ١٣٣)، وأساس البلاغة (ص: ١٤٣)، ولسان العرب (١٣/ ٣٧)، وشرح المفصل (٣/ ٩٣)، وخزانة الأدب (٥/ ٢٤٢).

وهـذه القـراءة جيِّـدةٌ، لأنَّ الهمـزةَ قـد حذفـت مـن أنـا، فصـار إثبـاتُ الألـفِ عوضـاً مـن الهمـزةِ[١].

قوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي: وهلَّا؛ ومعنى الكلام التَّوبيخ.

قـال الفَـرَّاءُ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في موضـع رفـعٍ، إن شـئت رفعتـه بإضـمارِ هـو، يريـد هـو مـا شـاء الله؛ وإن شـئت أضمـرت فيـه: مـا شـاء الله كان؛ وجـاز طـرحُ جـواب الجـزاءِ، كـما جـاز في قولِـهِ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعـام: ٣٥]، ليـس لـه جـوابٌ، لأنَّـه معـروفٌ[٢].

قـال الزَّجَّـاجُ: وقولـه: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الاختيـارُ النَّصـب بغـير تنويـنٍ عـلى النَّفـي، كقولـه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهـف: ٢١]، ويجـوزُ: لا قـوَّة إلَّا بـالله عـلى الرَّفـع بالابتـداءِ، والخـبرُ بـالله، المعنـى: لا يقـوى أحـد في بدنـه ولا في ملـك يـدِهِ إلَّا بـالله تعـالى، ولا يكـون لـه إلَّا مـا شـاء الله[٣].

قوله: ﴿إِن تَرَنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «إن ترني أنا» و«يؤتيني خيراً» بياء في الوصلِ والوقفِ.

وقـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو بيـاءٍ في الوصـل، وقـرأ ابـنُ عامـرٍ، وعاصـمٌ، وحمـزةُ، بحـذفِ اليـاءِ فيهـا وصـلاً ووقفـاً[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٨).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٧)، والمبسوط (١/ ٢٨٦)، والمحرر (٣/ ٥١٨).



﴿أَنَا۠ أَقَلَّ﴾، وقرأ ابنُ أبي عبلةَ: «أنا أقلُّ» برفع اللّام[(١)].

قال الفَرَّاءُ: ﴿أَنَا۠﴾ هاهنا عِمادٌ إن نصبت ﴿أَقَلَّ﴾، واسمٌ إذا رفعت (أقلُّ)، والقراءةُ بهما جائزٌ[(٢)].

قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرةِ، ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا﴾ وفيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنّه العذابُ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والضَّحاكُ.

وقال أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ: ناراً من السَّماء[(٣)].

والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: مَرَاميَ من السَّماءِ، واحدها: حُسْبَانَة، قاله أبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ.

قال النَّضرُ بنُ شميلٍ: الحسبان: سهامٌ يرمي بها الرَّجلُ في جوفِ قصبة تنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة[(٤)].

فعلى هذا القولِ يكون المعنى: ويرسل عليها مرامي من عذابِهِ، إمَّا حجارة أو برداً أو غيرهما ممَّا يشاء من أنواعِ العذابِ.

والرابع: أنَّ الحسبانَ: الحساب، كقوله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسلُ عليها عذاب حسابِ ما

---

(١) وهي قراءة عيسى بن عمر: «أقلُّ» بالرفع، على أن يكون أنَا مبتدأ و «أقلُّ» خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني. أهـ المحرر (٣/ ٥١٨)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٥).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٧١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٣)، وغريب القرآن (ص: ٢٦٧).

كسبت يداه، هذا قول الزَّجَّاج(١).

قوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾

قال ابنُ قُتيبةَ: الصعيدُ: الأملس المستوي، والزَّلق: الذي تزل عنه الأقدامُ، والغور: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماء غور، ومياه غور، ولا يثنَّى، ولا يجمع، ولا يؤنَّث، كما يقال: رجلٌ نَوْم(٢)، ورجلٌ صَوْم، ورجل فِطْر، ورجال نوم، ونساء صوم، ويقال: للنِّساء إذا نُحْنَ: نَوْح، والمعنى: يذهب ماؤها غائراً في الأرضِ، أي: ذاهباً فيها(٣).

﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثرٌ تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأَرْشية(٤).

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: غورًا أي: ذا غور، فسقط المضاف، وخلفه [٥٠٢/ب] المضاف إليه، والمرادُ بالطَّلب هاهنا: الوصول، فقام الطَّلب مقامه لأنَّه سببه.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو المتوكِّل: «غُـؤُورًا» برفعِ الغينِ والواو الأولى(٥) جميعاً، [وواو بعدها ساكنة](٦)(٧).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٩).

(٢) في الأصل: (يوم)، والمثبت من (س)، و(م).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٢٦٧).

(٤) في الأصل: (الأغشية)، والمثبت من (س)، و(م).

(٥) ليست في (م).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (س).

(٧) قرأ الجمهور «غَوْرًا» بفتح الغين، وقرأ البرجمي: «غُوْرًا» بضم الغين، وقرأت فرقة=



قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾[الكهف: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي: أحاط الله العذابَ بثمرِهِ، وقد سبق معنى الثَّمر.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: يضربُ بيدٍ على يدٍ، وهذا فعلُ النَّادم، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في جنَّته، وفي هاهنا بمعنى على.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خاليةٌ ساقطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعروشُ: السقوفُ، والمعنى: أنَّ حيطانها قائمة والسقوف قد تهدَّمت فصارت في قرارها، فصارت الحيطان كأنَّها على السقوفِ، ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ فأخبر الله تعالى أنَّه لما سلبه ما أنعم به عليه، وحقَّق ما أنذره به أخوه في الدُّنيا، ندم على شركِهِ حين لا تنفعه النَّدامةُ.

وقيل: إنَّما يقول هذا في القيامة.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ بالتَّاء.

=بضم الغين وهمز الواو يعنون وبواو بعد الهمزة فيكون «غؤورًا» كما جاء في مصدر غارت عينه غؤورًا، والضمير في له عائد على الماء أي لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدورًا. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥١٨)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٠)

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «ولم يكن» بالياءِ(١).

والفئة: الجماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ أي: يمنعونه من عذابِ الله.

قوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواوِ، و﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ خفضاً.

وقرأ حمزةُ: « الوِلايةُ » بكسرِ الواو، ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ بكسرِ القافِ أيضاً.

وقرأ أبو عمرٍو بفتح الواو، ورفع الحق، ووافقه الكسائيُّ في رفع القافِ، لكنَّه كسر الولاية(٢).

قال الزَّجَّاجُ: معنى الولاية في مثل تلك الحال: تبيين نصرة ولي الله(٣).

وقال غيرُه: هذا الكلامُ عائدٌ إلى ما قبل قصَّة الرَّجلين، فأمَّا من فتح واو الوَلاية فإنَّه أراد الموالاة والنُّصرة، ومن كسرَ أرادَ السُّلطان والملك على ما شرحناه في آخرِ الأنفالِ(٤)، فعلى قراءةِ الفتح في معنى الكلامِ قولانِ:

أحدهما: أنَّهم يتولون الله تعالى في القيامةِ، ويؤمنون به، ويتبرَّؤون ممَّا كانوا يعبدون، قاله ابنُ قُتيبةَ(٥).

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٩)، والكامل (١/ ٥٩١)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٠٩)، والحجة (٥/ ١٤٩)، والتيسير (ص: ١٤٣)

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٧٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

والثاني: هنالك يتولَّى الله أمرَ الخلائقِ، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين.

وعلى قراءةِ الكسرِ، يكون المعنى: هنالك السُّلطانُ لله.

قال أبو عليٍّ: من كسرَ قاف «الحق»، جعله من وصفِ الله ﷻ، ومن رفعَه جعله صفة للولاية[1].

فإن قيل: لم نعتت ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ وهي مؤنثةٌ بـ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ وهو مصدر؟ فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ.

أحدهما: أنَّ تأنيثها ليس حقيقيًّا فحملت على معنى النَّصر؛ والتقدير: هنالك النَّصر لله الحقِّ، كما حملت الصَّيحةُ على معنى الصِّياح في قوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧].

والثاني: أنَّ الحقَّ مصدرٌ يستوي في لفظه المذكَّر والمؤنَّث والاثنان والجميع، فيقال: قولك حقٌّ، وكلمتك حقٌّ، وأقوالكم حقٌّ.

ويجوزُ ارتفاع الحقِّ على المدحِ للولايةِ، وعلى المدح لله تعالى بإضمارِ هو.

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: هو أفضلُ ثواباً ممن يرجى ثوابُه، وهذا على تقدير أنَّه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.

قوله: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: «عُقُباً» مضمومة القاف. [٥٠٣/أ]

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ: ﴿عُقْبًا﴾ ساكنة القافِ[2].

---

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٢)، والحجة (٥/ ١٥٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

قال أبو عليٍّ: ما كان على فعل جاز تخفيفه، كالعنق، والطنب.

قال أبو عُبيدةَ: العُقْب، والعُقُب، والعُقْبى، والعاقبة، بمعنى، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خيرٌ من عاقبة طاعةِ غيرِهِ(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: في سرعةِ نفادها(٢) وذهابِها، وقيل: في تصرُّف أحوالها، إذ مع كل فرحة ترحة، وهذا مفسَّرٌ في سورة يونسَ(٣) إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾.

قال الفرَّاءُ: الهشيم: كل شيءٍ كان رطبًا فيبس(٤).

وقال الزَّجَّاجُ: الهشيم: النَّبات الجافُّ(٥).

وقال ابنُ قُتيبةَ: الهشيم من النَّبت: المتفتت، وأصلُه من هشمت الشَّيء: إذا كسرته، ومنه سمِّي الرَّجل هاشماً(٦).

و﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تنسفه.

(١) الحجة (٥/ ١٥١).

(٢) في الأصل، و(ر): (نفاذها)، والمثبت من (م)، و(س).

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٢٤).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٨٤) عن ابن قتيبة، والزجاج.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩١).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

وقرأ أُبيٌّ، وابنُ عبَّاسٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «تُذرِيْهِ» برفع التَّاءِ وكسرِ الرَّاءِ بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ كذلك، إلَّا أنَّه فتح التَّاء[٢].

والمقتدر: مفتعل، من قدرت، قال المفسِّرون: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإنشاءِ والإفناءِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

قوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ هذا ردٌّ على المشركينَ الذين كانوا يفتخرون بالأموالِ والأولادِ، فأخبر الله تعالى أنَّ ذلك ممَّا يتزيَّن به في الدُّنيا، لا ممَّا ينفع في الآخرةِ.

قوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر.

روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**إِنْ عَجَزْتُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ تُكَابِدُوهُ، وَعَنِ الْعَدُوِّ أَنْ تُجَاهِدُوهُ فَلا تَعْجَزُوا عَنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَقُولُوهَا فَإِنَّهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**»[٣]، وهذا قول ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعطاءٌ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ.

---

(١) ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٢٠)، وفي التحصيل (٤/ ١٩٣) على الوجهين بالضم، والفتح.

(٢) «تَذرِيْهِ» عن ابن مسعود في كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٨٥)، ومختصر ابن خالويه (ص:٨٣).

(٣) رواه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥١)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٣٩٧).

وسئل عثمانُ بنُ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الباقياتِ الصَّالحاتِ، فقال: هذه الكلماتُ، وزاد فيها: ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله[١].

وقال سعيدُ بنُ المسيّب[٢]، ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القرظي مثله سواء[٣].

والثاني: أنَّها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوَّة إلَّا بالله، رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ[٤].

والثالث: أنَّها الصلواتُ الخمسُ، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال ابنُ مسعودٍ، ومسروقٌ، وإبراهيمُ.

والرابع: الكلامُ الطَّيبُ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والخامس: هي جميع أعمالِ الحسنات، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي: أفضلُ جزاء ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: خيرٌ ممَّا تؤملون، لأنَّ آمالكم كواذب، وهذا أملٌ لا يكذب.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٧)، والبزار في مسنده (٤٠٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٥)، والبيهقي في الشعب (٢٥٦٠)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحيح. مجمع الزوائد (١٠/ ٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٧) من طريق عمارة بن عبد الله بن صياد، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٨).

(٤) لم أقف له على إسناد.

مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٤٧-٥١].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ويوم تُسَيَّرُ» بالتَّاء «الجِبَالُ» رفعاً.

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «نُسَيِّرُ» بالنُّون «الجِبَالَ» نصباً[١].

[٥٠٣/ب] وقرأ ابنُ مُحيصنٍ: ويوم «تَسِيْرُ» بفتحِ التَّاءِ وكسرِ السِّين وتسكين الياءِ «الجِبَالُ» بالرَّفعِ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوبٌ على معنى: اذكر، ويجوزُ أن يكون منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تسير الجبال[٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ: تسيرُ الجبال عن وجه الأرضِ، كما يسير السَّحاب في الدُّنيا، ثمَّ تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥١)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

(٢) في مختصر بن خالويه (ص: ٨٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٢٠)، عن ابن محيصن، وزاد في التحصيل (٤/ ١٩٣) عيسى الثقفي، وفي البحر المحيط (٧/ ١٨٧) عن ابن محيصن، ومحبوب، عن أبي عمر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٢).

(٤) لم أقف عليه.

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

وقرأ عمرُو بنُ العاصِ، وابنُ السَّمَيفَع، وأبو العالية: «وتُرى الأرضُ بارزة» برفع التَّاءِ والضَّادِ(١).

وقرأ أبو رجاءٍ العطارديُّ كذلك، إلَّا أنَّه فتح ضاد «الأَرْضَ»(٢).

وفي معنى ﴿بَارِزَةً﴾ قولان:

أحدهما: ظاهرةٌ فليس عليها شيءٌ من جبلٍ أو شجرٍ أو بناءٍ، قاله الأكثرون.

والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله الفرَّاءُ(٣).

قوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: فلم نخلف، يقال: غادرت كذا: إذا خلفته، ومنه سمِّي الغدير، لأنَّه ماء تُخلِّفه السُّيولُ(٤).

وروى أبانُ: «فَلَمْ تُغادر» بالتَّاءِ(٥).

قوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ إن قيل: هذا أمرٌ مستقبل، فكيف عبَّر عنه بالماضي؟

فالجواب: أنَّ ما قد علم الله وقوعه، يجري مجرى المعاين، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣) عن عيسى.

(٢) البحر المحيط (٧/ ١٨٧) عن عيسى.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

(٥) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (٤/ ١٩٣)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٧).

وفي معنى قوله: ﴿صَفًّا﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤]، قاله مُقاتلٌ[١].

والثاني: أنَّ المعنى: وعرضوا على ربِّك مصفوفين، هذا مذهبُ البصريين.

والثالث: أنَّ المعنى: وعرضوا على ربِّك صفوفاً، فناب الواحدُ عن الجميعِ، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

والرابع: أنَّه لم يغب عن الله منهم أحد، فكانوا كالصَّفِّ الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابنُ الأنبارِيِّ.

وقد قيل: إنَّ كلَّ أمَّة وزمرة صفٌّ.

قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، فيه إضمارٌ فيقال لهم.

وفي المخاطبين بهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم الكلُّ.

والثاني: الكفَّار، فيكون اللَّفظ عامًّا، والمعنى خاصًّا.

وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ مفسَّرٌ في الأنعام[٢]، وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطابٌ للكفَّار[٣] خاصَّة، والمعنى: زعمتم في الدُّنيا ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعثِ، والجزاءِ.

قوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الكتابُ الذي سطر فيه ما تعمل الخلائقُ قبل وجودِهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩٤).

(٣) في الأصل، و(ر): (الكفار)، والمثبت من (م)، و(س).

والثاني: أنَّه الحسابُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: كتاب الأعمالِ، قاله مُقاتلٌ[١].

وقال ابنُ جريرٍ: وضع كتاب أعمال العبادِ في أيديهم، فعلى هذا الكتاب اسم جنسٍ[٢].

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

قال مجاهدٌ: هم الكافرون.

وذكر بعضُ أهل العلمِ أنَّ كلَّ مجرمٍ ذكر في القُرآن، فالمرادُ به: الكافرُ.

قوله: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الأعمالِ السَّيئةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ هذا قولُ كل واقعٍ في هلكة.

وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ هذا على ظاهرِهِ في صغيرِ الأمورِ وكبيرها.

وقد روى عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، قال: الصغيرةُ: التبسُّم، والكبيرةُ: [٥٠٤/أ] القهقهةُ[٣].

وقد يتوهَّم أنَّ المراد بذلك صغائرُ الذُّنوبِ وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضَّحك والتبسُّم مجرَّدهما من الذَّنوبِ، وإنَّما المرادُ أنَّ التبسُّمَ من صغار الأفعالِ، والضَّحك فعلٌ كبيرٌ.

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٨٩).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٨٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٤) من طريق الزيال بن عمرو، عن ابن عباس، قال: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾. قال: «الضَّحِكُ».

وقد روى الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: الصَّغيرةُ: التبسُّمُ والاستهزاءُ بالمؤمن، والكبيرةُ القهقهةُ بذلك[1]، فعلى هذا يكون ذنبًا من الذُّنوبِ لمقصودِ فاعلِهِ، لا لنفسِهِ.

ومعنى أحصاها: عدَّها وأثبتها، والمعنى: وجدت محصاة.

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ أي: مكتوباً مثبتاً في الكتابِ، وقيل: رأوا جزاءه حاضراً.

وقال أبو سليمان: الصَّحيحُ عند المحقِّقين أنَّ صغائرَ المؤمنين الذين وعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنَّما يعفى عنها في الآخرةِ بعد أن يراها صاحبها.

قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

قال أبو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزاد في سيئاتِ الكافرِ.

وقيل: إن كان للكافر فعل خيرٍ، كعتق رقبةٍ، وصدقةٍ، خُفِّف عنه به من عذابِه، وإن ظلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، فصار الحق لله.

ثم إنَّ الله تعالى أمر نبيَّه ﷺ أن يُذكِّر هؤلاء المتكبِّرين عن مجالسةِ الفقراءِ قصةَ إبليس وما أورثه الكبر، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: واذكر ذلك.

وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه من الجنِّ حقيقة، لهذا النصِّ، واحتج قائلوا هذا بأنَّ له ذرية، وليس للملائكةِ ذريَّة، وأنَّه كفرٌ، والملائكةُ رسل الله، فهم معصومون من الكفرِ.

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣٤٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩٠)، وفي ذم الغيبة (١٥٤) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس بلفظ: «الصَّغِيرَةُ: التَّبَسُّمُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالْمُؤْمِنِ، وَالْكَبِيرَةُ: الْقَهْقَهَةُ بِذَلِكَ».

والثَّاني: أنَّه كان من الملائكةِ، وإنَّما قيل: من الجنِّ، لأنَّه كان من قبيل من الملائكةِ يقال لهم: الجن، قاله ابنُ عبَّاسٍ؛ وقد شرحنا هذا في البقرة(١).

قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ **فيه ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: خرج عن طاعة ربِّه، تقول العرب: فَسقت الرُّطَبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ(٢).

والثاني: أتاه الفسقُ لـمَّا أُمِرَ فعصى، فكان سبب فسقِهِ عن أمر ربِّه.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا مذهبُ الخليل وسيبويه، وهو الحقُّ عندنا(٣).

والثالث: ففسق عن ردِّ أمر ربِّه، حكاه الزَّجَّاجُ عن قُطْرب(٤).

قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ أي: توالونهم بالاستجابةِ لهم.

قال الحسنُ، وقتادةُ: ذرِّيته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم(٥).

قال مجاهدٌ: ذرِّيته: الشَّياطين، ومن ذرِّيته (زَلَنْبُورُ) صاحب راية إبليس بكل سوق، و(ثَبْرُ)، وهو صاحب المصائب، و(الأَعْوَرُ) صاحب الرياء، و(مَسُوطُ) صاحب الأخبارِ يأتي بها فيطرحها على أفواه النَّاس،

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨)، ومعاني القرآن (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٥٤٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: «وَهُمْ يَتَوَالَدُونَ كَمَا يَتَوَالَدُ بَنُو آدَمَ»، ورواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٩٣) من طريق سعيد، عن قتادة من قوله.

فلا يوجد لها أصلٌ، و(دَاسَمُ) صاحبُ الإنسان إذا دخل بيتَه ولم يسلِّم ولم يذكر اسمَ الله، فهو يأكلُ معه إذا أكل[(١)].

قال بعضُ أهل العلمِ: إذا كانت خطيئةُ الإنسانِ في كبر فلا ترجه، وإن كانت في شهوةٍ فارجه، فإن معصيةَ إبليس كانت بالكبر، ومعصيةُ آدم بالشَّهوةِ.

[٥٠٤/ب] قوله: ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: بئس الاتِّخاذ للظَّالمين بدلاً.

والثاني: بئسُ الشَّيطان.

والثالث: بئس الشَّيطان والذُّرِّيَّةُ، ذكرهنَّ ابنُ الأنْبَارِيِّ.

قوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وقرأ أبو جعفرٍ، وشيبةُ: «مَا أَشْهَدْنَاهُمْ» بالنُّون والألفِ[(٢)].

وفي المشار إليهم أربعة أقوالٍ:

أحدها: إبليس وذرِّيته.

والثاني: الملائكةُ.

والثالث: جميع الكفَّار.

والرابع: جميع الخلق؛ والمعنى: أنِّي لم أشاورهم في خلقهنَّ؛ وفي هذا بيان للغنى[(٣)] عن الأعوانِ، وإظهار كمال القدرة.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٩٢)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (٣٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (٤/ ١٩٣) عن يزيد بن القعقاع، والسجستاني، وعون العقيلي، وفي البحر المحيط (٧/ ١٩٠) عن أبي جعفر، وشيبة والسجستاني، وعون العقيلي، وابن مقسم.

(٣) في (ر): (المعنى).

قولـه: ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: مـا أشـهدتُ بعضهـم خلـق بعـضٍ، ولا استعنت ببعضِهـم عـلى إيجـادِ بعـضٍ.

قولـه: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ يعنـي: الشَّـياطين ﴿عَضُدًا﴾ أي: أنصـارًا وأعوانًـا.

والعضد يستعمل كثيرًا في معنى العونِ، لأنَّه قوامُ اليد.

قـال الزَّجَّـاجُ: والاعتضـادُ: التَّقـوي وطلـب المعونـة، يقـال: اعتضـدت بفـلانٍ، أي: اسـتعنتُ بـه[١].

وفي ما نفى اتِّخاذهم عضدًا فيه قولان:

أحدهما: أنَّه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلِّين، قاله مجاهدٌ.

والثاني: أنَّه خلق السَّموات والأرض، قاله مُقاتلٌ[٢].

وقرأ الحسنُ، والجَحْدريُّ، وأبو جعفرٍ: «وما كنتَ» بفتح التَّاءِ[٣].

قوله تعـالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾[الكهف: ٥٢-٥٣].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾.

وقرأ حمزةُ: «نقول» بالنُّونِ[٤]، يعني: يوم القيامة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٠).

(٣) عـن ابـن القعقـاع، والحسـن في التحصيـل (٤/ ١٩٣)، وفي البحـر المحيـط (٧/ ١٩١) عـن أبي جعفـر، والجحـدري، والحسـن، وشـيبة «وَمَـا كُنْـتَ» بفتـح التَّـاءِ خطابًـا للرسـول ﷺ.

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥١)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).



﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ﴾ أضاف الشُّركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفعِ العذابِ عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ أي: لم يجيبوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم المشركون والشُّركاء.

والثاني: أهلُ الهدى وأهل الضَّلالة.

وفي معنى ﴿مَّوْبِقًا﴾ ستَّة أقوالٍ:

أحدها: مهلكاً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: مَهْلِكًا بينهم وبين آلهتهم في جهنَّم، ومنه يقال: أوبقته ذنوبه، أي: أهلكته[١].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلنا بينهم من العذابِ مَا يُوبِقُهم، أي: يُهْلِكُهم، والمَوْبِقُ المَهْلِكُ، يقال: وَبِقَ يَوْبَقُ، ويَابِقُ، وَبْقاً؛ ووَبِقَ، يَبِقُ، وَبُوقاً، فهو وَابِقٌ[٢].

وقال الفَرَّاءُ: جعلنا تواصلهم في الدُّنيا مَوْبِقاً، أي: مَهْلِكًا لَهُم في الآخرةِ[٣].

فالبين على هذا القول، بمعنى التَّواصل، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءةِ من ضمَّ النُّون.

والثاني: أنَّ الموبقَ: وادٍ عميق يفرق به بين أهل الضَّلالةِ وأهل الهدى، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٧)

والثالث: أنَّه وادٍ في جهنَّم، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، ومجاهدٌ.

والرابع: أنَّ معنى الموبق: العداوة، قاله الحسنُ.

والخامس: أنَّه المحبس، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

والسادس: أنَّه الموعدُ، قاله أبو عُبيدةَ(١).

قال ابنُ الأنباريِّ: إن قيل: لم قال: مَوبقًا ولم يقل: مُوبقًا بضمِّ الميمِ، إذ كان معناه عذابًا موبقًا؟

فالجواب: أنَّه اسمٌ موضوعٌ لمحبس في النَّار، والأسماءُ لا تُؤخذُ بالقياسِ، فيعلمُ أن مَوبقًا: مفعل، من أوبقَهُ اللهُ: إذا أهلكه، فتنفتح الميمُ، [٥٠٥/أ] كما تنفتحُ في موعد ومولد ومحتدٍّ إذا سمِّيت الشخوص بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تتغيَّظ حنقًا عليهم. والمرادُ بالمجرمين: الكفَّار.

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: داخلوها.

ومعنى المواقعة: ملابسةُ الشَّيءِ بشدَّةٍ ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾ أي: معدلاً؛ والمصرفُ: الموضعُ الذي يصرف إليه، وذلك أنَّها أحاطت بهم من كلِّ جانبٍ، فلم يقدروا على الهربِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥﴾ [الكهف: ٥٤-٥٥].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٦).

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في بني إسرائيل[١].

قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ **فيمن نزلت قولان:**

أحدهما: أنَّه النَّضرُ بنُ الحارثِ، وكان جداله في القرآنِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أُبيُّ بنُ خلفٍ، وكان جداله في البعثِ حين أتى بعظمٍ قد رمَّ، فقال: أيقدرُ الله على إعادةِ هذا؟ قاله ابنُ السَّائبِ.

قال الزَّجَّاجُ: كل ما يعقل من الملائكةِ والجنِّ يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياءِ جدلاً[٢].

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ قال المفسِّرون: يعني: أهل مكَّة ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو: محمَّدٌ ﷺ، والقرآنُ، والإسلامُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهو: أنَّهم إذا لم يؤمنوا عذِّبوا.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: ما منعهم من الإيمانِ إلَّا طلب أن تأتيهم سنَّة الأوَّلين، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

والثَّاني: وما منع الشَّيطان النَّاس أن يؤمنوا إلَّا لأن تأتيهم سنَّة الأوَّلين، أي: منعهم رشدهم لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابنُ الأنباريِّ.

والثالث: ما منعهم إلَّا أنِّي قد قدَّرت عليهم العذاب، وهذه الآيةُ فيمن قتل ببدرٍ وأحدٍ من المشركين، قاله الواحديُّ[٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٦).

(٤) انظر: تفسير الوسيط (٣/ ١٥٤).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

ذكر ابنُ الأَنبارِيِّ في ﴿أَوْ﴾ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بمعنى الواو.

والثاني: أنَّها لوقوعِ أحد الشَّيئين، إذ لا فائدةَ في بيانِهِ.

والثالث: أنَّها دخلت للتَّبعيضِ، أي: أنَّ بعضَهم يقعُ به هذا، وهذه الأقوال الثلاثةُ قد أسلفنا بيانها في قوله ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قوله: ﴿قُبُلًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قِبَلاً» بكسرِ القافِ وفتحِ الباءِ.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿قُبُلًا﴾ بضمِّ القافِ والباءِ(١).

وقد بيَّنا علَّة القراءتين في الأنعامِ(٢).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ مسعودٍ: «قَبِيلاً» بوزن فعيلٍ(٣).

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو المتوكِّل: «قَبلاً» بفتح القافِ من غير ياءٍ(٤).

قال ابنُ قُتيبةَ: أراد استئنافًا(٥).

---

(١) السبعة (ص:٢٦٦)، والحجة (٥/ ١٥٢ـ١٥٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١١١).

(٣) في البحر المحيط (٧/ ١٩٤) عن أبي بن كعب، وغزوان عن طلحة.

(٤) في البحر المحيط (٧/ ١٩٤) بلا نسبة.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٩٢).

فإن قيل: إذا كان المرادُ بسنَّة الأوَّلين العذاب، فما فائدةُ التَّكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؟

فالجواب: أنَّ سنَّة الأوَّلين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلفُ أنواعُه، وإتيانُ العذابِ قبلاً أفادَ القتل يوم بدرٍ.

[٥٠٥/ب] قال مُقاتلٌ: ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: عذابُ الأممِ السَّالفةِ ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾، أي: عيانًا قتلاً بالسَّيف يوم بدرٍ[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾[الكهف: ٥٦-٥٩].

قوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم[٢].

وجدالهم بالباطلِ: أنَّهم ألزموه أن يأتي بالآياتِ على أهوائِهم ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليبطلوا ما جاءَ به محمَّدٌ ﷺ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٩٢).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٤).

وقيل: جدالهم: قولهم: ﴿كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ [الإسراء: ٤٩] ﴿ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا﴾ [السجدة: ١٠]، ونحو ذلك ليبطلوا به ما جاء في القرآنِ من ذكر البعث والجزاءِ.

قال أبو عُبيدةَ: ومعنى ليدحضوا: ليزيلوا ويذهبوا، يقال: مكان دحض، أي: مَزَلٌّ لا يثبت فيه قدمٌ ولا حافرٌ[1].

قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ يعني القُرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ أي: خوفوا به من النَّارِ والقيامةِ ﴿هُزُوٗا﴾ أي: مهزوءًا بهِ.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في البقرةِ[2].

و﴿ذُكِّرَ﴾ بمعنى: وعظ.

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ﴾: القرآنُ، وإعراضُه عنها: تهاونُه بها.

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ﴾ أي: ما سلفَ من ذنوبِه، وقد شرحنا ما بعد هذا في الأنعام[3] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو: الإيمانُ والقرآنُ ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ هذا إخبارٌ عن علمِهِ فيهم.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ﴾ إذ لم يعاجلهم بالعقوبةِ.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٞ﴾ للبعثِ والجزاءِ ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلٗا﴾.

قال الفَرَّاءُ: الموئلُ: المنجى، وهو الملجأُ في المعنى، لأنَّ المنجى ملجأ، والعربُ تقول: إنَّه ليوائل إلى موضعِهِ، أي: يذهب إلى موضعِهِ، قال

(١) مجاز القرآن (ص: ٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢١).

الشاعر [من السريع](١):

لَا وَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَهَا لِلْعَامِرِيِّينَ وَلَمْ تُكْلَمِ

يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عُبيدةَ للأعشى [من البسيط](٢):

وَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَئِلُ

أي: ما ينجو.

وقال ابنُ قُتيبةَ: الموئل: الملجأ. يقال: وآل فلان إلى كذا: إذا لجأ(٣).

فإن قيل: ظاهر هذه الآيةِ يقتضي أنَّ تأخيرَ العذابِ عن الكفَّارِ برحمةِ الله، ومعلومٌ أنَّه لا نصيب لهم في رحمتِه.

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ الرَّحمةَ هاهنا بمعنى النِّعمة، ونعمة الله لا يخلو منها مؤمنٌ ولا كافرٌ، فأمَّا الرَّحمةُ التي هي الغفران والرِّضى، فليس للكافرِ فيها نصيبٌ.

والثاني: أنَّ رحمةَ الله محظورةٌ على الكفَّارِ يوم القيامةِ، فأمَّا في الدُّنيا، فإنَّهم ينالون منها العافيةَ والرِّزقَ.

---

(١) بلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ١٤٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣١٨)، ولسان العرب (١١/ ٧١٥)، وخزانة الآداب (٩/ ٣٨٤).

(٢) جاء الشاهد في ديوانه (ص: ٩٥)، وفيه: «فقد أخالس»، وانظر: شرح القصائد العشر(ص: ٢٩٦)، وخزانة الآداب (١١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

قولـه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريـد: التـي قصصنـا عليـك ذكرهـا، والمـراد: أهلهـا، ولذلـك قـال: ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ والمـراد: قـومُ هـود، وصالـح، ولـوط، وشُـعيب.

قال الفَرَّاءُ: قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ معناه: بعد ما ظُلموا.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾.

قرأ الأكثرونَ بضمِّ الميم وفتح اللَّام.

قال الزَّجَّاجُ: وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم.

والثاني: أن يكون وقتاً، فالمعنى: لوقت هلاكِهم[١]. [٥٠٦/أ]

وقرأ أبو بكرٍ، عن عاصمٍ: بفتح الميمِ واللَّام، وهو مصدرٌ مثل الهلاك.

وقرأ حفصٌ، عن عاصمٍ: بفتح الميمِ وكسرِ اللَّام[٢]، ومعناه: لوقتِ إهلاكهم.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[الكهـف: ٦٠-٦٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٧).

(٢) السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة(٥/ ١٥٦)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).



قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ الآيَةَ.

سببُ خروجِ موسى عليه السلام في هذا السَّفر، ما روى ابنُ عبَّاسٍ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «قَامَ مُوسَى عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عليه السلام حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عليه السلام وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بِقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عليه السلام، قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، قَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، قَالَ يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلًا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ

عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى ﷺ: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا». قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: «أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٦] يَقُولُ [٥٠٦/ب] مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ»، هذا حديث صحيحٌ أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحيحين[1]، وقد ذكرنا إسناده في كتاب الحدائق، فآثرنا الاختصار هاهنا.

---

(١) البخاري(١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

فأما التَّفسير، فقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ المعنى: واذكر ذلك.

وفي موسى قولان:

أحدهما: أنَّه موسى بن عمران، قاله الأكثرون.

ويدلُّ عليه ما روي في الصَّحيحين من حديث سعيدِ بنِ جبيرٍ قال: قلت لابن عبَّاسٍ: إنَّ نوفاً البكالي يزعم أنَّ موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدوُّ الله، أخبرني أُبيُّ بنُ كعبٍ، فذكر الحديث الذي قدَّمناه آنفاً[1].

والثاني: أنَّه موسى بن ميشا، قاله ابنُ إسحاقَ، وليس بشيءٍ، للحديث الصَّحيح الذي ذكرناه.

فأمَّا فتاه فهو يوشعُ بنُ نون من غير خلافٍ، وإنَّما سمِّي فتاه، لأنَّه كان يلازمه، ويأخذُ عنه العلم، ويخدمه.

ومعنى ﴿ لَآ أَبۡرَحُ ﴾: لا أزال. وليس المرادُ به: لا أزول، لأنَّه إذا لم يزل لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشَّاعر[2][من الطَّويل]:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ

أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضعُ الذي وعده الله بلقاءِ الخضر فيه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيت لبَيْهَس العُذْرِيِّ في لسان العرب (٢/ ٥٤١)، والتنبيه والإيضاح (١/ ٢٥٨)، وتاج العروس(١٧/ ١٣)، وبلا نسبة في العين (٣/ ٢١٣)، والمخصص (١٢/ ٣١٤)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢٠).

قال قتادةُ: بحرُ فارس، وبحرُ الرُّوم، فبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرقِ(١).

وفي اسم البلد الذي بمجمعِ البحرين قولان:

أحدهما: إفريقية، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ.

والثاني: طنجة، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظي.

قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾.

وقرأ أبو رَزينٍ، والحسنُ، وأبو مجلَزٍ، وقتادةُ، والجَحْدري، وابنُ يعمر: «حُقْباً» بإسكانِ القافِ(٢).

قال ابنُ قُتيبةَ: الحُقُب: الدَّهر، والحِقَب: السِّنون، واحدتها حِقْبة، ويقال: حُقْبٌ وحُقُب كما يقال: قُفْل وقُفُل، وهُزْؤ وهُزُؤ، وكُفْؤ وكُفُؤ، وأُكْل وأُكُل، وسُحْت وسُحُت، ورُعْب ورُعُب، ونُكْر ونُكُر، وأُذْن وأُذُن، وسُحْق وسُحُق، وبُعْد وبُعُد، وشُغْل وشُغُل، وثُلْث وثُلُث، وعُذْر وعُذُر، ونُذْر ونُذُر، وعُمْر وعُمُر(٣).

وللمفسِّرين في المرادِ بالحقب هاهنا ثمانيةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه الدَّهرُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: ثمانون سنةٍ، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو، وأبو هريرةَ.

والثالث: سبعون ألف سنةٍ، قاله الحسنُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٠٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٤/ ٢١٢) عن الحسن، وزاد في المحرر (٣/ ٥٢٨) الأعمش وعاصم، وفي البحر المحيط (٧/ ٢٠٠) الضحاك.

(٣) انظر: أدب الكاتب (١/ ٩٥).

والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهدٌ.

والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مُقاتل بنُ حيَّانَ.

والسادس: أنَّه ثمانون ألف سنة، كل يوم ألف سنةٍ من عدد الدُّنيا.

والسابع: أنَّه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفرَّاءُ(١).

[٥٠٧/أ] والثامن: الحقب عند العربِ وقت غير محدودٍ، قاله أبو عُبيدةَ(٢).

ومعنى الكلام: لا أزال أسيرُ، ولو احتجت أن أسيرَ حقبًا.

قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا ﴾ يعني: موسى وفتاه ﴿ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾ يعني: البحرين ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ وكانا قد تزودا حوتاً مالحاً في زبيل فكانا يصيبان منه عند الغداءِ والعشاءِ، فلمَّا انتهيا إلى الصَّخرة على ساحلِ البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بلل البحر. وقيل: توضَّأ يوشع من عينِ الحياةِ فانتضح على الحوت الماء، فعاش، فتحرَّك في المكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزوَّد حوتاً مالحاً، فإذا فقدته وجدت الرَّجل. وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي.

وإنَّما قيل: نسيا حوتهما توسعًا في الكلام، لأنَّهما جميعًا تزوداه، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنَّما نسيه أحدهم.

قال الفرَّاءُ: ومثله قوله: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنَّما يخرج ذلك من الملحِ، لا من العذب(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٤).

وقيل: نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيءٍ، فلذلك أضيف النِّسيان إليهما.

قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مسلكاً ومذهباً.

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعل الحوت لا يمسُّ شيئاً من البحرِ إلَّا يبس حتى يكون صخرة[1].

وقال قتادةُ: جعل لا يسلك طريقاً إلَّا صار الماء جامدًا[2].

وقد ذكرنا في حديث أُبيِّ بنِ كعبٍ أنَّ الماء صار مثل الطاق على الحوتِ[3].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوتُ، أصابهما ما يصيب المسافر من النَّصبِ، فدعا موسى بالطَّعامِ، فقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وهو الطَّعام الذي يؤكل بالغداةِ. والنَّصب: الإعياء.

وهذا يدلُّ على إباحةِ إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتَّعب، ولا يكون ذلك شكوى.

﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك.

﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نسيت أن أخبرك خبر الحوتِ.

والثاني: نسيت حمل الحوتِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٥) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣١٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) سبق تخريجه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾.

قرأ الكسائيُّ: «أنسانيه»[١] بإمالة السِّين[٢].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «أنسانيهي» بإثبات ياء في الوصلِ بعد الهاءِ[٣].

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: «أنسانيهُ إلَّا» بضمِّ الهاء في الوصلِ[٤].

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوتِ.

وفي المتخذ قولان:

أحدهما: أنَّه الحوتُ، ثم في المخبر عنه قولان:

أحدهما: أنَّه الله ﷻ، ثمَّ في معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يرى عجباً، ويحدث عجباً.

والثاني: أنه لما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾، قال: اعجبوا لذلك عجباً، وتنبهوا لهذه الآية.

والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: في البحر، فقال موسى: عجباً، لما شوهد من الحوت، ذكر هذه الأقوال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

[٥٠٧/ب] والثاني: أن المخبر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت.

والقول الثاني: أنَّ المتخذ موسى، اتَّخذ سبيل الحوت في البحر عجباً، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأى الخضر.

---

(١) ليست في (س)، وفي (م): «وما أنسانيه».

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٥٤).

(٣) انظر: السبعة (ص: ١٣٢).

(٤) انظر: الحجة (٥/ ١٥٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

وروى عطيَّةُ عن ابنِ عبَّاس قال: رجع موسى إلى الصَّخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحرِ، فلقي الخضر(١).

قوله: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدَّالة على مطلوبنا.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «نبغي» بياءٍ في الوصل والوقف.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ بياء في الوصلِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، بحذف الياءِ في الحالين(٢).

قوله: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: رجعا في الطَّريق الذي سلكاه، يقصَّان الأثر، والقصص: اتِّباع الأثرِ(٣).

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ يعني الخضر.

وفي اسمه أربعة أقوالٍ:

أحدها: اليسع، قاله وهبٌ، ومُقاتلٌ(٤).

والثاني: الخضر بن عاميا.

والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابنُ المنادي(٥).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (١٢٨٧٧) في تفسيرهما.

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤٩).

(٥) هو الإمام المقرئ الحافظ أبو الحسين، أحمد بن جعفر بن أبي جعفر محمد بن عبيد=



والرابع: بليا بن ملكان، ذكره عليُّ بنُ أحمد النَّيسابوري[١].

فأمَّا تسميته بالخضر، **ففيه قولان**:

أحدهما: أنَّه جلس في فروة بيضاء فاخضرَّت، رواه أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ[٢]، والفروة: الأرضُ اليابسةُ.

والثاني: أنَّه كان إذا جلس اخضرَّ ما حوله، قاله عكرمةُ.

وقال مجاهدٌ: كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حوله[٣].

وهل كان الخضر نبيًّا، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكرٍ بنُ الأنباري.

وقال: كثيرٌ من النَّاس يذهبُ إلى أنَّه كان نبيًّا، وبعضُهم يقول: كان عبدًا صالحاً.

واختلف العلماءُ هل هو باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوَرْدِيُّ[٤].

وكان الحسنُ يذهب إلى أنَّه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابِنا يقول، ويقبح قول مَن يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائِهِ.

=الله بن أبي داود بن المنادي، البغدادي، صاحب التواليف، وقد اختص بكثرة الرواية عن عبد الله بن الإمام أحمد، انظر: ترجمته: طبقات الحنابلة (٢/ ٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦١).

(١) انظر: تفسير الوسيط (٣/ ١٥٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٢)، والبخاري (٣٤٠٢)، والترمذي (٣١٥١)، والبزار في مسنده (٩٣٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٢٢) من طريق معمر، عن همام بن منبه، به بلفظ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ».

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢٠٥).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٢٥).

وروى أبو بكرٍ النّقاش أنّ محمَّدَ بنَ إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياءِ؟ فقال: كيف يكون ذلك؟ وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَبْقَى عَلَى رَأسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»[1].

قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ في هذه الرَّحمة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها النبوَّةُ، قاله مُقاتلٌ[2].

والثاني: الرقة والحنو على من يستحقه، ذكره ابنُ الأنبارِيِّ.

والثالث: النعمة، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿عِلْمًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: أعطاه علماً من علم الغيبِ[3].

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[الكهف: ٦٦-٦٩].

قوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «تعلمني مما» بإثبات الياءِ في الوصلِ والوقفِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بياءٍ في الوصلِ.

---

(١) البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٤).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥٨).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ بحذفِ الياء في الحالين[1].

قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿رُشْدًا﴾ بضمِّ الرَّاء خفيفة. [٥٠٨/أ]

وقرأ أبو عمرٍو: «رَشَدًا» بفتح الرَّاءِ والشِّين.

وعن ابن عامرٍ بضمهما[2].

والرُّشْد، والرَّشَد: لغتان كالنُّخْل والنَّخَل، والعُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَب، والمعنى: أن تعلمني علماً ذا رشد.

وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلبِ العلمِ، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل، وحثت[3] على الأدب والتواضع للمصحوبِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال ابنُ عبَّاس: لن تصبر على صنعي، لأنِّي علمت من غيب علم ربِّي[4].

وفي هذا الصَّبر وجهان:

أحدهما: عن الإنكار.

والثاني: عن السؤال.

قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الخبر: علمك بالشَّيء؛ والمعنى: كيف تصبر على أمرٍ ظاهره منكرٌ، وأنت لا تعلم باطنه؟

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، والحجة (٥/ ١٤٨)، والتيسير (ص: ١٤٧)، والمبسوط (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٩٣)، والحجة (٥/ ١٥٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

(٣) في الأصل، و(ر): (وحيث)، وفي (م): (وحثٌّ)، والمثبت من (س).

(٤) أورده الواحدي في تفسيره (٣/ ١٥٨).

قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِى لَكَ أَمۡرًا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: نفي العصيان منسوق على الصَّبر، والمعنى: ستجدني صابرًا ولا أعصي إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِى فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى عَن شَىۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِىَ صَبۡرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِى مِنۡ أَمۡرِى عُسۡرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٍ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِىَ صَبۡرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَىۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِى قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّى عُذۡرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِى وَبَيۡنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: ٧٠-٧٨].

قوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى﴾ ساكنة اللَّام.

وقرأ نافعٌ: «فلا تسألَنِّي» مفتوحة اللَّام مشدَّدة النُّون.

وقرأ ابنُ عامرٍ في رواية الداجوني: «فلا تسألَنِ عن شيء» بتحريك اللَّام من غير ياءٍ، والنُّون مكسورة(١).

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٤)، والحجة (٥/ ١٧٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

والمعنى: لا تسألني عن شيءٍ مما أفعله ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ أي: حتَّى أكون أنا الذي أبينه لك، لأنَّ علمه قد غاب عنك.

قوله تعالى: ﴿خَرَقَهَا﴾ أي: شقَّها.

قال المفسِّرون: قلع منها لوحاً، وقيل: لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى بثوبه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿لِتُغۡرِقَ﴾ بالتَّاء ﴿أَهۡلَهَا﴾ بالنَّصبِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «ليَغْرَقَ» بالياءِ «أهْلُها» برفع اللَّامِ[1].

﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: منكراً، قاله مجاهدٌ.

وقال الزَّجَّاجُ: عظيماً من المنكرِ[2].

والثاني: عجباً، قاله قتادةُ، وابنُ قُتيبةَ[3].

والثالث: داهية، قاله أبو عُبيدةَ[4].

قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ **في هذا النسيان ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه على حقيقته، وأنَّه نسي.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٥)، والحجة (٥/ ١٥٨)، والمبسوط (١/ ٢٨٠) قال أبو علي: ﴿لِتُغۡرِقَ﴾ أولى ليكون الفعل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٤٠٩) وفيه: داهية نكرًا عظيماً.

روى ابنُ عبَّاسٍ عن رسولِ الله ﷺ: «أَنَّ الْأُولَى كَانَتْ نِسْيَانًا مِنْ مُوسَى»(١).

والثاني: أنَّه لم ينسَ، ولكنَّه من معاريض الكلام، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّه بمعنى التَّرك، فالمعنى: لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتُك عليه، ذكره ابنُ الأنباريِّ.

قوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ قال الفرَّاءُ: لا تُعْجِلني(٢).

وقال أبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ: لا تُغَشِّيني(٣).

قال أبو زيدٍ: يقال: أرهقته عسراً: إذا كلَّفته ذلك(٤).

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: عاملني باليسر، لا بالعسرِ(٥).

قوله: ﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني: موسى والخضر.

قال الماورديُّ: يحتمل أن يكون يوشع تأخَّر عنهما، لأنَّ الإخبار عن اثنين، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنَّه تبعٌ لموسى، فاقتصر على [٥٠٨/ب] حكمِ المتبوعِ(٦).

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ اختلفوا في هذا الغلام هل كان بالغاً، أم لا؟ على قولين:

---

(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) في الحديث الطويل.

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠)، وغريب القرآن (ص: ٢٧٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٤) انظر: التفسير الوسيط (٣/ ١٥٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٦) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٢٨).



أحدهما: أنَّه لم يكن بالغاً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والأكثرون.

والثاني: أنَّه كان شابًّا قد قبض على لحيته، حكاه الماوَرْدِيُّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، واحتجَّ بأن غير البالغ لم يجر عليه قلم، فلم يستحق القتل[(١)].

وقد يسمَّى الرَّجل غلاماً، قالت ليلى الأخيلية تمدح الحجاج [من الطويل][(٢)]

غُلامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا ....

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اقتلع رأسَه، وقد ذكرناه في حديث أُبي[(٣)].

والثاني: كسر عنقه، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثالث: أضجعه وذبحه بالسِّكين، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. قرأ الكوفيُّون، وابنُ عامرٍ: ﴿زَكِيَّةً﴾ بغير ألفٍ، والياء مشدَّدة.

وقرأ الباقون بالألف من غير تشديدٍ[(٤)].

قال الكسائيُّ: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القاسية، والقسية[(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البيت في غريب الحديث؛ للخطَّابي (ص: ٥٢١)، ونهاية الأرب في فنون الأدب؛ للنويري (٧/ ١٨١)، ولسان العرب (١٢/ ٤١٣) مادة (عقم). وصدره: «شَفَاها مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي بِهَا».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) السبعة (ص: ٣٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس(١/ ٣٣٩) وهو مذهب الفراء.

وللمفسِّرين فيها ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها التائبة، روي عن ابن عباس أنَّه قال: الزَّكِيَّةُ: التَّائِبَةُ(١)، وبه قال الضَّحاكُ.

والثاني: أنَّها المسلمةُ، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضاً.

والثالث: أنَّها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والرابع: أنَّها الزكيَّة النامية، قاله قتادةُ.

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: القويمة في تركيبها.

والخامس: أنَّ الزكية: المطهرة، قاله أبو عُبيدةَ(٢).

والسادس: أنَّ الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يُوجِبُ قتلَها، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

وقد فرَّق بعضُهم بين الزَّاكِيَة، والزَّكِيَّة، فروي عن أبي عمرٍو بن العلاءِ أنَّه قال: الزَّاكِيَةُ: التي لم تذنب قطُّ، والزَّكِيَّةُ: التي أذنبت ثم تابت(٤).

وروي عن أبي عُبيدةَ أنَّه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدين(٥).

قوله: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتلِ نفسٍ ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿نُّكْرًا﴾ خفيفة في كلِّ القرآن، إلَّا قوله: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]، وخفَّف ابنُ كثيرٍ أيضاً: «إلى شيء نُكْر».

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٠) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٤) أورده الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ١٤٤)، والثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٤).

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٢٩).



وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «نُكُرًا» و﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ مثقَّل[1].
والمخفَّف إنَّما هو من المثقَّل، كالعُنْق، والعُنُق، والنُّكْر، والنُّكُر.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لقد أتيت شيئاً نكرًا. ويجوز أن يكون معناه: جئت بشيءٍ نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نكراً، ونكرًا أقل منكراً من قوله: إمراً لأنَّ تغريق من في السَّفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة[2].

قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾.

إن قيل: لم ذكر «لَكَ» هاهنا، واختزله من الموضعِ الذي قبله؟

فالجواب: أنَّ إثباته للتَّوكيد، واختزاله لوضوح المعنى، وكلاهما معروفٌ عند الفصحاءِ. تقول العرب: قد قلت لك: اتَّقِ الله. وقد قلت لك: يا فلان اتَّقِ الله، وأنشد ثعلبُ [من الرجز][3]:

قَدْ كُنْتُ حَذَّرْتُكَ آلَ الْمُصْطَلِقْ وَقُلْتُ يَا هَذَا أَطِعْنِي وَانْطَلِقْ

[٥٠٩/أ] فقوله: يا هذا، توكيدٌ لا يختلُّ الكلام بسقوطه.

وسمعت الشَّيخ أبا محمَّد بن الخشَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: وقَّره في الأوَّل، فلم يواجهه بكافِ الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخٍ وإنكار ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾.

---

(١) السبعة (ص/ ٣٩٥)، والحجة (٥/ ١٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٣) البيت في المجالسة وجواهر العلم (٧/ ١٧٢)، وجمهرة الأمثال (١/ ١٢٤).

وقرأ كذلك معاذٌ القارئ، وأبو نهيك، وأبو المتوكِّلِ، والأعرجُ، إلَّا أنَّهم شدَّدوا النُّون[١].

قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك[٢].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ أبي عبلةَ، ويعقوبُ: «فلا تَصحبني» بفتح التَّاء من غير ألفٍ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العالية، والأعمشُ كذلك، إلَّا أنَّهم شدَّدوا النُّون.

وقرأ أبو رجاءٍ، وأبو عثمانَ النَّهدي، والنَّخعيُّ، والجَحْدريُّ: «تُصْحِبْني» بضمِّ التَّاءِ، وكسر الحاءِ، وسكون الصَّادِ والباءِ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: فيهما وجهان:

أحدهما: لا تتابعني في شيءٍ ألتمسه منك. يقال: قد أصحب المهر: إذا انقاد.

والثاني: لا تصحبني علماً من علمك[٤].

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ مثقَّل.

وقرأ نافعٌ: «من لدُنِي» بضمِّ الدَّال مع تخفيف النُّون.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «من لَدْني» بفتح اللَّام مع تسكين الدَّالِ.

وفي روايةٍ أُخرى عن عاصمٍ: «لُدْني» بضمِّ اللَّام وتسكين الدَّالِ[٥].

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٤/ ٢١٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٤/ ٢١٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٣٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

قال الزَّجَّاجُ: وأجودها تشديد النُّون، لأنَّ أصل لدن الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسِك زدت نونًا، ليسلم سكون النُّون الأُولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النُّون ثم تضيف إلى نفسِك، فتقول: من لدنِّي، كما تقول عن زيدٍ وعنِّي. فأما إسكان دال لدني فإنَّهم أسكنوها، كما تقول في عَضُدٍ: عَضْدٍ، فيحذفون الضَّمَّ[1].

قال ابنُ عباسٍ: يريد إنَّك قد أعذرت فيما بيني وبينك، يعني أنَّك قد أخبرتني أنِّي لا أستطيع معك صبرًا[2].

قوله: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ **فيها ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها أنطاكية، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الأبلة، قاله ابنُ سيرين.

والثالث: باجروان، قاله مُقَاتِلٌ[3].

قوله: ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: سألاهم الضِّيافة ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

روى المفضَّل عن عاصمٍ: «يُضِيفوهما» بضمّ الياءِ الأولى وكسر الضَّادِ وتخفيفِ الياءِ الثانية.

وقرأ أبو الجوزاءِ كذلك، إلَّا أنَّه فتح الياء الأُولى.

وقرأ الباقون: ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾ بفتح الضَّادِ وتشديدِ الياءِ الثانيةِ وكسرها[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢٧) من طريق سعيد بن جبير، به، بلفظ مطول.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٧)، وقال محققه: «وفي نسخة بدون إعجام»، أي: باحروان.

(٤) الكامل في القراءات (١/ ٥٩٣).

قال أبو عُبيدةَ: ومعنى ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾: ينزلوهما منزل الأضيافِ، يقال: ضفت أنا، وأضافني الذي ينزلني[١].

وقال الزَّجَّاجُ: يقال: ضفت الرَّجل: إذا نزلت عليه، وأضَفْتُه: إذا أنزلتُه وقريتُه[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: يقال: ضيَّفت الرَّجل: إذا أنزلته منزلةَ الأضيافِ، ومنه هذه الآية، وأضفته: أنزلته، وضفته: نزلت عليه. [٥٠٩/ ب]

وروى أُبيُّ بنُ كعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا**»[٣].

قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حائطًا.

قال ابنُ فارسٍ: وجمعه جدر، والجدر: أصل الحائطِ. ومنه حديث الزُّبير: «**ثُمَّ دَعِ الْمَاءَ يَرْجِعُ إِلَى الْجَدْرِ**»[٤]، والجيدر: القصير[٥].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١١٢٤٧) وهو بعض حديث طويل.

(٤) رواه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) بلفظ عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير، حدثه أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند رسولِ الله ﷺ، في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزُّبير: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه نبي الله ﷺ، ثم قال: «**يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**».

(٥) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٣١).



وقرأ أُبي بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاض» بألف ممدودة، وضاد معجمة[١].

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «ينقاص» بألف ومدَّه وصاد غير معجمة، وكلُّه بلا تشديد[٢].

قال الزَّجَّاجُ: فمعنى: ينقض: يسقط بسرعة، وينقاص، غير معجمة، ينشق طولاً، يقال: انقاضت[٣] سنُّه: إذا انشقت[٤].

قال ابن مقسم: انقاصت[٥] سنُّه، وانقاضت ـ بالصاد، والضاد ـ على معنى واحد.

فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟

فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهًا بمن يعقل ويريد، لأنَّ هيأته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر من أفعالِ المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوزًا، قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] والغضب لا يسكت، وإنَّما يسكت صاحبه، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] وأنشدوا من ذلك [من الخفيف][٦]:

---

(١) في التحصيل (٤/ ٢١٥) عن أُبي بن كعب، وانظر: المحرر (٣/ ٥٣٤).

(٢) في التحصيل (٤/ ٢١٥)، والمحرر المجيز (٣/ ٥٣٤) عن علي رضي الله عنه، وعكرمة، ويحيى بن يَعْمر.

(٣) هكذا في الأصل، و(ر)، والمطبوع من معاني القرآن وإعرابه بالضاد، وفي (م)، و(س): (انقاصت) بالصاد.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦).

(٥) في الأصل: (انقاضت)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) البيت لحسان بن ثابت في أساس البلاغة (لفف)، وبلا نسبة في لسان العرب (٤/ ٢٩٣) (دهر)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٩٢)، وديوان الأدب (١/ ١٠٧)، وتاج العروس (١١/ ٣٤٦) (دهر).

إِنَّ دَهْـرًا يَلُـفُّ شَـمْلِي بِجُمْـلٍ لَزَمَـانٌ يَهُـمُّ بِالْإِحْسَـانِ

وقال آخر[١]:

ضَحِكُـوا وَالدَّهْـرُ عَنْهُـمْ سَـاكِتٌ ثُـمَّ أَبْكَاهُـمْ دَمًـا لَمَّـا نَطَـقْ

وقال آخر [من الوافر][٢]:

يُرِيـدُ الرُّمْـحُ صَـدْرَ أَبِي بَـرَاءٍ وَيَرْغَـبُ عَـنْ دَمَـاءِ بَنِـي عَقِيـلِ

وقال آخر [من الرمل][٣]:

يَشْـكُو إِلَيَّ جَمَـلِي طُـولَ الـسُّرَى ....

وهذا كثير في أشعارهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: سوَّاه، لأنه وجده مائلاً.

وفي كيفية ما فعل قولان:

أحدهما: أنَّه دفعه بيده فقام.

والثاني: هدمه ثم قعد يبنيه، روي القولان عن ابن عبَّاسٍ.

قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وأبـو عمـرٍو: «لتخِـذت» بكسر الخـاءِ، غـير أنَّ أبـا عمـرٍو كان يدغـم الـذَّال، وابـن كثـيرٍ يظهرهـا.

---

(١) في عيون الأخبار (٢/ ٣٢٦)، والعقد الفريد (٦/ ٣٠٩) ويُروى:
سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ... ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا لَمَّا نَطَقْ

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦)، ولسان العرب (٣/ ١٨٩) (رود).

(٣) البيـت للمبـد بـن حرملـة في شرح أبيـات الكتـاب (١/ ٢٠٨)، وبـلا نسـبة في معـاني القـرآن (٢/ ٥٤)، والأضـداد (١/ ٢٢٢)، وعجـزه: «صَـبْرًا جَمِيـلًا فَكِلَانَـا مُبْتَـلَى».

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿لَتَخَذْتَ﴾ وكلُّهم أدغموا، إلَّا حفصًا عن عاصمٍ، فإنَّه لم يدغم مثل ابن كثيرٍ(١).

قال الزَّجَّاجُ: يقال: تَخِذَ يتْخَذُ في معنى: اتَّخَذَ يَتَّخِذُ، وإنَّما قال له هذا، لأنَّهم لم يضيِّفوهما(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: الخضر ﴿هَٰذَا﴾ يعني: الإنكار عليَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هو المُفرِّقُ بيننا.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: هذا فراقٌ بيننا، أي فراق اتِّصالنا، وكرَّر بين توكيدًا، ومثله في الكلام: أخزى الله الكاذب مِنِّي وَمِنْكَ(٣).

وقرأ أبو رَزِينٍ، وابنُ السَّمَيْفع، وأبو العالية، وابنُ أبي عبلةَ: «هذا فراقٌ» بالتَّنوين «بيني وبينَك» بنصب النُّون.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كان قول موسى في السَّفينةِ والغلام لربِّه، وكان [٥١٠/أ] قوله في الجدارِ لنفسِه، لطلب شيءٍ من الدُّنيا(٤).

قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

قوله: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ في المراد بمسكنتهم قولان:

أحدهما: أنَّهم كانوا ضعفاء في أكسابهم.

والثاني: في أبدانهم.

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٣)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦ـ ٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٠٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢١) في حديث طويل.

وقال كعبٌ: كانت لعشرة إخوةٍ، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحرِ[١].

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلها ذات عيبٍ، يعني بخرقها.

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أمامهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، وأبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبةَ[٢].

وقرأ أُبيٌّ بنُ كعبٍ، وابنُ مسعودٍ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ»[٣].

والثاني: خلفهم.

قال الزَّجَّاجُ: وهو أجودُ الوجهين[٤].

فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبرِهِ، فأعلم الله تعالى الخضر خبرَهُ.

قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ أي: كل سفينةٍ صالحةٍ.

وفي قراءةِ أُبيٍّ بنِ كعبٍ: «كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ»[٥].

قال الخضرُ: إنَّما خرقتها، لأنَّ الملكَ إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها فانتفعوا بها.

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾.

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٢)، وغريب القرآن (ص: ٢٧٠).

(٣) وهي قراءة ابن عباس كما في البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، وغيرهما.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥).

(٥) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير في المحرر الوجيز (٣/ ٥٣٥)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١٥/ ٣٥٤).



روي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه كان يقرأ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا»[١].

وروى أُبيُّ بنُ كعبٍ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**»[٢].

قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان الغلام على الطَّريق لا يمرُّ به أحد إلَّا قتله أو غصبه، فيدعو ذلك عليه وعلى أبويه.

وقال ابنُ السائبِ: كان الغلام لصًّا، فإذا جاءَ من يطلبه حلف أبواه أنَّه لم يفعل[٣].

قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ في القائلِ لهذا قولان:

أحدهما: الله ﷻ.

ثم في معنى الخشية المضافة إليه قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى: العلم.

قال الفَرَّاءُ: معناه: فعلمنا[٤].

وقال ابنُ عقيلٍ: المعنى: فعلنا فعل الخاشي.

والثاني: الكراهة، قاله الأخفشُ، والزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٤٠)، والبخاري(٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) رواه عبد بن حميد في مسنده (١٦٩)، و مسلم (٢٦٦١)، وأبو داود (٤٧٠٥)، والترمذي (٣١٥٠)، والنسائي في الكبرى (٥٨١٣).

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٣٣٣).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥)،

والثـاني: أنَّـه الخـضرُ، فتكـون الخشـية بمعنـى الخـوف للأمـرِ المتوهـم، قالـه ابـنُ الأنبـارِيِّ.

وقـد اسـتدلَّ بعضُهـم عـلى أنَّـه مـن كلامِ الخـضر بقولـه: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

قـال الزَّجَّـاجُ: المعنـى: فـأراد الله، لأنَّ لفـظَ الخـبرِ عـن الله تعـالى هكـذا أكثـر مـن أن يحـصى.

ومعنى ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يحملهما على الرَّهق، وهو الجهل.

قال أبو عُبيدةَ: يرهقهما: يغشيهما(١).

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: خشينا أن يحملهما حبُّه على أن يدخلا في دينه(٢).

وقـال قتـادة: فرحًـا بـه حـين وُلـد، وحزنًـا عليـه حـين قُتـل، ولـو بقـي كان فيـه هلاكهـما، فـرضي امـرؤ بقضـاءِ الله، فـإن قضـاء الله للمؤمـن فيـما يكره، خـير لـه مـن قضائـه فيـما يحـب(٣).

قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتَّخفيفِ.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بالتَّشديد(٤).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٤١٢).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٨٧).

(٣) عـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ٤٢٩) لابـن أبي حاتـم، والبيهقـي في الشـعب عـن قتـادة قـال: قـال مطـرف بـن الشـخير... فذكـره.

(٤) السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٤)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨١).

قوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: دينًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: عملاً، قاله مُقاتلٌ(١).

والثالث: صلاحًا، قاله الفَرَّاءُ(٢).

قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

[٥١٠/ب] قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿رُحْمًا﴾ ساكنة الحاءِ، وقرأ ابنُ عامرٍ: «رُحُمًا» مثقلة(٣).

وعن أبي عمرٍو كالقراءتين.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ جبيرٍ، وأبو رجاءٍ: «رَحِمًا» بفتح الرَّاءِ، وكسر الحاءِ(٤).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أوصل للرَّحم وأبرُّ للوالدين، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ.

وقال الزَّجَّاجُ: أقربُ عطفًا، وأمسُّ بالقرابة.

ومعنى الرُّحْم والرَّحْم في اللُّغة: العطف والرَّحمة، قال الشاعر [من مجزوء الوافر](٥):

وَكَيْفَ بظُلْمِ جارِيةٍ وَمِنْهَا اللينُ والرُّحْمُ؟

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٧)، والحجة (٥/ ١٥٥)، والتيسير (ص: ١٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

(٤) عن ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥).

(٥) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦)، ومجاز القرآن (١/ ٤١٣)، ولسان العرب (١٢/ ٢٣١).

والثاني: أقرب أن يُرْحما بِهِ ، قاله الفَرَّاءُ[١].

وفيما بُدِّلا به قولان:

أحدهما: جارية، قاله الأكثرون.

وروى عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: أبدلهما به جارية ولدت سبعين نبيًّا[٢].

والثاني: غلام مسلم، قاله ابنُ جريجٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾.

قال مُقاتلٌ: واسمُهما أصرم، وصريم[٣].

قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه كان ذهبًا وفضة، رواه أبو الدَّرداءِ عن رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦١) عن عطاء، عن ابن عباس به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

(٤) رواه الترمذي (٣١٥٢)، والبزار في مسنده (٤٠٨٢)، والطبراني في الأوسط (٦٩٦٩)، وفي الصغير (٩٧٧)، وابن عدي في الكامل (٩/ ١٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠١) من طريق الوليد بن مسلم، عن يزيد بن يوسف الصنعاني، عن مكحول، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد بن يوسف الصنعاني.



وقال الحسنُ[(١)]، وعكرمةُ[(٢)]، وقتادةُ[(٣)]: كان مالًا.

والثاني: أنَّه كان لوحًا من ذهبٍ، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدرِ ثمَّ هو ينصب، عجباً لمن أيقن بالنَّار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمنُ بالموتِ كيف يفرح، عجباً لمن يوقنُ بالرِّزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحسابِ كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدُّنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها، أنا الله لا إله إلَّا أنا، محمَّدٌ عبدي ورسولي، وفي الشِّقِّ الآخَرِ: أنا الله لا إله إلَّا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشرَّ، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريتُه على يديه، والويلُ لمن خلقته للشَّرِّ وأجريته على يديه، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: فسمي كنزًا من جهة الذَّهب، وجعل اسمه هو المغلَّب.

والثالث: كنز علم، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: صحف فيها علم[(٤)]، وبه قال سعيد بنُ جبيرٍ، والسُّدِّيُّ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: فيكون المعنى على هذا القولِ: كان تحته مثل الكنز، لأنَّه يتعجَّل من نفعه أفضل ممَّا ينال من الأموالِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٣) بلفظ: قَالَ: لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٍ فِيهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ كَيْفَ يَحْزَنُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ وَعَجِبتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا، كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٥) من طريق حصين، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

قال الزَّجَّاجُ: والمعروفُ في اللُّغة: أنَّ الكنز إذا أُفرد، فمعناه: المال المدفون المدَّخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهمٍ، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالًا، مكتوبٌ فيه علم، على ما روي، فهو مالٌ وعلمٌ عظيمٌ[١].

قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: حُفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكرْ منهما صلاحًا[٢].

وقال جعفرُ بنُ محمَّدٍ ﷺ: كان بينهما وبين ذلك الأب الصَّالح سبعة آباءٍ[٣].

وقال مُقاتلٌ: كان أبوهما ذا أمانةٍ[٤].

قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

قال ابنُ الأنباريِّ: لما كان قوله: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ و﴿فَأَرَدْنَآ﴾ كل واحدٍ منهما يصلح أن يكون خبرًا عن الله ﷻ، وعن الخضرِ، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، [٥١١/أ] ويزيلها عن غيرِهِ، ويكشف البغية من اللَّفظتين الأوَّلين.

وإنَّما قال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، لأنَّ العربَ تؤثر اختلاف الكلام على اتِّفاقه مع تساوي المعاني، لأنَّه أعذب على الألسنِ، وأحسن موقعًا في الأسماعِ، فيقول الرَّجلُ: قال لي فلان كذا، وأنبأني بما كان، وخبَّرني بما نال.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٧).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣٢) كما في زوائد المروزي، والحميدي في مسنده (٣٧٦)، وأبو داود في الزهد (٣٣٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٣٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٠) من طريق سعيد بن جبير، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٣) في حديث.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).



فأمَّا الأشدُّ فقد سبق ذكرهُ في مواضعَ(١)، ولو أنَّ الخضرَ لم يقم الحائط لنقض وأُخذ ذلك الكنزُ قبل بلوغهما.

قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: رحمهما الله بذلك.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ قال قتادةُ: كان عبدًا مأمورًا(٢).

فأمَّا قوله: ﴿تَسْطِع﴾ فإنَّ استطاع واسطاع بمعنى واحد.

قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

واختلفوا في اسمِ ذي القرنين على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: عبد الله، قاله عليٌّ عليه السلام، وروي عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّه عبد الله بنَ الضَّحاكِ.

والثاني: الإسكندر، قاله وهبٌ.

والثالث: عياش، قاله محمَّدُ بنُ عليٍّ بن الحسينِ.

والرابع: الصعبُ بنُ جابر بن القلمس، ذكره ابنُ أبي خيثمةَ.

وفي علَّة تسميته بذي القرنين عشرة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنهِ فهلك، فغبر زمانًا، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فذانك قرناه، قاله عليٌّ عليه السلام.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢)، وسورة يوسف الآية رقم (٢٢)، وسورة الإسراء الآية رقم (٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٦٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

والثاني: أَنَّه سمِّي بذي القَرنين، لأَنَّه سار إلى مغربِ الشَّمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: لأنَّ صفحتي رأسِهِ كانتا من نحاسٍ.

والرابع: لأَنَّه رأى في المنام كأنَّه امتدَّ من السَّماءِ إلى الأرضِ وأخذ بقرني الشَّمسِ، فقصَّ ذلك على قومِهِ، فسمِّي بذي القَرنين.

والخامس: لأَنَّه ملكُ الرُّومِ وفارس.

والسادس: لأَنَّه كان في رأسِهِ شبه القرنين، رويت هذه الأقوالُ الأربعةُ عن وهب بن منبِّهٍ.

والسابع: لأَنَّه كانت له غديرتان من شعرٍ، قاله الحسنُ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: والعربُ تسمِّي الضفيرتين من الشَّعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين؛ قال: ومَن قال سمِّي بذلك لأنَّه ملك فارس والرُّوم، قال: لأنَّهما عاليان على جانبين من الأرضِ، يقال لهما: قرنان.

والثامن: لأَنَّه كان كريم الطَّرفين من أهل بيتٍ ذوي شرفٍ.

والتاسع: لأَنَّه انقرض في زمانِهِ قرنان من النَّاس، وهو حيٌّ.

والعاشر: لأَنَّه سلك الظلمة والنُّور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو اسحاقَ الثَّعلبيُّ[1].

واختلفوا هل كان نبيًّا، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنَّه كان نبيًّا ، قاله عبد الله بنُ عمرٍو، والضَّحاكُ بنُ مزاحمٍ.

والثاني: أنَّه كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًّا، ولا مَلِكًا، قاله عليٌّ عليه السلام.

---

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٢٤٨).

وقال وهبٌ: كان ملكًا، ولم يُوْحَ إليه.

وفي زمان كونه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه من القرون الأُوُل من ولد يافث بن نوح، قاله عليٌّ عليه السلام. [٥١١/ ب]

والثاني: أنَّه كان بعد ثمودَ، قاله الحسنُ.

ويقال: كان عمره ألفًا وست مائة سنةٍ.

والثالث: أنَّه كان في الفترةِ بين عيسى ومحمَّدٍ صلَّى الله عليهما وسلَّم، قاله وهبٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: خبرًا يتضمَّن ذكره.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سهلَّنا عليه السير فيها.

قال عليٌّ عليه السلام: إنَّه أطاع الله، فسخَّر له السَّحاب فحمله عليه، ومدَّ له في الأسبابِ، وبسط له النُّور، فكان اللَّيلُ والنَّهارُ عليه سواء[١].

وقال مجاهدٌ: ملك الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان: سليمانُ بنُ دوادَ، وذو القَرنين؛ والكافران النُّمرودُ، وبختنصَّر[٢].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: علمًا يتسبَّب به إلى ما يريد[٣].

وقيل: هو العلمُ بالطُّرق والمسالكِ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٤٧) لابن إسحاق، والفريابي، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر بلفظ أطول من هذا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٥٧١) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧١) من طريق علي بن طلحة،به. قال: علماً.

قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «فاتَّبع سَببًا» «ثم اتَّبع سَببًا» «ثم اتَّبع سَببًا» مشدَّدات التَّاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «فأَتْبعَ سَببًا» «ثم أَتْبعَ سَببًا» «ثم أَتْبع سَببًا» مقطوعاتٍ[١].

قال ابنُ الأنبارِيِّ: مَن قرأ «فاتَّبع سَببًا» فمعناه: قفا الأثر، ومن قرأ «فأَتْبعَ» فمعناه: لحق؛ يقال: أَتْبَعَنِي فلانٌ، أي: تبعني، كما يقال: ألحقني فلانٌ، بمعنى لحقني.

وقال أبو عليٍّ: أتبع تقديره: أتبع سبباً سبباً، فأتبع ما هو عليه سبباً، والسَّببُ: الطَّريقُ، والمعنى: تبع طريقًا يؤدِّيه إلى مغربِ الشَّمسِ[٢].

وكان إذا ظهر على قومٍ أخذ منهم جيشًا فسارَ بهم إلى غيرِهم.

قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿حَمِئَةٍ﴾، وهي قراءةُ ابنُ عبَّاسٍ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «حامية»، وهي قراءةُ عمرٍو، وعليٍّ، وابنِ مسعودٍ، والزُّبير، ومعاويةَ، وأبي عبد الرَّحمنِ، والحسنِ، وعكرمةَ، والنَّخعيِّ، وقتادةَ، وأبي جعفرٍ، وشيبةَ، وابنِ مُحيصنٍ، والأعمشِ، كلهم لم يهمز[٣].

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٧)، والحجة (٥/ ١٦٦)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط(١/ ٢٨٢).

(٢) الحجة (٥/ ١٦٨).

(٣) السبعة (ص: ٣٩٨)، والحجة (٥/ ١٦٩)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

قال الزَّجَّاجُ: فمن قرأ: ﴿حَمِئَةٍ﴾ أراد في عينٍ ذَاتِ حمأةٍ، يقال: حَمأتُ البئر: إذا أخرجت حَمْأَتَها؛ وأحمأتها: إذا ألقيت فيها الحمأة، وحمِئَتْ فهي حمئة: إذا صارت فيها الحمأةُ، ومَن قرأ: «حَامِيَةً» بغير همزٍ، أراد: حارةً، وقد تكون حارة ذات حمأة(١).

وروى قتادةُ عن الحسنِ، قال: وجدها تغرب في ماءٍ يغلي كغليان القدور، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ لباسهم جلودُ السِّباعِ، وليس لهم طعامٌ إلَّا ما أحرقت الشَّمس من الدوابِّ إذا غربت نحوها، وما لفظت العين من الحيتان إذا وقعت فيها الشَّمسُ.

وقال ابنُ السَّائبِ: وجد عندها قومًا مؤمنين وكافرين، يعني عند العينِ.

وربـَّما توهَّم متوهِّمٌ أنَّ هذه الشَّمس على عظم قدرِها تغوصُ بذاتها في عين ماءٍ، وليس كذلك، فإنَّها أكبر من الدُّنيا مراراً، فكيف تسعها عين ماءٍ؟

وقيل: إنَّ الشَّمس بقدر الدُّنيا مائة وخمسين مرَّة، وقيل: بقدرِ الدُّنيا مائة وعشرين مرَّة، والقمر بقدرِ الدُّنيا ثمانين مرَّة. وإنَّما وجدها تغربُ في العينِ كما يرى راكب البحرِ الذي لا يرى طرفه أنَّ الشَّمسَ تغيب في الماءِ، وذلك لأنَّ ذا القرنين انتهى إلى آخرِ البنيان فوجد عينًا حمئة ليس بعدها أحد. [٥١٢/أ]

قوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ فمن قال: إنَّه نبيٌّ، قال: هذا القول وحيٌّ، ومَن قال: ليس بنبي، قال: هذا إلهامٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٨).

قولـه: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ قـال المفسِّرونَ: إمَّـا أن تقتلهـم إن أبـوا مـا تدعوهـم إليـه، وإمَّـا أن تأسرهـم، فتبصرهـم الرشـد.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشركَ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتـلِ إذا لم يرجـع عـن الـشِّركِ.

وقـال الحسـنُ: كان يطبخهـم في القـدورِ ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ بعـد العـذابِ ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بالنَّارِ.

قوله: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وابـنُ عامـرٍ، وأبـو بكـرٍ عـن عاصـمٍ: «جـزاءُ الحسـنى» رفـع مضـافٍ[١].

قـال الفَـرَّاءُ: الحسـنى الجنَّـة، وأضيـف الجـزاءُ إليهـا، وهي الجـزاءُ، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[الحاقـة: ٥١]، و﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[البينـة: ٥]، و﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾[النحـل: ٣٠][٢].

قـال أبـو عـليٍّ الفـارسيُّ: المعنـى: فلـه جـزاء الخـلال الحسـنى، لأنَّ الإيمانَ والعمـل الصَّالح خـلال[٣].

وقـرأ حمـزةُ، والكسـائيُّ، وحفـصٌ عـن عاصـمٍ، وخلـفٌ، ويعقـوبُ: ﴿جَزَآءً﴾ بالنَّصـبِ والتَّنويـنِ.

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٨)، والحجة (٥/ ١٧٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ١٨٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٥٩).

(٣) الحجة (٥/ ١٧٠).



قال الزَّجَّاجُ: وهو مصدرٌ منصوبٌ على الحالِ، المعنى: فله الحُسنى مجزيًّا بها جزاء(١).

وقال ابنُ الأنباريِّ: وقد يكون الجزاء غير الحسنى إذا تأول الجزاءِ بأنَّه الثَّواب؛ والحسنى الحسنة المكتسبة في الدُّنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدَّم من الحسنات.

قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نقولُ له قولًا جميلًا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[الكهف: ٨٩-٩١].

قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا آخر يوصله إلى المشرق.

قال قتادةُ: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرِّجال إلَّا من آمن حتَّى أتى مطلع الشَّمس فأصاب قوماً في أسراب عراة، ليس لهم طعامٌ إلَّا ما أحرقت الشَّمس إذا طلعت، فإذا توسطت السَّماء خرجوا من أسرابهم في طلبِ معايشهم ممَّا أحرقته الشَّمسُ.

وبلغنا أنَّهم كانوا في مكانٍ لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنَّهم الزنج.

قال الحسنُ: كانوا إذا غربت الشَّمس خرجوا يتراعون كما يتراعى الوحش.

وقرأ الحسنُ، ومجاهدٌ، وأبو مجلَزٍ، وأبو رجاء، وابنُ مُحيصنٍ: «مطلَع الشَّمس» بفتح اللَّامِ(٢).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٩).

(٢) في الكامل (١/ ٥٩٣) عن الحسن، وابن محيصن، وحميد، وفي التحصيل (٤/ ٢١٦) عن ابن كثير وغيره.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: ولا خلاف بين أهل العربيَّة في أنَّ المطلِع، والمطلَع كلاهما يعنى بهما المكان الذي تطلع منه الشَّمسُ.

ويقولون: ما كان على فعل يفعل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المفعل، كقولهم: المدخل، للدُّخول، والموضع الذي يدخل منه، إلَّا أحد عشر حرفًا جاءت مكسورة إذا أريد بها الموضع، وهي: المطلع، والمسكن، والمنسك، والمشرق، والمغرب، والمسجد، والمنبت، والمجزر، والمفرق، والمسقط، والمهبل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسةٌ من هؤلاء الأحد عشر حرفًا سُمع فيهن الفتح والكسر: المطْلِع، والمطلَع، والمنسِك والمنسَك، والمجزِر، والمجزَر، والمسكِن، والمسكَن، والمنبِت، والمنبَت؛ فقرأ الحسنُ على الأصل من احتمال المفعل الوجهين الموصوفين، [٥١٢/ب] وقراءةُ العامَّةِ على اختيار العربِ وما كثر على ألسنتها، وخصَّت الموضع بالكسرِ، وآثرت المصدر بالفتحِ.

قال أبو عمرٍو: المطلِع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمطلَع، بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابنُ الأَنبارِيِّ: هذا هو الأصلُ، ثمَّ إنَّ العربَ تتسع فتجعل الاسمَ نائبًا عن المصدرِ، فيقرؤون: «حتَّى مطلِع الفجرِ» [القدر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطُّلوع؛ ويقرأ من قرأ «مطلَع» بالفتح على أنَّه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسمٌ للموضع الذي يدخل منه.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: كما بلغ مغرب الشَّمسِ بلغ مطلعها.

والثاني: اتَّبع سببًا كما اتبع سبباً.



والثالث: كما وجد أولئك عند مغربِ الشَّمسِ وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاءِ عند مطلعها وحكمَ فيهم.

والرابع: أنَّ المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك؛ ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ بما عنده ومعه من الجيوشِ والعددِ.

وحكى أبو سليمان الدِّمشقيُّ: ﴿بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عند مطلع الشَّمسِ، وقد سبق معنى الخبر[1].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[الكهف: ٩٢-٩٨].

قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا ثالثًا بين المشرقِ والمغربِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾.

قال وهبُ بن منبِّهٍ: هما جبلان منيفان في السَّماءِ، من ورائهما البحر، من أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرضِ التُّركِ ممَّا يلي بلاد أرمينية[2].

وروى عطاءٌ الخراسانيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: الجبلان من قبل أرمينيةَ وأذربيجانَ[3].

---

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٦٨).

(٢) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٢٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٦).

واختلفَ القرَّاءُ في ﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾:

فقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ بفتح السَّينِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ بضمِّها[١].

وهل المعنى واحدٌ، أم لا؟ **فيه قولان:**

أحدها: أنَّه واحدٌ.

قال ابنُ الأعرابيِّ: كل ما قابلك فسدَّ ما وراءه، فهو سَدٌّ، وسُدٌّ، نحو: الضَّعف والضُّعف، والفَقر والفُقر[٢].

قال الكسائيُّ، وثعلبٌ: السَّد والسُّد لغتان بمعنى واحد، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ.

والثاني: أنَّهما يختلفان.

وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما: أنَّ ما هو من فعلِ الله تعالى فهو مضمومٌ، وما هو من فعل الآدميين فهو مفتوحٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، وأبو عُبيدةَ[٣].

قال الفَرَّاءُ: وعلى هذا رأيتُ المشيخةَ وأهل العلمِ من النَّحويين.

والثاني: أنَّ السَّد، بفتح السَّين: الحاجز بين الشَّيئين، والسُّد، بضمِّها: الغشاوة في العينِ، قاله أبو عمرِو بنُ العلاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ يعني: أمامَ السَّدَّين ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

---

(١) السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٤).



قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، ونافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وعاصـمٌ، وابـنُ عامـرٍ: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بفتـح اليـاءِ، أي: لا يـكادون يفهمونـه.

قـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: قـال اللُّغويـون: معنـاه أنَّهـم يفهمـون بعـد إبطـاء، وهــو كقولــه: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقـرة: ٧١].

قال المفسِّرون: وإنَّما كانوا كذلك لأنَّهم لا يعرفون غير لغتهم.

وقـرأ حمـزةُ، والكسـائيُّ: «يُفقِهـون» بضـمِّ اليـاءِ، أراد: يُفْهِمُـون غيرهـم. وقيـل: كلَّـم ذا القَرنـين عنهـم مترجمـون ترجمـوا[١]. [٥١٣/أ]

قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما اسمان أعجميَّانِ، وقد همزهما عاصمٌ[٢].

قال اللَّيثُ: الهمزُ لغةٌ رديئةٌ.

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: يأجـوج رجـلٌ، ومأجـوج رجـلٌ، وهمـا ابنـا يافـث بـن نـوح عليه السلام، فيأجـوج ومأجـوج عـشرة أجـزاء، وولـد آدم كلهـم جـزء، وهـم شـبر وشـبران وثلاثـة أشـبارٍ[٣].

وقــال عــليٌّ عليه السلام منهــم مــن طولــه شــبرٌ، ومنهــم مَــن هــو مفــرط في الطُّــول، ولهــم مــن الشَّــعر مــا يواريهــم مــن الحــرِّ والــبردِ.

وقال الضَّحاكُ: هم جيلٌ من التُّركِ.

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٢)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٢) السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٢)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٣) رواه الحاكـم في المسـتدرك (٤/ ٥٧٢) مـن طريـق أبي الجـوزاء، بـه بلفظ: «يَأْجُـوجُ وَمَأْجُـوجُ شِـبْرٌ وَشِـبْرَيْنِ، وَثَلَاثَـةٌ، وَهُـمْ مِـنْ وَلَـدِ آدَمَ».
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٥٧) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وقال السُّدِّيُّ: التُّرْكُ سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير، فجاء ذو القَرنين فضرب السَّدَّ، فبقيت خارجة.

وروى شقيقٌ عن حذيفةَ، قال: سألت رسولَ الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «**يَأْجُوجُ أُمَّةٌ، وَمَأْجُوجُ أُمَّةٌ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُمِائَةِ أُمَّةٍ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ حَمَلَ السِّلَاحَ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «**هُمْ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مِنْهُمْ أَمْثَالُ الْأَرْزِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْأَرْزِ؟ قَالَ: «**شَجَرٌ بِالشَّامِ طُولُ الشَّجَرَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ ذِرَاعٍ فِي السَّمَاءِ، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ عِشْرُونَ وَمِائَةُ ذِرَاعٍ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَقُومُ لَهُمْ جَبَلٌ وَلَا حَدِيدٌ، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ يَفْتَرِشُ بِأُذُنِهِ، وَيَلْتَحِفُ بِالْأُخْرَى، لَا يَمُرُّونَ بِفِيلٍ وَلَا وَحْشٍ وَلَا جَمَلٍ وَلَا خِنْزِيرٍ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَكَلُوهُ، مُقَدِّمَتُهُمْ بِالشَّامِ، وسَاقَتُهُمْ بِخُرَاسَانَ، يَشْرَبُونَ أَنْهَارَ الْمَشْرِقِ، وَبُحَيْرَةَ طَبَرِيَّةَ**»(١).

قوله: ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **في هذا الفسادُ أربعة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والثاني: أنَّهم كانوا يأكلون النَّاس، قاله سعيدُ بنُ عبد العزيز.

والثالث: يخرجون إلى الأرضِ الذين شكوا منهم أيام الرَّبيع، فلا يدعون شيئًا أخضرَ إلَّا أكلوه، ولا يابسًا إلَّا احتملوه إلى أرضِهم، قاله ابنُ السَّائبِ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٨٥٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٦) من طريق يحيى بن سعيد العطار، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، به، بنحوه.
وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يحيى بن سعيد العطار، وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، ولم يصرح بالتحديث.

والرابع: كانوا يقتلون النَّاس، قاله مُقَاتِلٌ[١].

قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألفٍ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «خراجًا» بألفٍ[٢].

وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عُبيدةَ، واللَّيث.

والثاني: أنَّ الخرج: ما تبرَّعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه، قاله أبو عمرو بنِ العلاءِ.

قال المفسِّرون: المعنى: هل نخرجُ إليك من أموالنا شيئًا كالجعل لك؟

قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «مكنني» بنونين، وكذلك هي في مصاحفِ مكَّةَ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: ﴿مَكَّنِّي﴾ بالتَّشديدِ[٤]، أدغم النُّونَ في النُّونِ لاجتماع النُّونين، ومَن قرأ: «مكنني» أظهرَ النُّونين، لأنَّهما من كلمتين، الأولى من الفعلِ، والثَّانية تدخل مع الاسمِ المضمرِ[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٢) السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٣ـ ٢٨٤).

(٣) هي قراءة ابن كثير وحده: «ما مكنني»، وانظر: السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٦)، والمبسوط (١/ ١٨٤).

(٤) في الأصل، و(ر): (بنونين بالتشديد)، والمثبت من (س).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٠).

وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان:

أحدهما: أنَّه العلم بالله؛ وطلب ثوابه.

والثاني: ما ملك من الدُّنيا، والمعنى: الذي أعطاني الله خيرٌ ممَّا [٥١٣/ب] تبذلون لي.

قوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ **فيها قولان:**

أحدهما: أنَّها الرِّجال، قاله مجاهدٌ، ومُقاتلٌ(١).

والثاني: الآلة، قاله ابنُ السَّائبِ.

فأمَّا الرَّدمُ، فهو: الحاجزُ.

قال الزَّجَّاجُ: والرَّدمُ في اللُّغة أكبر من السَّدِّ، لأنَّ الرَّدمَ: ما جعل بعضه على بعضٍ، يقال: ثوبٌ مردم: إذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة(٢).

قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿رَدْمًا﴾ ﴿ءَاتُونِي﴾ أي: أعطوني.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ردمٍ» «إيتوني» بكسر التَّنوين، أي: جيئوني بها(٣).

قال ابنُ عبَّاسٍ: احملوها إليَّ(٤).

وقال مُقاتلٌ: أعطوني(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١١).

(٣) السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٤ـ ١٧٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٤).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٦٠١).

وقال الفَرَّاءُ: المعنى: إيتوني بها، فلمّا ألقيت الياء زيدت ألف[١].

فأمَّا الزُّبَرُ، فهي: القطع، واحدتها: زُبرةٌ؛ والمعنى: فأتوه بها فبناه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ روى أبانُ: «إذا سوَّى» بتشديدِ الواوِ من غير ألفٍ[٢].

قال الفَرَّاءُ: ساوى وسوَّى سواءٌ[٣].

واختلف القُرَّاء في ﴿ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾:

فقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «الصُّدُفين» بضمِّ الصَّادِ والدَّالِ، وهي: لغةُ حِمْيَر.

وروى أبو بكرٍ والمُفَضَّلُ عن عاصمٍ: «الصُّدْفين» بضمِّ الصَّادِ وتسكينِ الدَّالِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وخلفٌ، بفتحِ الصَّادِ والدَّال جميعًا، وهي لغةُ تميمٍ، واختارها ثعلبٌ[٤].

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، وابنُ يعمرَ: «الصَّدُفين» بفتحِ الصَّادِ ورفع الدَّالِ.

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو عمرانَ، والزُّهريُّ، والجَحْدريُّ برفعِ الصَّادِ

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥)، عن قتادة، وأبان عن عاصم، وعن قتادة في المحرر (٩/ ٤٠٦)، والكامل (١/ ٥٩٤).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٦٠).

(٤) السبعة (ص: ٤٠١)، والحجة (٥/ ١٧٧)، والتيسير (ص: ١٤٦).

وفتح الدَّالِ(١).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: ويقال: صُدَفَ، على مثال نُغَر، وكل هذه لُغاتٌ في الكلمةِ.

قال أبو عُبيدةَ: الصَّدفان: جنبا الجبلِ(٢).

قال الأزهريُّ: يقال لجانبي الجبلِ: صدفان، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتلاقيهما(٣).

قال المفسِّرون: حشا ما بين الجبلين بالحديدِ، ونسج بين طبقاتِ الحديدِ الحطبِ والفحمِ، ووضع عليها المنافيخ، ثمَّ ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاء ترجعُ إلى ما بين الصَّدفين ﴿نَارًا﴾ أي: كالنَّارِ، لأنَّ الحديد إذا أحمي بالفحمِ والمنافيخ صار كالنَّارِ، ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ: «آتوني» ممدودة؛ والمعنى: أعطوني.

وقرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «إيتوني» مقصورة؛ والمعنى: جيئوني به أفرغه عليه(٤).

وفي القطر أربعة أقوالٍ:

---

(١) المحتسب (٢/ ٣٤)، والمحرر (٣/ ٥٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤١٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٢/ ١٠٤).

(٤) تقدم قريبًا.

أحدها: أنَّه النَّحاسُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ[١].

والثاني: أنَّه الحديدُ الذَّائبُ، قاله أبو عُبيدةَ[٢].

والثالث: الصُّفْر المذاب، قاله مُقاتلٌ[٣].

والرابع: الرَّصاصُ، حكاه ابنُ الأنبارِيِّ.

قال المفسِّرون: أذاب القطر ثمَّ صبَّه عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتَّى صار جبلاً صلدًا من حديدٍ وقطرٍ.

قال قتادةُ: فهو كالْبُرْدِ الْمُحَبَّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء[٤].

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ أصله: فما استطاعوا، فلمَّا كانت التَّاء والطَّاء من مخرج واحد أحبُّوا التَّخفيف فحذفوا.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما تقول العربُ: اسطاع، تخفيفًا، كما قالوا: سوف يقوم، وسيقوم، فأسقطوا الفاءَ.

قوله تعالى: ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه، يقال: ظهر فلانٌ فوق البيتِ: إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وإملاسه ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ من أسفلِهِ لشدَّتِهِ وصلابته. [٥١٤/أ]

وروى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي**

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤١٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ فَيَرَوْنَهُ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ»، وذكر باقي الحديث[١]، وقد ذكرت هذا الحديث بطولِهِ وأشباهه في كتاب الحدائق، فكرهت التَّطويل هاهنا.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ لما فرغ ذو القرنين من بنيانه قال هذا.

وفيما أشار إليه قولان:

أحدُهما: أنَّه الرَّدمُ، قاله مُقاتلٌ[٢]؛ قال: فالمعنى: هذا نعمةٌ من ربِّي على المسلمين لئلَّا يخرجوا إليهم.

والثاني: أنَّه التَّمكينُ الذي أدرك به عمل السَّدِّ، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ **فيه قولان:**

أحدُهما: القيامة.

والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّاءَ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «دكًّا» منونًا غير مهموزٍ ولا ممدودٍ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦٤٣٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٩٨)، وإسناده صحيح.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٢).

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدودةٌ مهموزةٌ بلا تنوينٍ(١).

وقد شرحنا معنى الكلمة في الأعرافِ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[الكهف: ٩٩-١٠٠].

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ في المشار إليهم **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: أنَّهم يأجوجُ ومأجوجُ.

ثمَّ في المراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّه يوم انقضى أمر السدِّ، تُركوا يموج بعضهم في بعضٍ من ورائِهِ مختلطين لكثرتهم؛ وقيل: ماجوا متعجِّبين من السدِّ، **والثاني**: أنَّه يوم يخرجون من السدِّ تركوا يموج بعضُهم في بعضٍ.

والثاني: أنَّهم الكفَّارُ.

والثالث: أنَّهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى.

فعلى هذين القولين، المرادُ باليوم المذكور يوم القيامةِ.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هذه نفخةُ البعثِ.

وقد شرحنا معنى الصُّورِ في الأنعامِ(٣).

---

(١) السبعة (ص: ٢٩٣)، والحجة (٥/ ١٨٢)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٣).

قوله: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتَّى شاهدوها.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ يعني: أعينُ قلوبهم ﴿فِي غِطَآءٍ﴾ أي: في غفلةٍ ﴿عَن ذِكۡرِي﴾ أي: عن توحيدي والإيمان بي وبكتابي ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكراهتهم ما ينذرون به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾[الكهف: ١٠٢].

قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: أفظنَّ المشركون ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾.

في هؤلاء العباد ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم الشَّياطينُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: الأصنام، قاله مُقاتلٌ(١).

والثالث: الملائكةُ والمسيحُ وعزيرٌ وسائرُ المعبوداتِ من دونِهِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ. [٥١٤/ب]

قوله: ﴿مِن دُونِيٓ﴾:

فتح هذه الياء نافعٌ، وأبو عمرٍو(٢).

وجوابُ الاستفهامِ في هذه الآية محذوفٌ، **وفي تقديره قولان:**

أحدهما: أفحسبوا أن يتَّخذوهم أولياء، كلَّا بل هم أعداءٌ لهم يتبرَّؤون منهم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٠٢)، والتيسير (ص: ١٤٧).

والثاني: أن يتَّخذوهم أولياء ولا أغضب ولا أعاقبهم.

وروى أبانُ عن عاصمٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «أفحسْبُ» بتسكينِ السِّين وضمِّ الباءِ، وهي قراءةُ عليٍّ عليه السلام، وابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وابنُ مُحيصنٍ[1]؛ ومعناها: أفيكفيهم أن يتَّخذوهم أولياءَ؟

فأمَّا النُّزل ففيه قولان:

أحدهما: أنه ما يُهيَّأ للضَّيف والعسكر، قاله ابنُ قُتيبةَ[2].

والثاني: أنَّه المنزل، قاله الزَّجَّاجُ[3].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[الكهف: ١٠٣-١٠٦].

قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم القِسِّيسون والرُّهبان، قاله عليٌّ عليه السلام، والضَّحاكُ.

والثاني: اليهودُ والنَّصارى، قاله سعدُ بنُ أبي وقاصٍ.

قوله: ﴿أَعْمَالًا﴾ منصوبٌ على التَّمييز، لأنَّه لما قال: بالأخسرينَ كان ذلك مبهمًا لا يدلُّ على ما خسروه، فبيَّنَ ذلك في أي نوعٍ وقعَ.

---

(١) انظر: الكامل (ص: ٥٩٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٤).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ﴾ أي: بطل عملُهم واجتهادهم في الدُّنيا، وهم يظنُّون أنَّهم مُحسنون بأفعالهم، فرؤساؤهم يعلمون الصَّحيح، ويُؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلِّدون بغير دليلٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعثِ والجزاءِ، وذلك أنَّهم بكفرِهم برسولِ الله ﷺ والقرآن صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي: بطل اجتهادهم، لأنَّه خلا عن الإيمانِ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والجَحْدريُّ: «فلا يقيم» بالياءِ[(١)].

وفي معناه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه إنَّما يثقل الميزان بالطَّاعةِ، وإنَّما توزنُ الحسناتُ والسَّيئاتُ، والكافرُ لا طاعةَ له.

والثاني: أنَّ المعنى: لا نقيم لهم قدرًا.

قال ابنُ الأعرابيِّ في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزنٌ، أي: قدرٌ، لخسَّته.

فالمعنى: أنَّهم لا يعتدُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدرٌ ولا منزلةٌ.

وقد روى أبو هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾**»[(٢)].

---

(١) عن عبيد بن عمير في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٣١) وزاد مجاهدًا.

(٢) متَّفق عليه: البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

والثالث: أنَّه قال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ لأنَّ الوزنَ عليهم لا لهم، ذكره ابنُ الأنبارِيِّ.

قولـه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ أي: الأمـرُ ذلـك الـذي ذكـرت مـن بطـلان عملهـم وخسَّـة قدرهـم، ثـمَّ ابتـدأ فقـال: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، وقيـل: المعنـى: ذلـك التَّصغـير لهـم، وجزاؤهـم جهنَّـم، فأضمـرت واو الحـال.

قولـه: ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ أي: بكفرهـم واتِّخاذهـم ﴿ءَايَٰتِي﴾ التـي أنزلتهـا ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: مهـزوءًا بـه.

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[الكهـف: ١٠٧-١٠٨].

قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾.

قال ابنُ الأنباريِّ: كانت لهم في علمِ الله قبل أن يُخلقوا. [٥١٥/أ]

وروى البخـاريُّ ومسـلمٌ في الصَّحيحـين مـن حديـثِ أبي موسـى عـن النَّبـيِّ ﷺ أنَّـه قـال: «جِنَـانُ الْفِـرْدَوسِ أَرْبَـعٌ: ثِنْتَـانِ مِـنْ ذَهَـبٍ، حِلْيَتُهُـمَا وَآنِيَتُهُـمَا، وَثِنْتَـانِ مِـنْ فِضَّـةٍ، حِلْيَتُهُـمَا وَآنِيَتُهُـمَا، وَلَيْـسَ بَـيْنَ الْقَـوْمِ وَبَـيْنَ أَنْ يَنْظُـرُوا إِلَى رَبِّهِـمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَـاءِ عَـلَى وَجْهِـهِ فِي جَنَّـةِ عَـدْنٍ»(١).

وروى عبـادةُ بـنُ الصَّامـتِ عـن رسـولِ الله ﷺ أنَّـه قـال: «الْجَنَّـةُ مِائَـةُ دَرَجَـةٍ مَـا بَـيْنَ كُلِّ دَرَجَتَـيْنِ كَـمَا بَـيْنَ السَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِـرْدَوْسُ أَعْلَاهَـا، وَمِنْهَـا تَفَجَّـرُ الْأَنْهَـارُ الْأَرْبَعَـةُ، وَإِذَا سَـأَلْتُمُ اللهَ فَاسْـأَلُوهُ الْفِـرْدَوْسَ»(٢).

(١) متفـق عليـه: البخـاري (٧٤٤٤)، ومسـلم (١٨٠)، وقـد سـاقه المؤلـف بالمعنـى، ولفظـه: «جَنَّتَـانِ مِـنْ فِضَّـةٍ آنِيَتُهُـمَا، وَمَـا فِيهِـمَا، وَجَنَّتَـانِ مِـنْ ذَهَـبٍ آنِيَتُهُـمَا، وَمَـا فِيهِـمَا، وَمَـا بَـيْنَ الْقَـوْمِ وَبَـيْنَ أَنْ يَنْظُـرُوا إِلَى رَبِّهِـمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَـاءِ عَـلَى وَجْهِـهِ فِي جَنَّـةِ عَـدْنٍ».

(٢) رواه أحمـد (٣٧/ ٣٦٩)، والترمـذي (٢٥٣١)، وابـن جرير الطبري في تفسـيره (١٥/ ٤٣٢)،=

قال أبو أمامةَ: الفردوسُ سرة الجنَّة[١].

قال مجاهدٌ: الفردوسُ: البستانُ بالرُّوميَّةِ[٢].

وقال كعبٌ[٣]، والضَّحاكُ: جنَّاتُ الفردوسِ: جنَّاتُ الأعنابِ.

قال الكلبيُّ، والفرَّاءُ: الفردوسُ: البُستانُ الذي فيه الكرمُ[٤].

وقال المبرِّدُ: الفردوسُ فيما سمعت من كلامِ العربِ: الشَّجرُ الملتفُّ، والأغلب عليه العنب.

وقال ثعلبٌ: كلُّ بستانٍ يحوط عليه فهو فردوسٌ، قال عبد الله بنُ رواحةَ[٥]:

فِي جِنَانِ الْفِرْدَوسِ لَيْسَ يَخَافُو نَ خُرُوجًا عَنْهَا وَلَا تَحْوِيْلا

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي قال: قال الزَّجَّاجُ: الفردوسُ أصله روميٌّ أُعرب، وهو البستانُ، كذلك جاء في التَّفسيرِ، وقد قيل: الفردوس تعرفه العربُ، وتسمِّي الموضع الذي فيه كرم: فردوسًا.

وقال أهل اللُّغة: الفردوسُ مذكَّرٌ، وإنَّما أُنِّث في قوله تعالى: ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] لأنَّه عني به الجنَّة.

=والشاشي في مسنده (١٢٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٢٦).

(١) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٤٥١)، وابن جرير الطبري (١٥/ ٤٣١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٢) من طريق عبد الله بن كثير، به.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٤١١١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٣٢) من طريق عبد الله بن الحارث، به.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

(٥) البيت في الزاهر (١/ ٥٠٣)، والمذكر والمؤنث (١/ ٤٩٩).

وقال الزَّجَّاجُ: وقيل: الفردوسُ: الأوديةُ التي تنبت ضروبًا من النَّبتِ، وقيل: هو بالروميَّةِ منقولٌ إلى لفظ العربيَّة، قال: والفردوسُ أيضاً بالسِّريانيَّةِ كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجده في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وبيت حسان: [من الطويل][1]

وَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

وقال ابنُ الكلبيِّ بإسناده: الفردوس: البُستانُ بلغة الرُّوم، وقال الفَرَّاءُ: وهو عربيٌّ أيضًا، والعربُ تسمِّي البُستان الذي فيه الكرمُ فردوساً[2].

وقال السُّدِّيُّ: الفردوسُ أصله بالنبطيَّة فرداسا[3].

وقال عبدُ الله بنُ الحارث: الفردوس: الأعناب[4].

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿نُزُلًا﴾ آنفًا[5].

قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لا يريدون عنها تحولاً، يقال: قد حال من مكانِهِ حولاً، كما قالوا في المصادر: صغُر صغَرًا، وعظُم عظَمًا، وعادني حبُّها عودًا؛ قال: وقد قيل أيضًا: إنَّ الحول: الحيلة، فيكون المعنى: لا يحتالون منزلاً غيرها[6].

---

(١) البيت لحسان في ديوانه (ص: ٣٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٥)، والزاهر (١/ ٥٠٣)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٠٤)، ولسان العرب (٦/ ١٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٠٩).

(٤) انظر: المعرب (ص: ٤٧٠).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩٨).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٥).

فإن قيل: قد علم أنَّ الجنَّةَ كثيرةُ الخيرِ، فما وجه مدحها بأنَّهم لايبغون عنها حولاً؟

فالجوابُ: أنَّ الإنسانَ قد يجد في الدَّار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دارٍ أخرى، وقد يمل، والجنَّة على خلاف ذلك. [٥١٥/ب]

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾.

سبب نزولها: أنَّه لما نزلَ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهودُ: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علمُ كلِّ شيءٍ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ(١).

ومعنى الآية: لو كان ماء البحرِ مدادًا يكتب به.

قال مجاهدٌ: والمعنى: لو كان البحرُ مدادًا للقلمِ، والقلم يكتب(٢).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: سمِّي المدادُ مداداً لإمدادِهِ الكاتب، وأصلُه من الزِّيادةِ ومجيء الشَّيءِ بعد الشَّيءِ.

وقرأ الحسنُ، والأعمشُ: «مددًا لكلماتِ ربِّي» بغير ألفٍ(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي (١١٢٥٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٩)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٤٥٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢١).

قوله: ﴿قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ: ﴿تَنفَدَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «ينفد» بالياءِ[١].

قال أبو عليٍّ: التَّأنيثُ أحسنُ، لأنَّ المسند إليه الفعل مؤنَّث، والتَّذكيرُ حسنٌ، لأنَّ التَّأنيثَ ليس بحقيقي، وإنَّما لم تنفد كلمات الله، لأنَّ كلامه صفة من صفات ذاتِهِ، ولا يتطرق على صفاته النفادُ[٢] ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ﴾ أي: بمثلِ البحرِ ﴿مَدَدٗا﴾ أي: زيادة؛ والمدد: كل شيءٍ زاد في شيءٍ[٣].

فإن قيل: لم قال في أوَّل الآية: مداداً وفي آخرها: مددًا وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنبارِيِّ فقال: لما كان الثَّاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أتت على الفعل، والفعل، كقوله: نُـزُلاً هُـزُوًا حِـوَلاً كان قوله: مددًا أشبه بهؤلاء الألفاظِ من المدادِ، واتِّفاق المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتمام السجع والنَّثر أخفُّ على الألسنِ، وأحلى موقعًا في الأسماعِ، فاختلفت اللَّفظتان لهذه العلَّةِ.

وقد قرأ ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وأبو رجاء، وقتادةُ، وابنُ مُحيصنٍ: «ولو جئنا بمثله مدادًا» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع.

وقراءة الأولين أبينُ حجَّة، وأوضح منهاجًا.

---

(١) السبعة (ص: ٤٠٢)، والحجة (٥/ ١٨٣)، والمبسوط (ص: ٢٨٥).

(٢) في الأصل، و(ر): (النفاذ)، والمثبت من بقية (م)، و(س).

(٣) الحجة (٥/ ١٨٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: علم الله تعالى رسوله التواضع لئلَّا يزهى على خلقه، فأمره أن يقر على نفسِهِ بأنَّه آدمي كغيرِهِ، إلَّا أنَّه أُكرمَ بالوحي[(١)].

قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾.

سبب نزولها: أنَّ جُندب بنَ زهيرٍ الغامدي قال لرسول الله ﷺ: إنِّي أعمل العمل فإذا اطُّلع عليه سرَّني، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَقْبَلُ مَا رُوئِيَ فِيهِ**»، فنزلت فيه هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ[(٢)].

وقال طاووسُ: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي أحبُّ الجهادَ وأحبُّ أن يُرى مكاني، فنزلت هذه الآيةُ[(٣)].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٢).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٩٩) بلا إسناد عن ابن عباس، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٥٨٠) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح، عن ابنِ عباسٍ، قَالَ: كَانَ جُنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ إِذَا صَلَّى، أَوْ صَامَ أَوْ تَصَدَّقَ، فَذُكِرَ بِخَيْرٍ ارْتَاحَ، فَزَادَ فِي ذَلِكَ لِمَقَالَةِ النَّاسِ، فَلَا يُرِيدُ بِهِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٤٧)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٤٤٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٦) من طريق عبد الكريم الجزري، عن طاوس مرسلًا. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٦٤٣٨) بذكر ابن عباس.



وقال مجاهدٌ: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: إنِّي أتصدَّقُ، وأصل الرَّحم، ولا أصنع ذلك إلَّا لله تعالى، فيُذكر ذلك منِّي وأُحمد عليه فيسرُّني ذلك وأُعجب به، فسكت رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ[١].

وفي قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا﴾ قولان:

[٥١٦/أ] أحدهما: يخاف، قاله ابنُ قُتيبةَ[٢].

والثاني: يأمل، وهو اختيار الزَّجَّاج[٣].

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: المعنى: فمن كان يرجو لقاءَ ثواب ربِّه.

قال المفسِّرون: وذلك يوم البعثِ والجزاءِ.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ لا يرائي به ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: لا يرائي[٤].

قال معاويةُ بنُ أبي سفيانَ: هذه آخرُ آيةٍ نزلت من القرآنِ[٥].

---

(١) رواه هناد في الزهد (٢/ ٤٣٥) عن مجاهد مرسلاً، بلفظ قريب.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧١)

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٦).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤٣٩).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٤١) من طريق عمرو بن قيس الكندي، به، بنحوه.

سورة مريم

وهي مكيَّةٌ بإجماعهم من غير خلافٍ علمناه.

وقال مُقاتلٌ: هي مكيَّةٌ غير سجدتها، فإنَّها مدنيَّةٌ[1].

وقال هبةُ الله المفسِّر[2]: هي مكيَّةٌ غير آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ والتي تليها [مريم: ٦٠- ٥٩][3].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ [مريم: ١- ٦].

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ: «كهَيَعص ذكر» بفتحِ الهاءِ والياءِ، وتبيين الدَّال التي في هجاءِ صاد.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦١٩).

(٢) هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم البغدادي الضرير المفسر صاحب الناسخ و المنسوخ، إمام حافظ، قال الداني: كان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن واختلاف السلف فيه، توفي ببغداد سنة (٤١٠هـ)، وانظر ترجمته: غاية النهاية (٢/ ٣٥١)، وطبقات المفسرين (٢/ ٣٤٨).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ (ص:١١٨).



وقرأ أبو عمرٍو: «كهِيَعص» بكسرِ الهاءِ وفتح الياءِ ويدغم الدَّال في الذَّالِ.

وكان نافعٌ يلفظ بالهاءِ والياءِ بين الكسرِ والفتحِ، ولا يدغم الدَّالَ التي في هجاءِ صاد في الذَّال من «ذكر».

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ، والكسائيُّ، بكسر الهاءِ والياءِ، إلَّا أنَّ الكسائيَّ لا يبين الدَّال، وعاصمٌ يبينها.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، بفتح الهاءِ وكسر الياءِ ويدغمان[1].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ: «كهُيَعص» برفعِ الهاءِ وفتح الياءِ[2].

وقد ذكرنا في أوَّلِ البقرةِ ما يشتمل على بيانِ هذا الجنسِ، وقد خصَّ المفسِّرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها حروفٌ من أسماءِ الله تعالى، قاله الأكثرون.

ثم اختلف هؤلاءِ في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه من اسمِ الله الكبير.

والثاني: من الكريم.

والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه من الملك، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

فأمَّا الهاءُ، فكلُّهم قالوا: هي من اسمِهِ الهادي، إلَّا القرظي فإنَّه قال: من اسمِه الله.

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٦)، والحجة (٥/ ١٨٤)، والتيسير (ص: ١٤٧).

(٢) وعن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦).

وأمَّا الياء، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها من حكيمٍ.

والثاني: من رحيمٍ.

والثالث: من أمينٍ، روى هذه الأقوال الثَّلاثة سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

فأمَّا العينُ ففيها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها من عليمٍ.

والثاني: من عالمٍ.

والثالث: من عزيزٍ، رواها أيضًا سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّها من عدلٍ، قاله الضَّحاكُ.

وأمَّا الصادُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها من صادقٍ.

والثاني: من صدوق، رواهما سعيدُ بنُ جبيرٍ أيضًا عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: من الصَّمد، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

والقول الثَّاني: أنَّ «كهيعص» قسم أقسم الله به، وهو من أسمائِهِ، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وروي عن عليٍّ ﵇ أنَّه قال: هو اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، وروي عنه أنَّه كان يقول: يا كهيعص اغفر لي[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١) من طريق أبي بكر الهذلي، عن عاتكة، عن فاطمة ابنة علي به.



قال الزَّجَّاجُ: والقسمُ بهذا والدُّعاءُ لا يدلُّ على أنَّه اسمُ واحدٍ، لأنَّ الدَّاعي إذا علم أنَّ الدَّعاءَ بهذه الحروفِ يدلُّ على صفاتِ الله فدعا بها، فكأنَّه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنَّه قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروفُ لأنَّها حروفُ [٥١٦/ب] تهجٍّ، النيةُ فيها الوقفُ[١].

والثالث: أنَّه اسمٌ للسورةِ، قاله الحسنُ ومجاهدٌ.

والرابع: اسمٌ من أسماءِ القرآنِ، قاله قتادةُ.

فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتَّفق المباني كما اتَّفقت العلل؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنباريِّ فقال: حروفُ المعجمِ التِّسعة والعشرون تجري مجرى الرِّسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتِّفاق الألفاظِ واستواء الأوزان، كما يستقبحونَ ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيرون بعضَ الكلمِ ليختلف الوزن وتتغيَّر المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسنِ وأحلى في الأسماعِ.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الذكرُ مرفوعٌ بالمضمرِ، المعنى: هذا الذي نتلو عليك: ذكر رحمة ربِّك عبده[٢].

قال الفَرَّاءُ: وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ المعنى: ذكر ربك عبده

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٨).

بالرَّحمـةِ، وزكريـا في موضـع نصـبٍ(١).

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ النداءُ هاهنا بمعنى الدُّعاء.

وفي علَّة إخفائه لذلك ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: ليبعد عن الرِّياء، قاله ابنُ جريجٍ.

والثـاني: لئـلَّا يقـول النَّـاس: انظـروا إلى هـذا الشَّـيخ يسـأل الولـد عـلى الكـبر، قالـه مُقاتـلٌ(٢).

والثالـث: لئـلَّا يعاديـه بنـو عمِّـه، ويظنُّـوا أنَّـه كـره أن يلـوا مكانـه بعـده، ذكـره أبـو سـليمانَ الدِّمشـقيُّ.

وهـذه القصَّـة تـدلُّ عـلى أنَّ المسـتحب إسرار الدُّعـاءِ، ومنـه الحديـثُ: «**إِنَّكُـمْ لاَ تَدْعُـونَ أَصَـمَّ**»(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾.

وقرأ معاذٌ القارئ، والضَّحاكُ: «وَهُنَ» بضمِّ الهاءِ، أي: ضعف(٤).

قـال الفَـرَّاءُ: وغـيره: وهَـن العظـم، ووهِـن، بفتـح الهـاءِ وكسرهـا؛ والمسـتقبل عـلى الحالـين كليهـما: يهـنُ(٥).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٠).

(٣) متفـق عليـه: رواه البخـاري (٢٩٩٢)، ومسـلم (٢٧٠٤) مـن حديـث أبي موسـى الأشـعري قَـالَ: كُنَّـا مَـعَ النَّبِـيِّ ﷺ فِي سَـفَرٍ، فَجَعَـلَ النَّـاسُ يَجْهَـرُونَ بِالتَّكْبِـيرِ، فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «أَيُّهَـا النَّـاسُ ارْبَعُـوا عَـلَى أَنْفُسِـكُمْ، إِنَّكُـمْ لَيْـسَ تَدْعُـونَ أَصَـمَّ وَلَا غَائِبًـا، إِنَّكُـمْ تَدْعُـونَ سَـمِيعًا قَرِيبًـا، وَهُـوَ مَعَكُـمْ».

(٤) عن بعضهم في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦).

(٥) لغات القرآن (ص: ٨٩).



وأراد أنَّ قـوَّة عظامـه قـد ذهبـت لكـبرِه؛ وإنَّـما خـصَّ العظـمَ، لأنَّـه الأصـلُ في التَّركيـبِ.

وقال قتادةُ: شكا ذهاب أضراسِه[1].

قولـه تعـالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ يعنـي: انتـشرَ الشَّـيبُ فيـه، كـما ينتـشرُ شـعاعُ النَّـارِ في الحطـبِ، وهـذا مـن أحسـنِ الاسـتعاراتِ.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدعائـي إيَّـاك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم أكـن أتعـب بالدُّعـاء ثـمَّ أخيَّـب، لأنَّـك قـد عوَّدتنـي الإجابـة؛ يقـال: شـقي فـلانٌ بكـذا، إذا تعـب بسـببِهِ، ولم ينـلْ مـرادَهُ.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعنـي: الذيـن يلونـه في النَّسـبِ وهـم بنـو العـمِّ والعصبـة ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: مـن بعـد مـوتي.

وفي ما خافهم عليه قولان:

أحدُهمـا: أنَّـه خـاف أن يرثـوه، قالـه ابـنُ عبَّـاسٍ، فـإن اعـترض عليـه معـترضٌ، فقـال: كيـف يجوز لنبـيٍّ أن يَنْفَـسَ عـلى قراباتـه بالحقـوقِ المفروضـةِ لهـم بعـد موتـه؟

فعنه جوابان:

أحدهمـا: أنَّـه لمـا كان نبيًّـا، والنَّبـي لا يـورث، خـافَ أن يرثـوا مالَـه فيأخـذوا مـا لا يجـوز لهـم.

والثـاني: أنَّـه غلـب عليـه طبـعُ البـشرِ، فأحـبَّ أن يتـولَّى مالـه ولـده، ذكرهمـا ابـنُ الأنبـارِيِّ.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

قلت: وبيانُ هذا أنَّه لا بدَّ أن يتولَّى ماله و إن لم يكن ميراثًا، فأحبَّ أن يتولَّاه ولده.

والقول الثاني: أنَّه خاف تضييعهم للدِّين ونبذهم إيَّاه، ذكره جماعةٌ [٥١٧/أ] من المفسِّرين.

وقرأ عثمانُ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وابنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وابنُ أبي شُريحٍ عن الكسائيِّ: «خَفَّتِ» بفتح الخاءِ وتشديدِ الفاءِ[١]؛ على معنى قلَّت، فعلى هذا يكون إنَّما خاف على علمِهِ ونبوَّتِهِ ألَّا يورثا فيموت العلمُ.

وأسكن ابنُ شهابٍ الزُّهريُّ ياء «الموالي»[٢].

قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أسكن الجمهورُ هذه الياء، وفتحها ابنُ كثيرٍ في رواية قنبلٍ، وروى عنه شبل: «وراي» مثل عصاي[٣].

قوله تعالى: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ أي: من عندك ﴿وَلِيّٗا﴾ أي: ولدًا صالحًا يتولَّاني.

قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ: «يرثُني»، و«يرثُ» برفعهما.

---

(١) عن عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسن رضي الله عنهم في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وعن زيد بن ثابت، وابن عباس في التحصيل (٤/ ٢٤٨)، وفي المحتسب (٢/ ٣٧) زاد ابن يعمر وشبل.

(٢) في الكامل (ص: ٥٩٥) عن الوليد بن مسلم، وابن مقسم.

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٨٦)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

وقرا أبو عمرٍو، والكسائيُّ: «يرثْني»، و«يرثْ» بالجزمِ فيهما[١].

قال أبو عُبيدةَ: مَن قرأ بالرَّفعِ، فهو على الصفةِ للولي؛ فالمعنى: هب لي وليًّا وارثًا، ومن جزمَ، فعلى الشَّرطِ والجزاءِ، كقولك: إن وهبته لي ورثني[٢].

وفي المراد بهذا الميرثِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: يرثني مالي، ويرثُ من آل يعقوب النبوَّة، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال أبو صالحٍ.

والثاني: يرثني العلم، ويرثُ من آلِ يعقوبَ الملكَ، فأجابه الله تعالى إلى وراثةِ العلمِ دون الملك، وهذا مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: يرثني نبوَّتي وعلمي، ويرثُ من آلِ يعقوبَ النبوَّة أيضًا، قاله الحسنُ.

والرابع: يرثني النبوَّة ويرث من آلِ يعقوبَ الأخلاق، قاله عطاءٌ.

قال مجاهدٌ: كان زكريا من ذريَّة يعقوبَ[٣].

وزعم الكلبيُّ أنَّ آلَ يعقوبَ كانوا أخواله، وأنَّه ليس بيعقوبَ أبي يوسفَ.

وقال مُقاتلٌ: هو يعقوبُ بنُ ماثان، وكان يعقوبُ هذا وعمران ـ أبو مريم ـ أخوين[٤].

والصَّحيحُ: أنَّه لم يُرد ميراث المالِ لوجوهٍ:

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٩١)، والمبسوط (١/ ٢٨٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٠).

أحدها: أَنَّـه قـد صـحَّ عـن رسـولِ الله ﷺ أَنَّـه قـال: «**نَحْـنُ مَعَـاشِرَ الْأَنبِيَـاءِ لَا نُـورَثُ، مَـا تَرَكْنَـاهُ صَدَقَـةٌ**»(١).

والثـاني: أَنَّـه لا يجـوزُ أن يتأسَّـفَ نبـيُّ الله عـلى مصـير مالِـهِ بعـد موتِـهِ إذا وصـل إلى وارثـه المستحق لـه شرعًـا.

والثالث: أَنَّه لم يكن ذا مالٍ.

وقد روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ: «**أَنَّ زَكَرِيَّاءَ كَانَ نَجَّارًا**»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

قـال اللُّغويـون: أي: مرضيًّـا، فـصرف عـن مفعـولٍ إلى فعيـلٍ، كـما قالـوا: مقتــول وقتيل.

قولــه تعــالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾[مريـم: ٧- ١١].

قولــه تعــالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الــكلامِ إضـمارٌ، تقديــره: فاسـتجابَ الله لـه فقـال: يـا زكريَّـا إنَّـا نبـشِّرُك.

(١) رواه النسـائي في الكـبرى (٦٢٧٥) بلفـظ: «إِنَّـا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَـاءِ لَا نُـورَثُ، مَـا تَرَكْنَـا فَهُـوَ صَدَقَـةٌ»، وأصلـه في الصحيحـين البخـاري (٣٠٩٤)، ومسـلم (١٧٥٧) بلفـظ: «لَا نُـورَثُ مَـا تَرَكْنَـاهُ صَدَقَـةٌ» في قصَّـة.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٩٦)، ومسلم (٢٣٧٩)، وابن ماجه (٢١٥٠).

وقرأ حمزةُ: «نَبْشُرك» بالتَّخفيفِ(١).

وقد شرحنا هذا في آلِ عمرانَ(٢).

قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: لم يسمَّ يحيى قبله، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال عكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ، والأكثرون.

فإن اعترض معترضٌ، فقال: ما وجه المدحة باسم لم يسمَّ به أحدٌ قبله، ونرى كثيرًا من الأسماءِ لم يسبق إليها؟

فالجواب: أنَّ وجه الفضيلة أنَّ الله تعالى تولَّى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبويه، فسمَّاه باسم لم يسبق إليه. [٥١٧/ب]

والثاني: لم تلد العواقر مثله ولداً، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيرًا.

والثالث: لم نجعل له من قبل مثلاً وشبيهًا، قاله مجاهدٌ.

فعلى هذا يكون عدم الشَّبه من حيث أنَّه لم يعصِ ولم يهم بمعصيةٍ.

وما بعد هذا مفسَّر في آل عمران(٣) إلى قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾.

وفي معنى (كانت) قولان:

أحدهما: أنَّه توكيدٌ للكلامِ، فالمعنى: وهي عاقرٌ، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم.

---

(١) انظر: التيسير (ص: ٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

والثاني: أنَّها كانت منذ كانت عاقرًا، لم يحدث ذلك بها، ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ، واختار الأوَّل.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «عُتِيًّا»، و«بُكِيًّا»، [مريم: ٥٨] و«صُلِيًّا» [مريم: ٧٠] بضمِّ أوائلها.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، بكسر أوائلها، وافقهما حفصٌ عن عاصمٍ، إلَّا في قوله: «بُكِيًّا» فإنَّه ضمَّ أوَّله(١).

وقرأ ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ: «عُسِيًّا» بالسِّينِ(٢).

قال مجاهدٌ: عتيًّا هو قحول العظمِ(٣).

وقال ابنُ قُتيبةَ: أي يُبْسًا؛ يقال: عتا وعسا بمعنى واحد(٤).

قال الزَّجَّاجُ: كلُّ شيءٍ انتهى، فقد عتا يعتو عتيًّا، وعتوًّا، وعسوًّا، وعسيًّا(٥).

قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمرُ كما قيل لك من هبة الولدِ على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي: خلق يحيى عليَّ سهلٌ.

وقرأ معاذٌ القارئ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «هَيْنٌ» بإسكانِ الياءِ.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: أوجدتك.

---

(١) السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٩١ـ ١٩٢)، والمبسوط (١/ ٢٨٨).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٦٢)، عن ابن عباس، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦) عن ابن مسعود، ومجاهد، قال الزجاج: ولا يجوز في القراءة؛ لأنه بخلاف المصحف.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٦٥) بلفظ: نحول العظم.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٠).

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿خَلَقْتُكَ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «خلقناك» بالنُّونِ والألفِ[١].

﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ المعنى: فخلق الولد، كخلقك.

وما بعد هذا مفسَّرٌ في آلِ عمران[٢] إلى قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: سويًّا منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: تمنع عن الكلامِ وأنت سوي[٣].

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: سَليمًا غير أخرس[٤].

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وهذا في صبيحةِ اللَّيلةِ التي حملت فيها امرأته.

﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: من مصلَّاه وقد ذكرناه في آلِ عمران[٥].

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه كتب إليهم في كتابٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أومأ برأسِهِ ويديه، قاله مجاهدٌ.

قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ أي: صلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في آلِ عمرانَ[٦]، والمعنى: أنَّه كان يخرج إلى قومِهِ فيأمرهم بالصَّلاةِ بكرة

(١) انظر: السبعة (ص٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٩٤ـ ١٩٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٦) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

وعشيًّا، فلما حملت امرأته أمرهم بالصَّلاة إشارة.

قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[مريم: ١٢- ١٥].

قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراةَ، وكان مأموراً بالتمسُّكِ بها[1].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: المعنى: اقبل كتب الله كلها إيمانًا بها واستعمالًا لأحكامِها.

وقد شرحنا في البقرةِ[2] معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الفهمُ، قاله مجاهدٌ.

والثاني: اللبُّ، قاله الحسنُ، وعكرمةُ.

والثالث: العلمُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

والرابع: حفظُ التَّوراةِ وعلمها، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

وقد زدنا هذا شرحاً في سورةِ يوسفَ[3].

وروى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: مَن قرأ القرآن من [٥١٨/أ] قبل أن يحتلم، فهو ممن أُوتيَ الحُكم صبيًّا[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٣).

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٣).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٩٨) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مرفوعًا.

فأمَّا قوله: ﴿صَبِيًّا﴾ ففي سنِّه يوم أوتي الحكمَ قولان:

أحدهما: أنَّه سبعُ سنين، رواه ابنُ عبَّاسٍ عن رسولِ الله ﷺ(١).

والثاني: ثلاثُ سنين، قاله قتادةُ، ومُقاتلٌ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: وآتيناه حنانًا(٣).

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: المعنى: وجعلناه حنانًا لأهلِ زمانِه.

وفي الحنان ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الرَّحمةُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وعكرمةُ، وقتادةُ، والضَّحاكُ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدةَ، وأنشد [المتقارب](٤):

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا

قال: وعامة ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين، قال طرفة [من الطويل](٥):

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

---

(١) رواه أبو نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين. انظر: الدر المنثور (٥/ ٤٨٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢).

(٤) البيت للحطيئة في ديوانه (ص: ٧٢)، وتخليص الشواهد (ص: ٢٠٦)، ولسان العرب (١١/ ٥٧٣) (قول)، (١٣/ ١٣٠)(حنن)؛ وتاج العروس (قول) (حنن).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٦٦)، والدرر (٣/ ٦٧)، والكتاب (١/ ٣٤٨)، ولسان العرب (١٣/ ٣٠) (حنن).

قال ابنُ قُتيبةَ: ومنه يقال: تحنَّن عليَّ، وأصلُه من حنين الناقةِ على ولدِها[١].

وقال ابنُ الأنباريِّ: لم يختلف اللُّغويون أنَّ الحنان: الرَّحمة، والمعنى: فعلنا ذلك رحمةً لأبويه، وتزكيةً له.

والثاني: أنَّه التعطُّف من ربِّه عليه، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه اللِّينُ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والرابع: البركةُ، وروي عن ابنِ جبيرٍ أيضاً.

والخامس: المحبَّة، قاله عكرمةُ، وابنُ زيدٍ.

والسادس: التعظيمُ، قاله عطاءُ بنُ أبي رباحٍ.

وفي قوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ **أربعة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها العملُ الصَّالحُ، قاله الضَّحاكُ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّ معنى الزَّكاة: الصَّدقة، فالتقدير: إنَّ الله تعالى جعله صدقة تصدَّق بها على أبويه، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنَّ الزَّكاةَ: التَّطهيرُ، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

والرابع: أنَّ الزَّكاةَ: الزِّيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادةً في الخيرِ على ما وصف وذكر، قاله ابنُ الأنباريِّ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعلته يتَّقيني، لا يعدل بي غيري[٣].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨).



قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه برًّا بوالديه، والبَرُّ بمعنى: البارّ؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسناً إليهما.

والعصي بمعنى: العاصي.

وقد شرحنا معنى الجبار في هود[١].

قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه السَّلامُ المعروفُ من الله تعالى.

قال عطاءٌ: سلامٌ عليه منِّي في هذه الأيَّام[٢]؛ وهذا اختيارُ أبي سليمان.

والثاني: أنَّه بمعنى: السَّلامة، قاله ابنُ السَّائب.

فإن قيل: كيف خصَّ التَّسليمَ عليه بالأيَّام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟

فالجواب: أنَّ المراد باليوم الحين والوقت، على ما بيَّنا في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣].

قال ابنُ عبَّاسٍ: وسلام عليه حين ولد.

وقال الحسنُ البصريُّ: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنت خيرٌ منِّي، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خيرٌ منِّي، سلَّم الله عليك، [٥١٨/ب] وأنا سلَّمت على نفسي[٣].

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ مثله، إلَّا أنَّه قال: أثنى الله عليك، وأنا أثنيتُ على نفسي.

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٤٢)، وابن جرير الطبري (١٥/ ٤٨٢) في تفسيرهما من طريق قتادة، عن الحسن، بنحوه.

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسَه خارجاً ممَّا كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسَه في محشرٍ لم يره[١].

فخصَّ الله تعالى يحيى فيها بالكرامةِ والسَّلامةِ في المواطن الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم: ١٦- ٢١].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: تنحَّت واعتزلت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خيرٌ من الغربي[٢].

قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾ يعني: أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: سترًا وحاجزًا، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ضربت سترًا، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ الشَّمسَ أظلَّتها، فلم يرها أحدٌ منهم، وذلك ممَّا سترها الله به، وروي هذا المعنى عن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣).

والثالث: أنَّها اتَّخذت حجاباً من الجدران، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخِهِ.

وفي سبب انفرادِها عنهم قولان:

أحدهما: أنَّها انفردت لتطهر من الحيضِ وتمتشط، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: لتفلي رأسَها، قاله عطاءٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريلُ في قول الجمهورِ.

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: صاحبُ روحنا، وهو جبريلُ.

والرُّوح بمعنى: الرَّوح والفرح، ثم تضم الرَّاء لتحقيق مذهبِ الاسمِ، وإبطالِ طريقِ المصدرِ، ويجوز أن يراد بالرُّوح هاهنا: الوحي، وجبريل صاحب الوحي.

وفي وقت مجيئه إليها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: وهي تغتسلُ.

والثاني: بعد فراغها، ولبسها الثياب.

والثالث: بعد دخولها بيتها، وقد قيل: المرادُ بالرُّوح هاهنا: الرُّوح الذي خلق منه عيسى، حكاه الزَّجَّاجُ، والمَاوَرْدِيُّ، وهو مضمونُ كلامِ أُبي بنِ كعبٍ فيما سنذكره عند قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾[1].

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: وفيه بُعْدٌ، لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، والمعنى: تصوَّر لها في صورةِ البشرِ التامِّ الخلقةِ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: جاءها في صورةِ شابٍّ أبيضَ الوجه جعد قطط حين خضَّر شاربَهُ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢)، والنكت والعيون (٣/ ٣٦٢).

وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوةَ: «فأرسلنا إليها رَوْحنا» بفتح الرَّاءِ، من الروح[١].

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ المعنى: إن كنت تَّقي الله، فستنتهي بتعوذي منك، هذا هو القولُ عند المحقِّقين.

وحكي عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه كان في زمانها رجلٌ اسمُه تقي، وكان فاجرًا، فظنَّته إيَّاه، ذكره ابنُ الأَنبارِيِّ، والماوَرْدِيُّ[٢].

وفي قراءة عليٍّ عليه السلام، وابنِ مسعودٍ، وأبي رجاء: «إلَّا أن تكون تقيًّا».

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بالهمز.

وقرأ أبو عمرٍو، وورش عن نافعٍ: «ليهب لك» بغير همزٍ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: من قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلني ليهب، ومَن قرأ «لأهب» فالمعنى: أرسلت إليك لأهبَ لك[٤].

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلت رسولي [٥١٩/أ] إليك لأهبَ لك.

قوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي: طاهرًا من الذنوبِ.

والبغي: الفاجرةُ الزَّانيةُ.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦ـ ٨٧) عن أبي حيوة.

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٦٣).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٩٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٣).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وإنَّما لم يقل: بغية لأنَّه وصفٌ يغلب على النِّساءِ، فقلما تقول العرب: رجلٌ بغي؛ فيجري مجرى حائض، وعاقر.

وقال غيرُه: إنَّما لم يقل: بغية لأنَّه مصروفٌ عن وجهه، فهو فعيلٌ بمعنى: فاعل.

ومعنى الآية: ليس لي زوجٌ، ولست بزانيةٍ، وإنَّما يكون الولدُ من هاتين الجهتين.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ قد شرحناه في قصَّة زكريَّا، والمعنى: أنَّه يسير عليَّ أن أهب لك غلاماً من غير أبٍ.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أبٍ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ لأنَّها عاطفةٌ لما بعدها على كلامٍ مضمرٍ محذوفٍ، تقديرُه: قال ربُّك خلقه عليَّ هيِّنٌ لننفعك به ولنجعله عبرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ أي: وكان خلقه أمرًا محكوماً به، مفروغًا عنه، سابقاً في علمِ الله تعالى كونه.

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[مريم: ٢٢- ٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى.

وفي كيفية حملها له قولان:

أحدهما: أنَّ جبريلَ نفخ في جيب درعها، فاستمرَّ بها حملها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

قال السُّدِّيُّ: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقًا من قدامها، فدخلت النَّفخةُ في صدرها فحملت من وقتها[1].

والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل من فيها، قاله أُبيُّ بنُ كعبٍ.

وفي مقدار حملها سبعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها حين حملت وضعت، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والمعنى: أنَّه ما طال حملها، وليس المراد أنَّها وضعته في الحالِ، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، وهذا يدلُّ على أنَّ بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباذَ به.

والثاني: أنَّها حملته تسع ساعاتٍ، ووضعت من يومها، قاله الحسنُ.

والثالث: تسعة أشهرٍ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ السَّائبِ.

والرابع: ثلاثُ ساعاتٍ، حملته في ساعةٍ، وصور في ساعةٍ، ووضعته في ساعةٍ، قاله مُقاتِل بنُ سُلَيْمانَ[2].

والخامس: ثمانيةُ أشهرٍ، فعاش، ولم يعش مولود قطُّ لثمانيةِ أشهرٍ، فكان في هذا آيةٌ، حكاه الزَّجَّاجُ[3].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٤٥٠) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٢) انظر: مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٤).

والسَّادس: في ستَّة أشهرٍ، حكاه الْمَاوَرْدِيُّ(١).

والسَّابع: في ساعةٍ واحدةٍ، حكاه الثَّعلبيُّ(٢).

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ يعني بالحملِ ﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ أي: بعيدًا.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «قاصياً»(٣).

قال ابنُ إسحاقَ: مشت ستَّة أميالٍ.

قال الفَرَّاءُ: القصي والقاصي بمعنى واحد(٤).

وقال غير الفَرَّاءُ: القصي والقاصي بمنزلة الشَّهيد والشَّاهد، وإنَّما بعدت، فرارًا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوجٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾.

وقرأ عكرمةُ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، وعاصمٌ الجَحْدري: «الْمِخَاضُ» بكسرِ الميمِ(٥).

قال الفَرَّاءُ: المعنى: فجاء بها المخاضُ، فلما ألقيت الباء، جعلت في [٥١٩/ب] الفعل ألفاً، ومثله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] أي: بغدائنا، ومثله: ﴿زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: بزبرِ الحديدِ(٦).

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٣٦٢).

(٢) الكشف والبيان (١٧/ ٣٥٤).

(٣) لم نقف عليها.

(٤) معاني القرآن للفراء(٢/ ١٦٤) وفيه: «مَكاناً قَصِيًّا، قاصيًا بمعنى واحد».

(٥) عن ابن كثير في رواية في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، والمحرر الوجيز (٤/ ١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥١).

(٦) معاني القرآن (٢/ ١٦٤).

قال أبو عُبيدةَ: أفعلها من جاءت هي، وأجاءها غيرها[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: جَاءَ بِهَا وأَلْجَأَهَا، وهو من حيث يقال جاءت بي الحاجةُ إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاضُ: الحمل[٢].

وقال غيرُه: المخاض: وجعُ الولادةِ.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وهو ساقُ النَّخلةِ، وكانت نخلة يابسة في الصَّحراءِ، ليس لها رأسٌ ولا سعف.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ اليوم، أو هذا الأمر.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ: ﴿مِتُّ﴾ بكسرِ الميمِ[٣].

وفي سبب قولها هذا قولان:

أحدهما: أنَّها قالته حياء من النَّاسِ.

والثاني: لئلَّا يأثموا بقذفها.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، بكسر النُّون.

وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النُّون[٤].

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣-٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٣) السبعة (ص: ٢١٨)، والحجة (٣/ ٩٢)، والتيسير (ص: ٩١).

(٤) السبعة (ص: ٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٨).



قال الفَرَّاءُ: وأصحاب عبد الله يقرؤون: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النُّون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجَسر والجِسر، والوَتر والوِتر، والفتح أحبُّ إليَّ[١].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: الكسرُ أعلى اللُّغتين[٢].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: من كسر النُّون قال: النسي: اسم لما ينسى، بمنزلة البغض اسمٌ لما يبغض، والسبُّ اسمٌ لما يسب. والنَّسي بفتح النُّون: اسمٌ لما ينسى أيضاً على أنَّه مصدرٌ ناب عن الاسمِ، كما يقال: الرَّجل دَنِف ودَنَف. فالمكسورُ: هو الوصف الصَّحيحُ، والمفتوح: مصدر سدَّ مسدَّ الوصف، ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنى، كما يقال: الرِّطل والرَّطل.

وللمفسِّرين في قوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَنسِيًّا﴾ **خمسة أقوالٍ**:

أحدها: يا ليتني لما أكن شيئًا، قاله الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زيدٍ.

والثاني: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا﴾ أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ.

قال الفَرَّاءُ: النسي: ما تلقيه المرأةُ من خرق اعتلالها[٣].

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: هي خرقُ الحيض تلقيها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها.

والثالث: أنَّه السقط، قاله أبو العالية، والرَّبيع.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٤).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٩٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٦٤-١٦٥).

والرابع: أنَّ المعنى: يا ليتني لا يُدرَى من أنا، قاله قتادةُ.

والخامسُ: أنَّه الشيءُ التَّافه يرتحل عنه القومُ، فيهون عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابنُ السَّائب.

وقال أبو عبيدةَ: النسي، والمنسي ما ينسى من إداوة وعصا(١).

يعني أنَّه ينسى في المنزلِ، فلا يرجع إليه لاحتقار صاحبِهِ إيَّاه.

وقال الكسائيُّ: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذُكر لم يُطلب(٢).

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «مَنْ تَحْتَهَا» بفتحِ الميمِ، والتَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾ بكسرِ الميمِ والتَّاءِ(٣).

فمن قرأ بكسرِ الميمِ، ففيه وجهان:

أحدهما: ناداها المَلَكُ من تحت النَّخلة.

وقيل: كانت على نشز، فناداها المَلَكُ أسفل منها.

والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كل ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكل ما [٥٢٠/أ] خفضت إليه طرفك، فهو تحتك(٤).

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٩٦).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، والحجة (٥/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، والتيسير (ص: ١٤٨).

(٤) لم نقف عليه.

ومَن قرأ بفتحِ الميمِ، ففيه الوجهان المذكوران.

وكان الفَرَّاءُ يقول: ما خاطبها إلا الْمَلَك على القراءتين جميعًا[١].

قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه النَّهرُ الصَّغيرُ، قاله جمهور المفسِّرين، واللُّغويون.

قال أبو صالحٍ، وابنُ جريجٍ: هو الجدولُ بالسريانية.

والثاني: أنَّه عيسى كان سريًّا من الرِّجال، قاله الحسنُ، وعكرمةُ، وابنُ زيدٍ.

قال ابنُ الأَنباريِّ: وقد رجع الحسنُ عن هذا القولِ إلى القولِ الأوَّل، ولو كان وصفًا لعيسى، كان غلامًا سريًّا أو سويًّا من الغلمان، وقلَّما تقول العرب: رأيت عندك نبيلًا، حتى يقولوا: رجلاً نبيلًا.

فإن قيل: كيف ناسبَ تسليتها أن قيل: لا تحزني، فهذا نهرٌ يجري؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنَّها حزنت لجدب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشَّراب والماء الذي تتطهَّرُ به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوجٍ، فأجرى الله تعالى لها نهرًا، فجاءها من الأردنِ، وأخرج لها الرُّطب من الشَّجرة اليابسةِ، فكان ذلك آية تدلُّ على قدرةِ الله تعالى في إيجادِ عيسى، قاله مُقاتلٌ[٢].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ الهزُّ التَّحريكُ.

والباءُ في قوله تعالى: ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها زائدةٌ مؤكدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

قال الفَرَّاءُ: معناه: فليمدد سبباً. والعربُ تقول: هَزَّه وهزَّ به، وخُذِ الخطامَ، وخُذْ بالخطامِ، وتعلَّق زيدًا، وتعلَّق به[١].

وقال أبو عُبيدةَ: هي مؤكَّدة، كقول الشاعر [من الرجز][٢]:

.... نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ

والثاني: أنَّها دخلت على الجذعِ لتلصقه بالهزِّ، فهي مفيدةٌ للإلصاقِ، قاله ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «تسَّاقط» بالتَّاءِ مشدَّدة السِّين.

وقرأ حمزةُ، وعبدُ الوارث: «تَسَاقط» بالتَّاءِ مفتوحة مخفَّفة السِّين.

وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بضمِّ التاءِ وكسر القافِ مخفَّفة السِّين[٣].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٥).

(٢) عجز البيت للنابغة الجعدي في ملحق ديوانه (ص:٢١٦)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٥) وفيه: «نَضرِبُ بالبِيض»، ولسان العرب (١٥/ ٤٤٣) (الباء)، والمخصص (١٤/ ٧٠)، وأدب الكاتب (ص: ٥٢٢)، والإنصاف (١/ ٢٨٤)، وخزانة الأدب (٩/ ٥٢٠، ٥٢١) وصدر البيت: نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ ...

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٩)، والحجة (٥/ ١٩٧-١٩٨)، والمبسوط (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

وقـرأ يعقـوبُ، وأبـو زيـدٍ، عـن المفضـلِ: «يَسَّـاقَط» باليـاءِ مفتوحـة وتشـديد السِّـين وفتـح القـافِ[1]، فهـذه القـراءات المشـاهيرُ.

وقـرأ أُبيُّ بـنُ كعـبٍ، وأبـو حيـوةَ: «تَسْـقُط» بفتـح التَّـاءِ وسـكون السِّـينِ ورفـع القـافِ[2].

وقـرأ عبـدُ الله بـن عمـرٍو، وعائشـةُ، والحسـنُ: «يُسَـاقِط» بألـفٍ وتخفيـف السِّـين ورفـع الياءِ وكـسر القـافِ[3].

وقـرأ الضَّحـاكُ، وعمـرو بـنُ دينـارٍ: «يُسْـقِط» برفـع اليـاءِ وكـسر القـافِ مـع سـكونِ السِّـين وعـدم الألـفِ.

وقرأ عاصمٌ الجَحْدريُّ، وأبو عمرانَ الجونيُّ مثله، إلَّا أنَّه بالتاءِ.

وقرأ معاذٌ القارئ، وابنُ يعمرَ مثله، إلَّا أنَّه بالنُّونِ.

[٥٢٠/ب] وقـرأ أبـو رَزِيـنٍ العقيـليُّ، وابـنُ أبي عبلـةَ: «يَسْـقُط» باليـاءِ مفتوحـة مـع سـكون السِّـينِ ورفـع القـافِ.

وقرأ أبو السَّماك العدويُّ، وابنُ حزام: «تَتَساقط» بتاءين مفتوحين وبألفٍ[4].

وقـال الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرأ «يسَّـاقط» فالمعنـى: يتسـاقط فأدغمـت التَّـاءُ في السِّـين، ومَـن قـرأ «تسَـاقط» بالتَّـاء والتَّخفيـف، فإنَّـه حـذف مـن تتسـاقط

(١) عـن الـبراء بـن عـازب في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٨٦)، وفي التحصيـل (٤/ ٢٥٠) عـن عاصـم، وابـن رسـتم، عـن نصـير، عـن الكِسـائيِّ، والحسـن، وقتـادة، وغيرهـم.

(٢) البحر المحيط (٧/ ٢٥٥).

(٣) وعـن مـسروق في التحصيـل (٤/ ٢٥١)، وفي المحـرر (٤/ ١٢) عـن أبي حيـوة، وأمـا قـراءة مـسروق فيـه؛ فبضـم التـاء وكـسر القـاف، مـن غـير ألـف «تُسْـقِط»، وكـذا في البحـر المحيـط (٧/ ٢٥٥).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦) عن أبي السمال.

اجتماع التَّاءين، ومَن قرأ «يساقط» ذهب إلى معنى: يساقط الجذع عليك، ومَن قرأ «نساقط» بالنُّون، فالمعنى: نحن نساقط عليك، فنجعله لك آية، والنحويون يقولون: إنَّ رطبًا منصوبٌ على التَّمييز إذا قلت: «يساقط»، أو«يتساقط»، المعنى: يتساقط الجذع رطبًا، وإذا قلت: «تساقط» بالتَّاءِ، فالمعنى: تتساقطُ النخلةُ رطبًا[١].

قوله تعالى: ﴿جَنِيًّا﴾.

قال الفَرَّاءُ: الجني: المجتنى[٢].

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: هو الطري، والأصل: مجنو، صرف من مفعولٍ إلى فعيلٍ، كما يقال: قديد، وطبيخ.

وقال غيره: هو الطَّريُّ بغبارِهِ: ولم يكن لتلك النخلة رأسٌ، فأنبته الله تعالى، فلمَّا وضعت يدها عليها، سقط الرُّطبُ رطبًا.

وكان السَّلف يستحبُّون للنُّفساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي﴾ أي: من الرُّطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من النَّهرِ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بولادة عيسى عليه السلام.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: قررت به عينًا أقَر، بفتح القافِ في المستقبل، وقررت في المكان أقِر، بكسرِ القافِ، و﴿عَيْنًا﴾: منصوبٌ على التَّمييز[٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٦).



وروى ابنُ الأَنْبارِيِّ عن الأصمعيِّ: أنَّه قال: معنى «وقري عينًا»؛ ولتبرد دمعتك، لأنَّ دمعةَ الفرحِ باردةٌ، ودمعة الحزنِ حارَّةٌ، واشتقاق قرِّي من القرور، وهو الماءُ البارِدُ.

وقال لنا أحمدُ بنُ يحيى: تفسير «قري عينًا» بلغت غاية أملك حتَّى تقر عينك من الاستشراف إلى غيره، واحتجَّ بقول عمرِو بنِ كلثوم [من الوافر][1]:

بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضرْباً وَطَعْنَاً أَقَرَّ بِهِ مَوالِيكِ العُيُونَا

أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهم، فقرَّت عينهم من تَطَلُّعٍ إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو مجلَزٍ، وابنُ السَّميفع، والضَّحاكُ، وأبو العالية، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «تَرَئِنَّ» بهمزةٍ مكسورةٍ من غير ياءٍ[2].

أي: إن رأيت أحدًا من البشرِ فقولي؛ وفيه إضمارٌ تقديره: فسألك عن أمر ولدك، فقولي: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: صمتاً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، والضَّحاكُ.

وكذلك قرأ أُبَيُّ بنُ كعبٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، وأبو رَزِينٍ العقيليُّ: «صمتاً» مكان قوله[3]: ﴿صَوْمًا﴾[4][5].

---

(١) البيت في ديوانه (ص: ٦٧)، والزاهر (١/ ٢٠٠)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٣٩١)، وشرح ديوان امرئ القيس (ص: ٣٢١)، وشرح القصائد السبع (ص: ٣٧٥).

(٢) في المحتسب (٢/ ٤٢)، والتحصيل (٤/ ٢٥١)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٦) عن ابن الرومي، عن أبي عمرو.

(٣) ليست في (س).

(٤) قوله: ﴿صَوْمًا﴾ ليس في الأصل، و(ر)، وهو من (س).

(٥) عن أنس بن مالك في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وفي المحرر (٤/ ١٣) ابن عباس،=

وقرأ ابنُ مسعودٍ[١]: «صياماً»[٢].

والثاني: صوماً عن الطَّعامِ والشَّرابِ والكلامِ، قاله قتادةُ.

وقال ابنُ زيدٍ: كان المجتهد من بني إسرائيل يصومُ عن الكلامِ كما يصومُ عن الطَّعامِ، إلَّا مَن ذكر الله ﷻ.

قال السُّدِّيُّ: فأذن لها أن تتكلَّم بهذا القَدرِ ثم تسكت[٣]. [٥٢١/أ]

قال ابنُ مسعودٍ: أمرت بالصَّمت، لأنَّها لم تكن لها حجَّة عند النَّاس، فأمرت بالكفِّ عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها مما يبرئ بِهِ ساحتها[٤].

وقيل: كانت تكلِّم الملائكة ولا تكلِّم الإنس.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: الصَّومُ في لغة العربِ على أربعة معانٍ، يقال: صومٌ لترك الطَّعامِ والشَّرابِ، وصومٌ للصَّمت، وصومٌ لضرب من الشَّجر، وصومٌ لذرق النعام.

واختلف العلماءُ في مقدار سنِّ مريم يوم ولادتها على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيدُ بنُ أسلم.

=وأنس، وفي البحر المحيط (٧/ ٢٥٦) عن عبد الله.

(١) في (س): (ابن عباس).

(٢) عن زيد بن علي في البحر المحيط (٧/ ٢٥٦).

(٣) في التفسير الوسيط (٣/ ١٨٢) بلا نسبة.

(٤) انظر: المصدر السابق.

والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مُقاتلٌ[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٧- ٣٣].

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ في رواية أبي صالحٍ: أتتهم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نفاسِها.

وقال في رواية الضَّحاك: انطلق قومها يطلبونها، فلمَّا رأتهم حملت عيسى فتلقتهم به، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

فإن قيل: «أتت به» يُغني عن ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ فما فائدة التكرير؟

فالجواب: أنه لما ظهرت منه آيات، جاز أن يتوهَّم السَّامع: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ أن يكون ساعياً على قدميه، فيكون سعيه آية كنطقِه، فقطع ذلك التوهم، وأعلم أنَّه كسائرِ الأطفالِ، وهذا مثل قول العرب: نظرت إلى فلانٍ بعيني، فنفوا بذلك نظر العطفِ والرَّحمةِ، وأثبتوا أنَّه نظر عينٍ.

وقال ابنُ السَّائبِ: لما دخلت على قومها بكوا، وكانوا قوماً صالحين و﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٤٢).

أحدها: شيئاً عظيماً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ.

قال الفَرَّاءُ: الفَرِيُّ: العظيمُ، والعربُ تقول: تركته يفري الفَرِيَّ، إذا عمل فأجاد العمل ففضل النَّاس، قيل هذا فيه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَمَا رَأَيْتُ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَ عُمَرَ**»(١).

والثاني: عجباً فائقاً، قاله أبو عُبَيْدَةَ(٢).

والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله اليزيديُّ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ في المراد بـ﴿هَٰرُونَ﴾ **خمسة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه أخ لها من أمِّها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

و قال الضَّحاك: كان من أبيها وأمِّها.

والثاني: أنَّها كانت من بني هارون، قاله الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

وقال السُّدِّيُّ: كانت من بني هارون أخي موسى عليه السلام، فنسبت إليه، لأنَّها من ولده(٣).

والثالث: أنَّه رجلٌ صالحٌ كان في بني إسرائيل، فشبَّهوها به في الصَّلاح، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضاً، وقتادةُ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) عن عبد اللهَّ بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ**».

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٢٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

ويدلُّ عليه ما روى المغيرةُ بنُ شعبةَ قال: بعثني رسولُ الله ﷺ إلى أهل نجرانَ، فقالوا: ألستم تقرؤون: يا أختَ هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسولِ الله [٥٢١/ب] ﷺ فأخبرته، فقال: «أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»(١).

والرابع: أنَّ قوم هارون كان فيهم فسَّاقٌ وزناةٌ، فنسبوها إليهم، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: أنَّه رجلٌ من فسَّاق بني إسرائيل شبَّهوها به، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

فعلى هذا يُخرَّج في معنى الأخت قولان:

أحدهما: أنَّها الأخت حقيقة.

والثاني: المشابهةُ، لا المناسبةُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[الزخرف: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ يعنون: عمران ﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ حنَّة ﴿بَغِيًّا﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ﴾ أي: أومأت ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى فتكلَّم.

وقيل المعنى: أشارت إليه أن كلِّموه.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠١٩)، وأحمد (٤/ ٢٥٢)، ومسلم (٢١٣٥)، والترمذي (٣١٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٣) من طُرق عن عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن سماك، عن علقمة بن وائل، به.

وكان عيسى قد كلَّمها حين أتت قومها، وقال: يا أمَّاه أبشري فإنِّي عبدُ الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلِّموه، تعجَّبوا من ذلك، و﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ وفيها أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها زائدةٌ، فالمعنى كيف نكلِّم صبيًّا في المهد؟

والثاني: أنَّها في معنى: وقع، وحدث.

والثالث: أنَّها في معنى الشرط والجزاءِ، فالمعنى: من يكن في المهد صبيًّا، فكيف نكلِّمه؟ حكاها الزَّجَّاجُ، واختار الأخير منها[١].

قال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وهذا كما تقول: كيف أعظ مَن كان لا يقبل موعظتي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاءِ.

والرابع: أن كان بمعنى: صار، قاله قطرب.

وفي المراد بالمهد قولان:

أحدهما: حجرها، قاله نوف، وقتادةُ، والكلبيُّ.

والثاني: سرير الصَّبي المعروف، حكاه الكلبيُّ أيضاً.

قال السُّدِّيُّ: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرَّضاع، وأقبل عليهم [بوجهه][٢]، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

قال المفسِّرون: إنَّما قدَّم ذكر العبوديَّة، ليبطل قول من ادَّعى فيه الربوبية.

وفي قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أسكن هذه الياء حمزةُ[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٨).

(٢) زيادة من (م).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤١٤)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أنَّه آتاه الكتاب وهو في بطن أمِّه، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

وقيل: عُلِّمَ التوراة والإنجيل وهو في بطن أمِّه.

والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمةُ.

وفي الكتاب قولان:

أحدُهما: أنَّه التوراةُ.

والثاني: الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ هذا وما بعده إخبارٌ عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إيَّاه مما سيظهر ويكون.

وقيل: المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبيًّا إذا بلغت؛ فحلَّ الماضي محلَّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦].

أحدهما: أنَّه كلَّمهم بعد أربعين يومًا.

والثاني: في يومه، وهو مبنيٌّ على ما ذكرنا من الزَّمان الذي غابت عنهم فيه مريم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ روى أبو هريرةَ عن [٥٢٢/أ] رسولِ الله ﷺ في هذه الآية قال: «**نَفَّاعًا حَيْثُمَا تَوَجَّهْتُ**»[١].

(١) رواه الإسماعيلي في معجمه (٢٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥) من طريق هشيم بن بشير، عن يونس، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة، به.
وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعن، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، وانظر: جامع التحصيل (ص:١٦٤).

وقال مجاهدٌ: معلمًا للخير(١).

وفي المراد بالزَّكاة قولان:

أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثاني: الطَّهارة، قاله الزَّجَّاجُ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لما قال هذا، ولم يقل: بوالديَّ علموا أنه وُلِدَ من غير بشرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: متعظِّمًا ﴿شَقِيًّا﴾ عاصيًا لربِّه.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ قال المفسِّرون: السَّلام(٣) عليَّ من الله يوم وُلِدت حتَّى لم يضرني شيطان.

وقد سبق تفسير الآية(٤).

فإن قيل: لم ذكر هاهنا السَّلام بألفٍ ولامٍ، وذكره في قصَّة يحيى بلا ألفٍ ولامٍ؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه لما جرى ذكر السَّلام قبل هذا الموضع بغير ألفٍ ولامٍ، كان الأحسن أن يرد ثانية بألفٍ ولامٍ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ(٥).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣١) من طريق ليث، به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٨).

(٣) في (م): (السلامة).

(٤) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (١٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).



وقد اعترض على هذا القولِ، فقيل: كيف يجوز أن يعطفَ هذا وهو قولُ عيسى، على الأوَّل وهو قولُ الله ﷻ؟

وقد أجاب عنه ابنُ الأنبَارِيِّ فقال: عيسى إنَّما يتعلَّم من ربِّه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه وألصقه بنفسِهِ، ويجوزُ أن يكون الله ﷻ عرَّف السَّلام الثَّاني؛ لأنَّه أتى بعد سلامٍ قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصد به اتِّباع اللَّفظ المحكي، لأنَّ المتكلِّم له أن يغير بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبدُ الله: أنا رجل منصفٌ، يريد: قال لي عبد الله: أنت رجلٌ منصفٌ.

والجواب الثاني: أن سلامًا والسلام لغتان بمعنى واحد، ذكره ابنُ الأنبَارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[مريم: ٣٤- ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: ذلك الذي قال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ هو ابنُ مريم، لا ما تقول النَّصارى: إنَّه ابنُ الله، وإنَّه إله[1].

قوله تعالى: ﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ونافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «قَوْلُ الْحَقِّ» برفع اللام.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بنصب اللَّامِ[١].

قال الزَّجَّاجُ: من رفع «قَوْلُ الْحَقِّ»، فالمعنى: هو قولُ الحقِّ، يعني هذا الكلامُ؛ ومَن نصب، فالمعنى: أقولُ «قَوْلَ الْحَقِّ»[٢].

وذكر ابنُ الأَنبارِيِّ في الآية وجهين:

أحدُهما: أنَّه لما وصف بالكلمةِ جاز أن ينعت بالقولِ.

والثاني: أنَّ في الكلام إضمارًا، تقديره: ذلك نبأ عيسى، ذلك النَّبأ قول الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشُكُّون.

قال قتادةُ: امترت اليهودُ فيه والنَّصارى، فزعم اليهودُ أنَّه ساحرٌ، وزعم النَّصارى أنَّه ابنُ الله وثالث ثلاثة[٣].

قرأ أبو مجلَزٍ، ومعاذٌ القارئ، وابنُ يعمَرَ، وأبو رجاءٍ: «تمترون» بالتَّاءِ[٤].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أن يتَّخذ ولدًا، و﴿مِن﴾ مؤكدة تدلُّ على نفي الواحد والجماعةِ، لأنَّ للقائل أن يقول: ما اتَّخذت فرسًا، يريد: اتَّخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتَّخذت فرسين ولا أكثر، يريدُ: اتَّخذت [٥٢٢/ب]

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٩)، والحجة (٥/ ٢٠٢)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٣٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨) عن علي بن أبي طالب، والسلمي، وفي التحصيل (٤/ ٢٦٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وغيره، وفي المحرر (٤/ ١٥) عن داود ابن أبي هند، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٢٦١) نافعًا في رواية الكسائي.



فرسًا واحدًا؛ فإذا قال: ما اتَّخذت من فرسٍ، فقد دلَّ على نفي لواحدِ والجميعِ[1].

قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وقرأ أبو عمرانَ الجونيُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «فَيَكُونَ» بالنَّصبِ[2]، وقد ذكرنا وجهه في البقرةِ[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وأَنَّ الله» بنصبِ الألفِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «وإِنَّ الله» بكسر الألفِ[4].

وهذا من قولِ عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قولِهِ: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وبـ «أَنَّ الله ربِّي»؛ ومن كسرَ ففيه وجهان.

أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون مستأنفاً.

قوله تعالى: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[مريم: ٣٧- ٤٠].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩ـ٣٤٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:١٦٩)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٢)، والمبسوط (ص:١٣٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٧).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٤١٠)، والحجة (٥/ ٢٠٢)، والمبسوط (١/ ٢٨٩).

قوله تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ قال المفسِّرون: مَن زائدةٌ، والمعنى: اختلفوا بينهم.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: لما تمسَّك المؤمنون بالحقِّ كان اختلاف الأحزابِ بين المؤمنين مقصورًا عليهم.

وفي ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهودُ والنَّصارى، فكانت اليهودُ تقول: إنَّه لغير رِشْدَةٍ[1]، والنَّصارى تدَّعي فيه ما لا يليق به.

والثاني: أنَّهم فرق النَّصارى، قال بعضُهم: هو الله، وقال بعضُهم: ابنُ الله، وقال بعضُهم: ثالث ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقولهم في المسيحِ ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من حضورهم ذلك اليوم للجزاءِ.

قوله تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ لفظُه لفظ الأمرِ، ومعناه الخبر؛ فالمعنى: ما أسمعَهم وأبصرهم يوم القيامةِ، سمعوا وأبصروا حين لم ينفعهم ذلك لأنَّهم شاهدوا من أمرِ الله ما لا يحتاجون معه إلى نظرٍ وفكر فعلموا الهدى وأطاعوا، هذا قولُ الأكثرين.

والثاني: أسمع بحديثهم اليوم، وأبصر كيف يصنع بهم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ﴾ قاله أبو العاليةِ.

---

(١) لغير رِشْدَةٍ: أي: ابن زنا، ويجوز فيها فتح الرَّاء: رَشْدة، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦٠).

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: المشركين والكفَّار ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعني: في الدُّنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: خوِّف كفَّار مكَّة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يعني: يوم القيامةِ يتحسَّر المسيء إذ لم يحسن، والمقصِّر إذ لم يزدد من الخيرِ.

وموجبات الحسرة يومَ القيامةِ كثيرةٌ، فمن ذلك ما روى أبو سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَقِيلَ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُقَالُ لَهُم: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»(١).

قال المفسِّرون: فهذه هي الحسرةُ إذا ذبح الموت، فلو مات أحدٌ فرحاً مات أهل الجنَّة، ولو مات أحدٌ حزناً مات أهل النَّارِ.

[٥٢٣/أ] ومن موجبات الحسرةِ، ما روى عديُ بنُ حاتمٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاسٍ إِلَى الْجَنَّةِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا، وَاسْتَنْشَقُوا رِيحَهَا، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا، نُودُوا أَنِ اصْرِفُوهُمْ عَنْهَا لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ الْأَوَّلُونَ بِمِثْلِهَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِينَا مَا أَرَيْتَنَا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَاكَ أَرَدْتُ بِكُمْ، كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعَظِيمِ، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ، تُرَاءُونَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

النَّاسَ بِخِلَافِ مَا تُعْطُونِي بِقُلُوبِكُمْ، هِبْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي، وَأَجْلَلْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجِلُّونِي، وَتَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِي، فَالْيَوْمَ أُذِيقُكُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ مَا حَرَمْتُكُمْ مِنَ الثَّوَابِ»[١].

ومن موجبات الحسرةِ ما روي عن ابنِ مسعودٍ قال: ليس من نفس يوم القيامةِ إلَّا وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنَّةِ، وبيتٍ في النَّارِ، ثم يقال: يعني لهؤلاء: لو عملتم، ولأهل الجنَّة: لولا أن منَّ الله عليكم[٢].

ومن موجباتِ الحسرةِ: قطع الرَّجاء عند انطباقِ[٣] النَّارِ على أهلها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: ﴿قُضِيَ﴾ في اللُّغة بمعنى: أُتقن وأُحكم، وإنَّما سمِّي الحاكمُ قاضيًا، لإتقانه وإحكامه ما ينفذ.

وفي الآية اختصارٌ، والمعنى: إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم.

وللمفسِّرين في الأمر قولان:

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٩)، وفي الأوسط (٥٤٧٨)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٥٥)، والبيهقي في البعث والنشور (١١٨١) من طريق أبي جُنادة السلولي، عن الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمن، عن عدي، بن حاتم، به، بنحوه.
قال ابن حبان: هذا خبر باطل لا أصل له، وأبو جنادة شيخ يروي عن الأعمش ما ليس من حديثه، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ١٧٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤١)، ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور(٥٩٨).
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) في (ر)، و(م): (إطباق).

أحدُهما: أنَّه ذبح الموت، قاله ابنُ جريجٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّ المعنى: قضي العذاب لهم، قاله مُقاتلٌ[١].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: هم في الدُّنيا في غفلةٍ عمَّا يصنع بهم ذلك اليوم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُميتُ سكَّانها فنرثها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموتِ.

فإن قيل: ما الفائدة في ﴿نَحْنُ﴾ وقد كفت عنها ﴿إِنَّا﴾؟

فالجواب: أنَّه لما جاز في قول المعظَّم: «إنَّا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأنَّ الفعل مضافٌ إليه حقيقة.

فإن قيل: فلم قال: ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ وهو يرث الآدميين وغيرهم؟

فالجوابُ: أنَّ من تختصُّ أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابنُ الأنباريِّ.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٩).

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[مريم: ٤١- ٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ أي: اذكر لقومك قصَّته، وقد سبق في النِّساءِ[1] معنى الصِّديق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يدفعُ عنك ضرًّا.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالله والمعرفةِ ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ﴾ أي: لا تطعه فيما يأمرُ به من الكفرِ والمعاصي. وقد شرحنا معنى كان آنفًا.

و﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصيًا، فهو فعيلٌ بمعنى فاعل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

قال مُقاتلٌ: في الآخرةِ[2].

وقال غيرُه: في الدُّنيا.

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ أي: قرينًا في عذابِ الله، فجرت المقارنةُ مجرى الموالاةِ.

وقيل: إنَّما طمع إبراهيمُ في إيمانِ أبيه، لأنَّه حين خرج من النَّار [٥٢٣/ب] قال له: نعم الإله إلهك يا إبراهيمُ، فحينئذٍ أقبل يعظُه، فأجابه أبوه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ﴾! أي: أتاركٌ عبادتها أنت؟ ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن عيبها وشتمها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وفيه **قولان:**

---

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٦٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٩).

أحدهما: بالشتمِ والقولِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ.

والثاني: بالحجارةِ حتَّى تتباعد عنِّي، قاله الحسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: اهجرني طويلاً، رواه ميمونُ بنُ مهرانَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، والفَرَّاءُ[(١)]، والأكثرون.

قال ابنُ قُتيبةَ: اهجرني حيناً طويلًا، ومنه يقال: تَمَلَّيت حبيبك[(٢)].

والثاني: اجتنبني سالِمًا قبل أن تصيبك عقوبتي، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والضَّحاكُ؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلانٌ مليٌّ بكذا وكذا: إذا كان مضطلعًا به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافرٌ، وأنت سليمٌ من أذاي، قاله ابنُ جريرٍ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكروهٍ، وذلك أنَّه لم يؤمر بقتالِهِ على كفرِهِ.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أنَّ المعنى سأسأل الله لك توبةً تنال بها مغفرته.

والثاني: أنَّه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أنَّ ذلك محظورٌ في حقِّ المصرِّين على الكفرِ، ذكرهما ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ**:

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري(١٥/ ٥٣٥).

أحدهـا: لطيفـاً، رواه ابـنُ أبي طلحـةَ عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال ابـنُ زيـدٍ، والزَّجَّـاجُ[١].

والثاني: رحيمًا، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: بارًّا عودني منه الإجابة إذا دعوته، قاله ابنُ قُتيبةَ[٢].

قولـه تعـالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾ أي: وأتنحَّـى عنكـم، وأعتـزل ما ﴿تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنـي: الأصنام.

وفي معنى ﴿تَدۡعُونَ﴾ **قولان**:

أحدهما: تعبدون.

والثـاني: أنَّ المعنـى: ومـا تدعونـه ربًّـا، ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ أي: وأعبـدُه ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ أي: أرجـو أن لا أشـقى بعبادتِـهِ كـما شـقيتم أنتـم بعبـادة الأصنـام، لأنَّهـا لا تنفعهـم ولا تجيـب دعاءهـم.

﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ قـال المفسِّرون: هاجـر عنهـم إلى أرض الشَّـامِ، فوهـب الله لـه إسـحاقَ ويعقـوبَ، فآنـس الله وحشـته عـن فـراق قومـه بـأولاد كـرامٍ.

قال أبو سليمان: وإنَّما وهب له إسحاق ويعقوبَ بعد إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكلًّا من هذين.

وقال مُقاتلٌ: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾[٣].

قولـه تعـالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ قـال المفـسِّرون: المـال والولـد والعلـم والعمـل.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٠).

﴿رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: ذكرًا حسنًا في النَّاس مرتفعًا، فجميعُ أهلِ الأديانِ يتولون إبراهيمَ وذريَّته، ويثنون عليهم، فوضع اللِّسان مكان القول، لأنَّ القول يكون باللِّسان[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١- ٥٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والمفضل عن عاصمٍ: «مخلِصاً» بكسر اللَّامِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ بفتح اللَّامِ[2].

[٥٢٤/أ] قال الزَّجَّاجُ: المخلِص، بكسر اللَّامِ: الذي وحَّد الله، وجعل نفسَه خالصة في طاعة الله غير دنسة، والمخلَص، بفتح اللَّام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدَّنس[3].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما أعاد كان لتفخيم شأنِ النَّبيِّ المذكورِ.

قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: من ناحية الطُّورِ، وهو جبلٌ بين مصرَ ومدين اسمُه زبير.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٢) السبعة (ص: ٣٤٨)، والحجة (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: إنَّما خاطب الله العربَ بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القبلةِ وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتِّساعاً عند انكشاف المعنى، لأنَّ الوادي لا يد له فيكون له يمين.

وقال المفسِّرون: جاء النِّداء عن يمين موسى، فلهذا قال: الأيمن، ولم يرد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: معناه: مناجياً فعبَّر فعيل عن مفاعل، كما قالوا: فلانٌ خليطي وعشيري: يعنون: مخالطي ومعاشري.

وروى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ قال: حتَّى سمع صريف القلمِ حين كتب له في الألواحِ[١].

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ أي: من نعمتنا عليه إذ أجبنا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ هذا عامٌّ فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين النَّاسِ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٩) من طريق عطاء بن السائب، به.



وقال مجاهدٌ: لم يعد ربَّه بوعدٍ قطُّ إلَّا وفَّى له به[١].

فإن قيل: كيف خصَّ بصدقِ الوعدِ إسماعيل، وليس في الأنبياءِ من ليس كذلك؟

فالجوابُ: أنَّ إسماعيلَ عانى في الوفاء بالوعدِ ما لم يعانِهِ غيرُه من الأنبياءِ، فأثني عليه بذلك.

وذكر المفسرون أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة، فيها لهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه أقام حولًا، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله يزيدُ الرُّقاشيُّ.

والثالث: ثلاثةُ أيَّامٍ، قاله مُقاتلٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ إلى قومه، وهم جُرْهم.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قال مُقاتلٌ: يعني: قومه[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: أهله: جميع أمَّتِهِ[٤].

فأمَّا الصَّلاةُ والزَّكاةُ، فهما العبادتانِ المعروفتانِ.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه في السَّماءِ الرَّابعةِ، روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحيحينِ من حديثِ مالكِ بن صعصعةَ عن رسولِ الله ﷺ في حديثِ المعراجِ: أنَّه

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٦١) من قول ابن جريج.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

رأى إدريس في السَّماء الرَّابعة(١)، وبهذا قال أبو سعيدٍ الخدريِّ، ومجاهدٌ، وأبو العالية.

والثاني: أنَّه في السَّماءِ السادسةِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحاكُ.

والثالث: أنَّه في الجنَّة، قاله زيدُ بنُ أسلم، وهذا يرجعُ إلى الأوَّلِ، لأنَّه قد روي أنَّ الجنَّةَ في السَّماءِ الرَّابعةِ.

والرابع: أنَّه في السَّماء السَّابعةِ، حكاه أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفي سبب صعودِهِ إلى السَّماءِ ثلاثةُ أقوالٍ: [٥٢٤/ب]

أحدها: أنَّه كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميعِ بني آدم، فأحبَّه ملكُ الموتِ، فاستأذن الله في خلَّته، فأذن له، فهبط إليه في صورةِ آدمي، وكان يصحبه فلمَّا عرفه، قال إنِّي أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموتَ، فلعلي أعلم ما شدَّته فأكون له أشدُّ استعدادًا؛ فأوحى الله إليه أن اقبض روحَهُ ساعة ثمَّ أرسلَه، ففعل، ثمَّ قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشد ممَّا بلغني عنه، وإنِّي أُحبُّ أن تريني النَّارَ، قال: فحمله، فأراه إيَّاها؛ قال: إنِّي أُحبُّ أن تريني الجنَّة، فأراه إيَّاها، فلمَّا دخلها طاف فيها، قال له ملكُ الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرجُ حتَّى يكون الله تعالى يخرجني؛ فبعث الله ملكًا فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموتِ؟ فقصَّ عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريسُ؟ قال: إنَّ الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وقد ذقته، وقال:

---

(١) البخاري(٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال لأهل الجنَّةِ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] فوالله لا أخرجُ حتَّى يكون الله يخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقِهِ يقول: بإذني دخل، وبأمري فعل، فخلِّ سبيلَه؛ هذا معنى ما رواه زيدُ بنُ أسلم مرفوعًا إلى النَّبيِّ ﷺ(١).

فإن سأل سائلٌ فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟ فقد ذكر ابنُ الأَنبارِيِّ عن بعض العلماءِ، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود، وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم.

والثاني: أن ملكًا من الملائكة استأذن ربه أن يهبطَ إلى إدريسَ، فأذن له، فلمَّا عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموتِ قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكةِ، قال: هل تستطيع أن تنفعني عند ملكِ الموتِ؟ قال: سأكلِّمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السَّماءِ، فلقي ملك الموتِ، فقال: إنَّ لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلِّمني في إدريسَ وقد محي اسمُه من الصَّحيفة ولم يبقَ من أجله إلَّا نصف طرفة عينٍ؟ فمات إدريسُ بين جناحي الملك، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ(٢).

وقال أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ: فقبض ملك الموتِ روح إدريسَ في السَّماءِ السَّادسةِ(٣).

---

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥١٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٦٣) من طريق هلال بن يساف بن عباس.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٥/ ٥٢٤) عن ابن عباس.

والثالث: أنَّ إدريسَ مشى يومًا في الشَّمس، فأصابه وهجها، فقال: اللَّهمَّ خفِّف ثقلها عمَّن يحملها، يعني به الملك الموكَّل بالشَّمسِ، فلمَّا أصبح الملكُ وجدَ من خفَّة الشَّمسِ وحرَّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷻ عن ذلك، فقال: إنَّ عبدي إدريس سألني أن أخفِّف عنك حملها وحرَّها، فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلة، فأذن له، فأتاه، فكان ممَّا قال له إدريسُ: اشفع لي إلى ملكِ الموتِ ليؤخِّر أجلي، فقال: إنَّ الله لا يؤخِّرُ نفسًا إذا جاء أجلُها، ولكن أكلِّمه فيك، فما كان مستطيعًا أن [٥٢٥/أ] يفعل بأحدٍ من بني آدم فعل بك، ثمَّ حملَه الملك على جناحِهِ، فرفعه إلى السَّماءِ، فوضعه عند مطلعِ الشَّمسِ، ثمَّ أتى ملك الموتِ فقال: إنَّ لي إليك حاجة، صديقٌ لي من بني آدم تشفَّع بي إليك لتؤخِّر أجلَهُ، قال: ليس ذاك إليَّ، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنَّك كلَّمتني في إنسانٍ ما أراه يموتُ أبدًا، ولا أجدُهُ يموتُ إلَّا عند مطلع الشَّمسِ، فقال: إنِّي أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق، فما أراك تجدُهُ إلَّا ميِّتًا، فوالله ما بقي من أجلِهِ شيءٌ، فرجع الملك فرآه ميِّتًا. وهذا المعنى مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ وكعبٍ في آخرين(١).

فهذا القولُ والذي قبلَه يدلَّانِ على أنَّه ميِّتٌ، والقولُ الأوَّلُ يدلُّ على أنَّه حيٌّ.

---

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥٢٥).

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٥٨- ٦٥].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني: الذين ذكرهم من الأنبياءِ في هذه السُّورةِ ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يعني: إبراهيم، لأنَّه من ولدِ سام بن نوحٍ ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ يعني: ومن ذرِّيَّة إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: هؤلاء كانوا ممن أرشدنا، ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: واصطفينا.

قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: سجداً حال مقدَّرةٌ، المعنى: خرَّوا مقدرين السُّجود، لأنَّ الإنسانَ في حال خروره لا يكون ساجدًا، فسُجَّدًا منصوبٌ على الحالِ، وهو جمع ساجد، ﴿وَبُكِيًّا﴾ معطوفٌ عليه، وهو جمع باكٍ، فقد بيَّن الله

تعالى أنَّ الأنبياءَ كانوا إذا سمعوا آياتِ الله سجدوا وبكوا من خشيةِ الله[١].

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ قد شرحناه في الأعرافِ[٢].

وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم اليهودُ، رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: اليهودُ والنَّصارى، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: أنَّهم من هذه الأمَّة، يأتون عند ذهاب صالحي أمَّة محمَّد ﷺ يتبارون بالزِّنا، ينزو بعضُهم على بعضٍ في الأزقة زناة، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رزينٍ العقيليُّ، والحسنُ البصري: «الصَّلَوَات» على الجمعِ[٣].

وفي المراد بإضاعتهم إيَّاها قولان:

أحدهما: أنَّهم أخَّروها عن وقتها، قاله ابنُ مسعودٍ، والنخعيُّ، وعمرُ بنُ عبد العزيزِ، والقاسمُ بنُ مخيمرة.

والثاني: تركوها، قاله القرظيُّ، واختاره الزَّجَّاجُ[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: وذلك مثل استماع الغناءِ، وشرب الخمرِ، والزِّنا، واللَّهو، وما شاكل ذلك ممَّا يقطع عن أداءِ فرائضِ الله ﷻ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٦٩).

(٣) التحصيل (٤/ ٢٦٧)، وابن خالويه في الشواذ (ص: ٨٨) وزاد الضحاك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٥).



قولـه تعـالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليـس معنـى هـذا اللِّقـاء مجـرَّد الرُّؤيـة، وإنَّـما المـرادُ بـه الاجتـماعُ والملابسـةُ مـع الرُّؤيـةِ. [٥٢٥/ب]

وفي المرادِ بهذا الغي ستَّة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّـه وادٍ في جهنَّـم، رواه ابـنُ عبَّـاسٍ عـن رسـولِ الله ﷺ(١)، وبـه قـال كعـبٌ.

والثاني: أنَّه نهرٌ في جهنَّم، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثالث: أنَّه الخسرانُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّه العذابُ، قاله مجاهدٌ.

والخامس: أنَّه الشرُّ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائبِ.

والسَّـادس: أنَّ المعنـى: فسـوف يلقـون مجـازاة الغَـي، كقولـه: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقـان: ٦٨] أي مجـازاة الآثـام، قالـه الزَّجَّـاجُ(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تاب من الشِّركِ، وآمن بمحمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتلٌ(٣).

والثاني: تاب من التقصير في الصَّلاةِ، وآمن من اليهودِ والنَّصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

---

(١) رواه ابـن مردويـه في تفسـيره كـما في الـدر المنثـور(٥/ ٥٢٨) مـن طريـق نهشـل، عـن الضحـاك، بـه.

ونهشل بن سعيد الورداني، متروك.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٢).

وقرأ أبو رزين العقيليُّ، والضَّحاكُ، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلةَ: «جناتُ» برفع التَّاءِ(١).

وقرأ الحسنُ البصري، والشَّعبيُّ، وابنُ السَّميفع: «جنةُ عَدْنٍ» على التَّوحيد مع رفع التَّاءِ(٢).

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو المتوكِّل الناجي: «جنَّةَ عَدْنٍ» على التَّوحيد مع نصبِ التَّاءِ.

وقوله: ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهي غائبةٌ عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: آتياً.

قال ابنُ قُتيبةَ: وهو مفعولٌ في معنى فاعل، وهو قليلٌ أن يأتي الفاعل على لفظِ المفعولِ به(٣).

وقال الفَرَّاءُ: إنَّما لم يقل: آتياً، لأنَّ كلَّ ما أتاك فأنت تأتيه؛ ألا ترى أنَّك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليَّ خمسون(٤).

والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابنُ الأنبارِيِّ.

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨) عن الحسن، وفي المحرر (٤/ ٢٣) عيسى بن عمر، وأبي حيوة

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨)، الحسن بن حي، والمحرر (٤/ ٢٣) عن علي بن صالح، وزاد في التحصيل (٤/ ٢٦٧) الأعمش.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٠).

وقال ابنُ جريجٍ: ﴿وَعْدُهُۥ﴾ هاهنا: موعوده، وهو الجنَّة، و﴿مَأْتِيًّا﴾ يأتيه أولياؤه(١).

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه التخالف عند شربِ الخمرِ، قاله مُقاتلٌ(٢).

والثاني: ما يلغى من الكلامِ ويؤثم فيه، قاله الزَّجَّاجُ(٣).

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: اللَّغو في العربيَّة: الفاسدُ المطَّرح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾.

قال أبو عُبيدةَ: السلامُ ليس من اللَّغو، والعربُ تستثني الشَّيء بعد الشَّيء وليس منه، وذلك أنَّها تضمر فيه، فالمعنى: إلَّا أنَّهم يسمعون فيها سلاماً(٤).

وقال ابنُ الأَنبارِيِّ: استثنى السَّلام من غير جنسِهِ، وفي ذلك توكيدٌ للمعنى المقصود، لأنَّهم إذا لم يسمعوا من اللَّغو إلَّا السَّلام، فليس يسمعون لغوًا البتة، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] إذا لم يخرج من عداوتهم لي غير ربِّ العالمين، فكلُّهم عدوٌّ.

وفي معنى هذا السَّلام قولان:

أحدهما: أنَّه تسليم الملائكة عليهم، قاله مُقاتلٌ(٥).

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

والثاني: أنَّهم لا يسمعون إلَّا ما يُسَلِّمُهُم، ولا يسمعون ما يؤثمهم، قاله الزَّجَّاجُ(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾.

قال المفسِّرون: ليس في الجنَّة بكرة ولا عشيَّة، ولكنَّهم يؤتون برزقهم ـ على مقدارِ ما كانوا يعرفون ـ في الغداة والعشي.

قال الحسنُ: كانت العرب لا تعرف شيئًا من العيشِ أفضل من الغداءِ والعشاءِ، فذكر الله لهم ذلك(٢). [٥٢٦/أ]

وقال قتادةُ: كانت العربُ إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، فأخبر الله أنَّ لهم في الجنَّة رزقهم بكرةً وعشيًّا على قدر ذلك الوقت، وليس ثَمَّ ليل ولا نهار، وإنَّما هو ضوءٌ ونورٌ(٣).

وروى الوليدُ بنُ مسلم قال: سألت زهير بن محمَّد عن قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقال: ليس في الجنَّة ليلٌ ولا نهارٌ، هم في نورٍ أبدًا، ولهم مقدار اللَّيل والنَّهارِ، يعرفون مقدار اللَّيل بإرخاءِ الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النَّهار برفع الحجب وفتح الأبواب(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٨٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥٨)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٧٧) عن معمر، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٧٦) عن علي بن سهل، عن الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد التميمي العنبري، أبو المنذر الخراساني، بنحوه.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ الإشارةُ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿نُورِثُ﴾.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، والحسنُ، والشَّعبيُّ، وقتادةُ، وابنُ أبي عبلةَ: بفتح الواو وتشديدِ الرَّاء[1].

قال المفسِّرون: ومعنى «نُورِثُ»: نعطي المساكن التي كانت لأهل النَّار لو آمنوا للمؤمنين.

ويجوز أن يكون معنى نورث: نعطي، فيكون كالميراثِ لهم من جهة أنَّها تمليكٌ متسأنفٌ، وقد شرحنا هذا في الأعراف[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

وقرأ ابنُ السَّميفع وابنُ يعمر: «وما يَتَنَزَّلُ» بياءٍ مفتوحةٍ[3].

وفي سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يَا جِبرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا**»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ[4].

---

(١) عن الحسن، وقتادة في التحصيل (٤/ ٢٦٨)، وانظر: معاني القراءات (٢/ ١٣٦)، والمبسوط (١/ ٢٨٩)، والكامل (١/ ٥٥٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٣).

(٣) عن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨).

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٣١)، والبخاري (٤٧٣١)، وفي خلق أفعال العباد (ص: ٧٢)، والترمذي (٣١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٧) من طُرق عن عمر بن ذر، عن أبيه، به.

والثـاني: أن الملـك أبطـأ عـلى رسـول الله ﷺ ثـم أتـاه، فقـال: لَعَـلِّي أبطـأت، قـال: قـد فعلـت، قـال: ومـا لي لا أفعـل، وأنـتـم لا تتسـوكون، ولا تقصـون أظفاركـم، ولا تنقـون براجمكـم، فنزلـت الآيـةُ، قالـه مجاهـدٌ[١].

قـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: البراجـمُ عنـد العـربِ: الفصـوص التـي في فصـول ظهـورِ الأصابـعِ، تبـدو إذا جُمعـت، وتغمـض إذا بُسـطت، والرَّواجـب: مـا بـين البراجـم، بـين كل برجمتـين راجبـةٌ.

والثالـث: أنَّ جبريـلَ احتبس عـن النَّبـيِّ ﷺ حـين سـأله قومُـه عـن قصَّة أصحـابِ الكهـفِ، وذي القرنـين، والـرُّوح، فلـم يـدر مـا يجيبهـم، ورجـا أن يأتيـه جبريـلُ بجـوابٍ، فأبطـأ عليـه، فشـقَّ عـلى رسـولِ الله ﷺ مشـقَّة شـديدة، فلـمَّا نـزل جبريـل قـال لـه: «**أَبْطَـأْتَ عَـلَيَّ حَتَّـى سَـاءَ ظَنِّـي، وَاشْـتَقْتُ إِلَيْـكَ**»، فقـال جبريـلُ: إنِّي كنـت أَشْـوَقَ، ولكنِّـي عبـدٌ مأمـورٌ، إذا بعثـت نزلـت، وإذا حبسـت احتبسـت، فنزلـت هـذه الآيـةُ، قالـه عكرمـةُ[٢] وقتادةُ[٣] والضَّحـاكُ[٤].

وفي سبب احتباسِ جبريل عن رسولِ الله ﷺ قولان:

أحدهما: لامتناع أصحابِهِ من كمال النَّظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهدٍ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٩) من طريق الأعمش، عن مجاهد، مرسلاً.

(٢) أثر عكرمة رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٢٤٩) وقال غريب.

(٣) رواه ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره (١٥/ ٥٨٠) مـن طريـق سـعيد بـن أبي عروبـة، بنحـو حديـث عكرمـة.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٨١).



والثاني: لأنَّهم سألوه عن قصَّة أصحابِ الكهفِ، فقال: «غَدًا أُخْبِرُكُمْ»، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورةِ الكهف[1].

وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوالٍ:

[٥٢٦/ب] أحدها: خمسة عشر يومًا؛ وقد ذكرناه في الكهفِ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أربعون يومًا، قاله عكرمة، ومُقاتلٌ[2].

والثالث: اثنتا عشرة ليلة، قاله مجاهدٌ.

والرابع: ثلاثةُ أيَّامٍ، حكاه مُقاتلٌ[3].

والخامس: خمسة وعشرون يومًا، حكاه الثَّعلبيُّ[4].

وقيل: إنَّ سورةَ الضُّحى نزلت في هذا السببِ.

والمفسِّرون على أنَّ قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قول جبريل.

وحكى الماورديُّ: أنَّه قول أهل الجنَّة إذا دخلوها، فالمعنى: ما ننزل هذه الجنان إلَّا بأمرِ الله، وقيل: ما ننزل موضعًا من الجنَّة إلَّا بأمرِ الله[5].

وفي قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قولان:

أحدهما: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الدنيا، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ، ومُقاتلٌ[6].

---

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٢٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦/ ٢٢٣) وفيه: «خمس عشرة».

(٥) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٨١).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٣).

والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدُّنيا، وما خلفنا: من الآخرةِ، فهو عكس الأوَّل، قاله مجاهدٌ.

وقال الأخفشُ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: قبل أن نخلق، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: بعد الفناءِ(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: ما بين الدُّنيا والآخرة، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: ما بين النفختين، قاله مجاهدٌ، وعكرمةُ، وأبو العاليةِ.

والثالث: حين كوننا، قاله الأَخفَشُ(٢).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وإنَّما وحد ذلك، والإشارةُ إلى شيئين.

أحدهما: ما بين أيدينا.

والثاني: ما خلفنا، لأنَّ العربَ توقع ذلك على الاثنين والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ النسيُّ بمعنى النَّاسي.

وفي معنى الكلامِ قولان:

أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبطأ الوحي عنك، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

قال مُقَاتِلٌ: ما نسيك عند انقطاع الوحي عنك(٣).

والثاني: أنَّه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيئًا، قاله الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٣٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٣٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: وحِّده، لأنَّ عبادته بالشِّركِ ليست عبادة، ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر على توحيدِهِ؛ وقيل: على أمرِهِ ونهيه.

قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

روى هارونُ عن أبي عمرٍو أنَّه كان يدغم «هل تعلم»، ووجهه أنَّ سيبويه يجيز إدغام اللَّام في التَّاءِ والثَّاء والدَّال والزَّاي والسِّين والصَّاد والطَّاء، لأن آخر مخرج اللَّام قريبٌ من مخارجهنَّ.

قال أبو عُبيدةَ: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان، بعضهم يبين لام «هل»، وبعضُهم يدغمها[1].

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: مثلاً وشِبهاً، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ.

والثاني: هل تعلم أحدًا يسمِّي الله غيره، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: هل تعلم أحدًا يستحقُّ أن يُقال له: خالق وقادر إلَّا هو، قاله الزَّجَّاجُ[2].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

(١) مجاز القرآن (٢/ ٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٨).

مَقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾[مريم: ٦٦- ٧٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾:

سبب نزولها: أن أُبيَّ بنَ خلفٍ أخذ عظمًا بالياً، فجعل يفُتُّهُ بيده ويذريه في الرِّيح ويقول: زعم لكم محمَّد أنَّ الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[١].

وروى عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين [٥٢٧/أ] جوابُه؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ، ذكرها ابنُ الأنبارِيِّ:

أحدها: أنَّ ظاهرَ الكلامِ استفهامٌ، ومعناه معنى جحد وإنكارٌ، تلخيصه: لست مبعوثًا بعد الموتِ.

والثاني: أنَّه لما استفهم بهذا الكلامِ عن البعثِ، أجابه الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، فهو مشتملٌ على معنى: نعم، وأنت مبعوثٌ.

والثالث: أنَّ جوابَ سؤال هذا الكافرِ في يس[٢] عند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا﴾، ولا ينكرُ بعد الجوابِ، لأنَّ القرآنَ كلَّه بمنزلة الرِّسالةِ الواحدةِ، والسُّورتان مكِّيتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: بفتح الذَّالِ مشددة الكاف.

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠١) عن محمد بن السائب الكلبي.

(٢) انظر: تفسير سورة يس الآية (٧٨).

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَذْكُرُ﴾، ساكنة الذَّال خفيفة(١).

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكِّل الناجي: «أولا يتذكر الإنسان» بياء وتاء(٢).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو عبد الرَّحمن السلميُّ، والحسنُ: «يذْكُر» بياء من غير تاء ساكنة الذَّال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى: أولا يتذكر هذا الجاحدُ أوَّل خلقه، فيستدل بالابتداءِ على الإعادةِ؟

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يعني: المكذِّبين بالبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: مع الشَّياطين، وذلك أنَّ كلَّ كافرٍ يحشر مع شيطانه في سلسلةٍ.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾.

قال مُقاتلٌ: أي: في جهنَّم، وذلك أنَّ حولَ الشَّيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القومُ حول البيت: إذا جلسوا داخلَه مطيفين به(٣).

وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها.

فأمَّا قوله: ﴿جِثِيًّا﴾.

فقال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ جاث، مثل قاعد وقعود، وهو منصوبٌ على الحالِ، والأصلُ ضمُّ الجيمِ، وجاء كسرُها إتباعًا لكسرةِ الثَّاءِ(٤).

وللمفسِّرين في معناه خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: قعودًا، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٤١٠)، والحجة (٥/ ٢٠٣-٢٠٤)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٢) قراءة أُبي رضي الله عنه في الحجة (٥/ ٢٠٤)، والمحرر (٤/ ٢٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٨).

(٣) لم أقف عليه من كلام مقاتل، وهو في الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٨).

والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

فعلى هذا هو جمع جثوة وهي المجموع من التُّراب والحجارةِ.

والثالث: جثيًّا على الرُّكَب، قاله الحسنُ، ومجاهدٌ، والزَّجَّاجُ[١].

والرابع: قيامًا، قاله أبو مالكٍ.

والخامس: قيامًا على ركبهم، قاله السُّدِّيُّ، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لنأخذنَّ من كلِّ فرقةٍ وأمَّةٍ وأهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنَّه يبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جرماً، والرؤوس القادة في الشرِّ.

قال الزَّجَّاجُ: وفي رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّه على الاستئناف، ولم تعمل «لننزعن» شيئًا، هذا قولُ يُونسَ.

والثاني: أنَّه على معنى الذي يُقال لهم: أيُّهم أشدُّ على الرَّحمن عتيًّا؟ قاله الخليلُ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: التأويل لننزعنَّ الذي من أجل عتوه يقال: أي هؤلاء أشدُّ عتيًّا؟ وأنشد [من الكامل][٢]:

وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ ... فَأَبِيتُ لَا حَرِجٌ وَلَا مَحْرُومُ

المعنى: أبيتُ بمنزلةِ الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم. [٥٢٧/ ب]

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ٣٣٨).

(٢) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٦١٦)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٥١٠)، وشرح المفصل (٣/ ١٤٦)، والكتاب (٢/ ٨٤)، ولسان العرب (٤/ ٤٩٢)، وبلا نسبة في الإنصاف (١/ ٧١٠)، وشرح المفصل (٧/ ٨٧).

والثالث: أنَّ أيهم مبنيَّةٌ على الضمِّ، لأنَّه خالفت أخواتها، فالمعنى: أيُّهم هو أفضل. وبيان خلافها لأخواتها أنَّك تقول: اضرب أيهم أفضل، ولا يحسن: اضرب من أفضل، حتَّى تقول من هو أفضل، ولا يحسن: كل ما أطيب، حتَّى تقول: ما هو أطيبُ، ولا خذ ما أفضل، حتَّى تقول: الذي هو أفضل، فلما خالفت ما ومن والذي، بُنيت على الضمِّ، قاله سيبويه[1].

قوله تعالى: ﴿هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يعني: أنَّ الأولى بها ﴿صِلِيًّا﴾ الذين هم أشدُّ ﴿عِتِيًّا﴾، فيُبتدأ بهم قبل أتباعهم.

﴿صِلِيًّا﴾: منصوبٌ على التَّفسيرِ، يقال: صلي النار يصلاها: إذا دخلها وقاسى حرَّها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ في الكلامِ إضمارٌ تقديره: وما منكم أحدٌ إلَّا وهو واردها.

وفيمن عني بهذا الخطابِ قولان:

أحدهما: أنَّه عامٌّ في حقِّ المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين.

وروي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: هذه الآية للكفَّار.

وأكثر الروايات عنه كالقول الأوَّل.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: ووجه هذا أنَّه لما قال: لنحضرنهم وقال: أيهم أشدُّ على الرَّحمن عتيًّا، كان التقدير: وإن منهم، فأبدلتِ الكافُ من الهاء، كما فعل في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الإنسان: ٢٢] المعنى: كان لهم، لأنَّه مردودٌ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٩).

على قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر [من الكامل](١):

شَطَّتْ مُزارَ العاشِقينَ فأصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

أراد: طلابها.

وفي هذا الورودِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الدُّخولُ، روى جابرُ بنُ عبد الله عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**الْوُرُودُ: الدُّخُولُ، لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ، - أَوْ قَالَ: لِجَهَنَّمَ - ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ**»(٢).

وروي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه سأله نافعُ بنُ الأزرقِ عن هذه الآية فقال له: أمَّا أنا وأنت فسندخلها، فانظر أيُخرجنا الله ﷻ منها، أم لا؟ فاحتجَّ بقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وبقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨](٣).

(١) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ١٠٩)، ولسان العرب (٤/ ٣١٤ـ٣٣٦)، وتاج العروس (١١/ ٣٩٦)، ومقياس اللغة (٣/ ٤٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٢/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣٧٠) من طريق سليمان بن حرب، عن غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية، عن جابر بنحوه.

ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٨) من طريق سليمان بن حرب، عن أبي صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد أبي سهل، عن مُسة الأزدية، عن عبد الرحمن بن شيبة، عن جابر.

وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة أبي سمية، ومُسة هذه لم يرو عنها غير كثير بن زياد، وقد اضطرب في هذا الحديث.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٠)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٩٠)



وكان عبد الله بن رواحةَ يبكي ويقول: أنبئت أني وارد، ولم أنبأ أنّي صادر[1].

وحكى الحسنُ البصريُّ أنَّ رجلًا قال لأخيه: يا أخي هل أتاك أنَّك وارد النَّارِ؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاك أنَّك خارجٌ منها، قال: لا؛ قال: ففيم الضَّحك[2]؟

وقال خالدُ بنُ معدان: إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: بلى، ولكن مَرَرْتُم بها وهي خامدةٌ[3].

وممن ذهب إلى أنَّه الدُّخول: الحسن في رواية، وأبو مالكٍ.

وقد اعترض على أرباب هذا القول بأشياءَ.

فقال الزَّجَّاجُ: العربُ تقول: وردت بلد كذا، ووردت ماء كذا، إذا أشرفوا عليه وإن لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] والحجة القاطعةُ في هذا القولِ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وقال زهير [من الطويل][4]: [٥٢٨/أ]

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

أي: لما بلغْنَ الماء قُمْنَ عليه.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٢٧) عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٠٠) من طريق ابن المبارك، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٩٢) من طريق بكار بن أبي مروان، به.

(٤) البيت في ديوانه (ص: ١٣)، ولسان العرب (٣/ ٤٥٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ٦٠٨)، وتاج العروس (٩/ ٢٨٩).

قال الشَّيخ(١): **قلتُ**: وقد أجاب بعضُهم عن هذه الحججِ، فقال: أمَّا الآيةَ الأولى، فإنَّ موسى لما أقام حتَّى استقى الماء وسقى الغنم، كان بلبثه ومباشرته كأنَّه دخل؛ وأمَّا الآيةُ الأخرى: فإنَّها تضمَّنت الإخبار عن أهلِ الجنَّةِ حين كونهم فيها، وحينئذٍ لا يسمعون حسيسها.

وقد روينا آنفاً عن خالدِ بنِ معدان أنَّهم يمرُّون بها، ولا يعلمون(٢).

والثاني: أنَّ الورود: الممر عليها، قاله عبدُ الله بنُ مسعودٍ، وقتادةُ.

وقال ابنُ مسعودٍ: يرد النَّاس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأوَّلُهم كلمح البرقِ، ثمَّ كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكبِ في رحله، ثم كشدِّ الرَّجلِ، ثم كمشيه(٣).

والثالث: أنَّ ورودها: حضورها، قاله عبيدُ بنُ عمير.

والرابع: أنَّ ورود المسلمين: المرور على الجسرِ، وورود المشركين: دخولها، قاله ابنُ زيدٍ.

والخامس: أنَّ ورود المؤمن إليها: ما يصيبه من الحمَّى في الدُّنيا، روى عثمانُ بن الأسودِ، عن مجاهدٍ أنَّه قال: الحُمَّى حظٌّ كل مُؤْمنٍ من النَّار، ثُم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(٤)، فعلى هذا من حُمَّ من المسلمين، فقد وردها.

---

(١) في (س)، و(ر): (قلت)، وفي (م): (قال المصنِّف: قلت).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥)، والدرمي (٢٨١٠)، والترمذي (٣١٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٧) مرفوعًا.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣٨٥) من طريق عثمان بن الأسود، به.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: الورود ﴿حَتْمًا﴾ والحتمُ: إيجابُ القضاءِ، والقطع بالأمرِ.

والمقضي: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنَّه حتم ذلك وقضاه على الخلقِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو مجلَزٍ، وابنُ يعمر، وابنُ أبي ليلى، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «ثَمَّ» بفتح الثَّاءِ[1].

وقرأ الكسائيُّ، ويعقوبُ: «نُنْجي» مخفَّفةٌ[2].

وقرأت عائشةُ، وأبو بحرية، وأبو الجوزاء الرِّبعي: «ثم يُنْجِي» بياءٍ مرفوعةٍ قبل النُّون خفيفة الجيم مكسورة.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو مجلزٍ، وابنُ السَّميفع، وأبو رجاء: «نُنَحِّي» بحاءٍ غير معجمة مشدَّدة[3].

وهذه الآيةُ يحتجُّ بها القائلون بدخول جميع الخلق، لأنَّ النَّجاة: تخليص الواقع في الشَّيء، ويؤكده قوله تعالى: ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يقل: وندخلهم؛ وإنَّما يقال: نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه.

ومن قال: إنَّ الورودَ للكفَّارِ خاصَّةٌ، قال: معنى هذا الكلام: نخرج المتَّقين من جملةِ من يدخل النَّار.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابنِ عباس، والجحدري، وابن أبي ليلى، وفي التحصيل (٤/ ٢٨١) عن ابن عباس، وغيره.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن محيصن، وزاد في المحرر (٤/ ٢٨) يحيى والأعمش.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٢٨) عن علي بن أبي طالب.

والمراد بالمتَّقين: الذين اتَّقوا الشِّرك، وبالظَّالمين: الكفَّار.

وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٣- ٧٤].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: مشركي قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: لفقراءِ المؤمنين ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، [وحفصٍ][1] عن عاصمٍ: «مَقاماً» بفتح الميمِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ بضمِّ الميم[2].

قال أبو عليٍّ الفارسي: المقام: اسم المثوى، إن فُتحت الميم أو ضُمَّت[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ والنديُّ والنادي: مجلس القومِ ومجتمعهم.

وقال الفَرَّاءُ: النديُّ والنادي، لغتان[4].

ومعنى الكلام: أنحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن [٥٢٨/ ب] والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وقد بيَّنا

---

(١) زيادة من (م).

(٢) السبعة (ص: ٤١١)، والحجة(٥/ ٢٠٤_٢٠٥)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٣) الحجة (٥/ ٢٠٥).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

معنى القرن في الأنعامِ[1] وشرحنا الأثاث في النَّحل[2].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَرِءْيًا﴾.

فقرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزةٍ بين الرَّاءِ والياءِ في وزن رِعيًا.

قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: منظراً، من رأيت[3].

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «رِيًّا» بياءٍ مشدَّدةٍ من غير همزٍ[4].

قال الزَّجَّاجُ: لها تفسيران:

أحدهما: أنَّها بمعنى الأولى.

والثاني: أنَّها من الرِّيِّ، فالمعنى منظرهم مرتوٍ من النعمة، كأنَّ النَّعيم بيِّنٌ فيهم[5].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وابنُ أبي سُريجٍ عن الكسائيِّ: «زِيًّا» بالزَّاي المعجمةِ مع تشديدِ الياءِ من غير همزٍ[6].

قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: حسنٌ هيئتهم[7].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٨٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

(٤) السبعة (ص: ٤١١)، والحجة (٥/ ٢٠٩)، والمبسوط (١/ ٢٩٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٣).

(٦) في التحصيل (٤/ ٢٨٢) عن سعيد بن جبير، والأعسم المكي، ويزيد البربري، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن جبير

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٣).

قولــه تعــالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريـم: ٧٥- ٧٦].

قولــه تعــالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ﴾ أي: في الكفــرِ والعمــى عــن التَّوحيــدِ ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾.

قــال الزَّجَّــاجُ: وهــذا لفــظ أمــرٍ، ومعنــاه الخــبرُ، والمعنــى: أنَّ الله تعــالى جعــل جــزاء ضلالتــه أن يتركَــهُ فيهــا[1].

قــال ابــنُ الأنبــارِيِّ: خاطــب الله العــربَ بلســانها، وهــي تقصــد التَّوكيــد للخــبرِ بذكــرِ الأمــرِ، يقــول أحدُهــم: إن زارنــا عبــد الله فلنكرمــه، يقصــد التَّوكيــد، وينبِّــه عــلى أني ألــزم نفــسي إكرامــه؛ ويجــوز أن تكــون الــلَّامُ لام الدُّعــاءِ عــلى معنــى: قــل يــا محمَّــد: مــن كان في الضَّلالــةِ فاللَّهــم مُــدَّ لــه في العمــرِ مــدًّا.

قال المفسِّرون: ومعنى مد الله تعالى له: إمهاله في الغي.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا ﴾ يعني الذين مدَّهم في الضلالةِ.

وإنَّما أخبر عن الجماعة، لأنَّ لفظ «من» يصلح للجماعةِ.

ثــم ذكــر مــا يوعــدون فقــال: ﴿ إِمَّا الْعَذَابَ ﴾ يعنــي: القتــل، والأسر ﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ يعنــي: القيامــة ومــا وعــدوا فيهــا مــن الخلــودِ في النَّــار ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ في الآخــرة، أهــم، أم المؤمنــون؟ لأنَّ مــكان

---

(١) المصدر السابق.

هـؤلاء [الجنَّـة، ومـكان هـؤلاء][(١)] النَّـار، ويعلمـون بالنَّصر والقتـلِ ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ جندهـم، أم جنـد رسـولِ الله ﷺ.

وهذا ردٌّ عليهم في قولهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: ويزيدُ الله الذين اهتدوا بالتَّوحيد إيمانًا.

والثاني: يزيدهم بصيرة في دينهم.

والثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيمانًا، فكلَّما نزلت سورة زاد إيمانُهم.

والرابع: يزيدهم إيمانًا بالناسخِ والمنسوخِ.

والخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخِ هدى بالنَّاسخ.

قـال الزَّجَّـاجُ: المعنـى: إنَّ الله تعـالى يجعـل جزاءهـم أن يزيدهـم يقينًـا، كـما جعـل جـزاء الكافـر أن يمـدَّه في ضلالتـه[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ قد ذكرناها في سورة الكهفِ[(٣)].

قولـه تعـالى: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ المـردُّ هاهنا مصـدر مثل الـرَّدِّ، والمعنى: وخير ردًّا للثَّـواب عـلى عامليها، فليسـت كأعـمال الكفَّار التـي خسروها فبطلت.

قولـه تعـالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريـم: ٧٧- ٨٠].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (س)، و(م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٤٦).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ في سبب نزولها قولان: [٥٢٩/أ]

أحدهما: ما روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحيحين من حديث مسروق، عن خبَّاب بن الأرتِّ قال: كُنْتُ قَيْنًا[١] فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لاَ وَاللهِ لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ فيه هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿فَرْدًا﴾[٢].

والثاني: أنَّها نزلت في الوليدِ بنِ المغيرة، وهذا مرويٌّ عن الحسنِ[٣].

والمفسِّرون على الأوَّل.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتح الواو.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: بضمِّ الواو[٤].

وقال الفرَّاءُ: وهما لغتان: الْعَدم، وَالْعُدْمُ، وليس يجمع، وقيس تجعل الوُلْد جمعًا، والوَلد، بفتح الواو، واحدًا[٥].

وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه أراد في الجنَّة على زعمكم.

---

(١) أي: حدَّادًا.

(٢) رواه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥).

(٣) أورده ابن عطية في المحرر (٤/ ٣٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٩٣).

(٤) السبعة (ص: ٤١٢)، والحجة (٥/ ٢١٠)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٧٣).

والثاني: في الدُّنيا.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: وتقدير الآية: أرأيته مصيباً؟

قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: أَعَلِمَ ما غاب عنه حتَّى يعلم أفي الجنَّة هو، أم لا[1]؟

وقال في روايةٍ أخرى: أَنَظَرَ في اللَّوح المحفوظِ[2]؟

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟ قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أم قدَّم عملاً صالحاً، فهو يرجوه؟ قاله قتادةُ.

والثالث: أم عهد إليه أنَّه يدخله الجنَّة؟ قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنَّه يُؤتى المال والولد.

ويجوز أن يكون معنى كلا أي: إنَّه لم يطلع الغيب، ولم يتَّخذ عند الرَّحمن عهداً.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثباتِ قوله عليه لنجازيه به، ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعضٍ.

وقرأ أبو العاليةِ الرِّياحيُّ، وأبو رجاءٍ العطارديُّ: «سيَكتب»، و«يَرثه» بياءٍ مفتوحةٍ[3].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٢٩)، وفي الوسيط (٣/ ١٩٤) من قول الكلبي.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٣١) وقرأ عاصم والأعمش «سيُكتب» بياء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نرثه ما يقول أنَّه له في الجنَّة، فنجعله لغيرِه من المسلمين، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، واختاره الفَرَّاءُ.

والثاني: نرث ما عنده من المالِ والولد، بإهلاكنا إيَّاه، وإبطال ملكه، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضاً، وبه قال قتادةُ.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعلُه لغيره(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ أي: بلا مالٍ ولا ولدٍ.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾[مريم: ٨١- ٨٤].

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾.

قال الفَرَّاءُ: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرةِ(٢).

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليس الأمر كما قدروا، ﴿سَيَكْفُرُونَ ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾[القصص: ٦٣] لأنَّها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿وَيَكُونُونَ ﴾ يعني: الأصنام ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا ﴾ أي: أعوانًا عليهم في القيامة، يكذبونهم ويلعنونهم. [٥٢٩/ ب]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: **في معنى هذا الإرسال وجهان:**

أحدهما: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القَبول منهم.

والثاني: وهو المختارُ: سلطناهم عليهم، وقيضناهم لهم بكفرِهم.

﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً حتَّى يركبوا المعاصي[١].

وقال الفَرَّاءُ: تزعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها[٢].

قال ابنُ فارسٍ: يقال: أزَّه على كذا: إذا أغراه به، وأزَّت القِدْر: غَلَت[٣].

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: لا تعجل بطلبِ عذابهم، وزعم بعضُهم أنَّ هذا منسوخٌ بآية السَّيفِ، وليس بصحيحٍ.

﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ **في هذا المعدودِ ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها أنفاسهم، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال طاووس، ومُقاتلٌ[٤].

والثَّاني: الأيَّام، واللَّيالي، والشُّهور، والسُّنون[٥]، والسَّاعات، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّها أعمالهم، قاله قطربُ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٢).

(٣) مجمل اللغة (١/ ٧٩).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٩).

(٥) في (ر): (والسنين).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[مريم: ٨٥- ٨٧].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قال بعضُهم: هذا متعلِّقٌ بقولِه: ويكونون عليهم ضدًّا، يوم نحشر المتَّقين.

وقال بعضُهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتَّقين، وهم الذين اتَّقوا الله بطاعته واجتناب معصيته.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عمرانَ الجُونيُّ: «يَحشُر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع الشِّين، و«يَسُوق» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع السِّين.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ البصريُّ، ومعاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّل النَّاجي: «يوم يُحْشَر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح الشِّين «المتقون» رفعًا، «ويُساقُ» بألفٍ وياءٍ مرفوعةٍ «المجرمون» بالواو على الرَّفع[1].

والوفد: جمع وافد، مثل: ركب، وراكب، وصحب، وصاحب.

قال ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، والفَرَّاءُ: الوفدُ: الرُّكبان[2].

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: الرُّكبان عند العرب: ركاب الإبلِ.

وفي زمان هذا الحشر قولان:

أحدهما: أنَّه من قبورهم إلى الرَّحمن، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

والثاني: أنَّه بعد الحسابِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، والمحرر (٤/ ٣٢) عن الحسن.

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٢).



قال ابنُ عبَّاسٍ، وأبو هريرةَ، والحسنُ: عطاشًا[١].

قال أبو عُبيدةَ: الوِرْدُ: مصدرُ الورود[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: الوِرْدُ: جماعةٌ يردون الماءَ[٣]، يعني: أنَّهم عطاشٌ، لأنَّه لا يرد الماء إلَّا العطشان.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: معنى قوله وردًا: واردين.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا يشفعون ولا يشفع لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أن يكون «من» في موضع رفع على البدلِ من الواو والنُّونِ، فيكون المعنى: لا يملك الشَّفاعة إلَّا من اتَّخذ عن الرَّحمن عهداً، وجائزٌ أن يكون في موضع نصبٍ على استثناء «ليس» من الأوَّل، فالمعنى: لا يملك الشَّفاعة المجرمون، ثمَّ قال: إلَّا على معنى لكن ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فإنَّه يملكُ الشَّفاعة[٤].

والعهد هاهنا: توحيدُ الله والإيمانُ به.

[٥٣٠/أ] وقال ابنُ الأنبارِيِّ: تفسيرُ العهد في اللُّغة: تقدمة أمر يعلم ويحفظ، من قولك: عهدت فلاناً في هذا المكانِ، أي: عرفته، وشهدته.

---

(١) روي هذه الآثار ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٣١).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١١).

(٣) غريب القرآن (١/ ٢٧٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٦).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[مريم: ٨٨- ٩٥].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ يعني: اليهود، والنَّصارى، ومَن زعمَ من المشركين أنَّ الملائكةَ بنات الله ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ أي: شيئاً عظيماً من الكفر.

قال أبو عُبيدةَ: الإدُّ، والنُّكر: الأمرُ المتناهي العِظَم[١].

قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿ تَكَادُ ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، والكسائيُّ: «يَكَادُ» بالياءِ[٢].

وقرءا جميعاً: ﴿يَتَفَطَّرْنَ ﴾ بالياءِ والتَّاءِ مشدَّدة الطَّاء، وافقهما ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ في: ﴿يَتَفَطَّرْنَ ﴾.

وقرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ينفطرن» بالنُّون[٣].

وهكذا خلافهم في ﴿ عَسَقَ ﴾[٤].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٢).

(٢) السبعة (ص: ٤١٢)، والحجة (٥/ ٢١٤)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

(٣) السبعة (ص: ٢١٢)، والحجة (٥/ ٢١٣)، والتيسير (ص: ١٩٤).

(٤) قوله: (وهكذا خلافهم في عسق)، ليس في (م).

وقرأ حمزةُ، وابنُ عامرٍ في مَرْيم مثل أبي عمرٍو، وفي ﴿ عٓسٓقٓ ﴾ مثل ابن كثيرٍ.

ومعنى ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: يقاربن الِانشقاق من قولكم.

قال ابنُ قُتيبةَ: وقوله تعالى: ﴿هَدًّا﴾ أي: سقوطاً[1].

قوله تعالى: ﴿ أَن دَعَوْا ﴾.

قال الفَرَّاءُ: من أن دعوا، ولأن دعوا[2].

وقال أبو عُبيدةَ: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاءِ الصَّوتِ، وأنشد [من الطَّويل][3]:

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحًا وَإِنْ تَغِبْ تَجِدْهُ بِغَيْبٍ غَيْرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ أي: ما يصلُح له، ولا يليق به اتِّخاذُ الولدِ، لأنَّ الولدَ يقتضي مجانسةَ، وكلَّ متَّخذٍ ولدًا يتَّخذُه من جنسِه، والله تعالى منزَّهٌ عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه، فمحالٌ في حقِّه اتِّخاذُ الولدِ، ﴿ إِن كُلُّ ﴾ أي: ما كل ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ يوم القيامةِ ﴿عَبْدًا ﴾ ذليلاً خاضعاً.

والمعنى: أنَّ عيسى وعُزيرًا والملائكة عبيدٌ له.

قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دلالة على أنَّ الوالد إذا اشترى ولده، لم يبقَ ملكه عليه، وإنَّما يعتق بنفسِ الشِّراءِ، لأنَّ الله تعالى نفى البنوَّة لأجلِ العبوديَّةِ، فدلَّ على أنَّه لا يجتمع بُنُوَّةٌ ورِقٌّ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٣).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٢)، ولسان العرب (١٤/ ٢٦١).

قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾ أي: علم عددهم ﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ بلا مالٍ ولا نصيرٍ يمنعه.

فإن قيل: لأيَّة علَّةٍ وحَّد في الرَّحمن و﴿ءَاتِيهِ﴾، وجمع العائد في ﴿أَحۡصَىٰهُمۡ﴾، ﴿وَعَدَّهُمۡ﴾؟

فالجواب: أنَّ لكلٍّ لفظٍ توحيد، وتأويل جمع، فالتَّوحيدُ محمولٌ على اللَّفظِ، والجمعُ مصروفٌ إلى التَّأويلِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾[مريم: ٩٦- ٩٨].

قوله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: نزلت في عليٍّ ﷺ، وقال معناه: يحبُّهم ويحببهم إلى المؤمنين[١].

قال قتادةُ: يجعل لهم ودًّا في قلوبِ المؤمنين[٢].

ومن هذا حديثِ أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَوَاتِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُلْقَى حُبُّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُحَبُّ**»، وذكر في

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٦٥٥)، وفي الأوسط (٥٥١٦) من طريق بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، به، وبشر بن عمارة الخثعمي؛ ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤٣) بلفظ: «إِي وَاللهِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ».

[٥٣٠/ب] البُغض مثل ذلك(١).

وقال هرمُ بنُ حيَّان: ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله ﷻ، إلَّا أقبل الله ﷻ بقلوبِ أهلِ الإيمانِ إليه، حتَّى يرزقه مودَّتهم ورحمتهم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآن.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي، سهَّلناه، وأنزلناه بلغتك(٢).

واللُّدُّ: جمع أَلَدَّ، وهو الخَصِمُ الجَدِل.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ هذا تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: هل ترى، يقال: هل أحسست صاحبك، أي: هل رأيته؟ والرِّكز: الصوتُ؛ الخفيُّ(٣).

وقال ابنُ قُتيبةَ: الصَّوتُ الذي لا يفهم(٤).

وقال أبو صالحٍ: حركةٌ، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) بلفظ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ».

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٧).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قولـه تعـالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[طـه: ١ - ٨].

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم.

وفي سبب نزول ﴿طه﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدهـا: أنَّ رسـولَ الله ﷺ كان يـراوح بـين قدميـه، يقـوم عـلى رجـلٍ، حتَّـى نزلـت هـذه الآيـةُ، قالـه عـليٌّ رضي الله عنه[١].

والثـاني: أنَّ رسـولَ الله ﷺ لمـا نـزل عليـه القـرآن صـلَّى هـو وأصحابـه فأطـال القيـام، فقالـت قريـش: مـا أنـزل الله هـذا القـرآن عـلى محمَّـدٍ إلَّا ليشـقى، فنزلـت هـذه الآيـةُ، قالـه الضَّحـاكُ[٢].

والثالـث: أنَّ أبـا جهـلٍ، والنَّضرُ بـنُ الحـارثِ، والمطعـمُ بـنُ عـديٍّ، قالوا لرسـولِ الله ﷺ: إنَّـك لتشـقى بـترك ديننـا، فنزلـت هـذه الآيـةُ، قاله مُقاتـلٌ[٣].

---

(١) رواه البزار في مسنده (٩٢٦) من طريق يزيد بن بلال، عن علي كانَ النَّبيُّ ﷺ: يُرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ يَقُومُ عَلَى كُلِّ رِجْلٍ حتى نزلت: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ وحسَّنه السيوطي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٥٥٠)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠).

وفي ﴿طه﴾ قراءات:

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: ﴿طه﴾ بفتح الطَّاءِ والهاءِ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسر الطَّاءِ والهاءِ.

وقرأ نافعٌ: «طه» بين الفتحِ والكسرِ، وهو إلى الفتح أقربُ؛ كذلك قال خلفٌ عن المسيبي.

وقرأ أبو عمرٍو: بفتح الطاءِ وكسر الهاءِ، وروى عنه عباسٌ مثل حمزة[1].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رزينٍ العقيليُّ، وسعيدُ بنُ المسيبِ، وأبو العالية: بكسرِ الطَّاءِ وفتح الهاءِ[2].

وقرأ الحسنُ: «طَهْ» بفتح الطَّاءِ وسكونِ الهاءِ[3].

وقرأ الضَّحاكُ، ومُورِّق: «طِهْ» بكسر الطَّاء وسكونِ الهاء[4].

واختلفوا في معناها على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ معناها: يا رجل، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، [وعطاءٌ][5]، وعكرمةُ.

واختلف هؤلاء بأيِّ لغة هي، على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: بالنبطيَّة، رواه عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بن جبيرٍ في روايةٍ، والضَّحاكُ.

(١) السبعة (ص:٤١٦)، والحجة (٥/ ٢١٧)، والتيسير (ص: ١٥٠).

(٢) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، والكامل (١/ ٥٩٧) وزاد أبا حنيفة، وورشًا.

(٤) في المحتسب (٢/ ٤٧)، والمحرر (٤/ ٣٧) عن الضحاك، ومورق: «طَاوِي».

(٥) زيادة من (س).

والثاني: بلسان علكٍّ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: بالسريانيَّة، قاله عكرمةُ في روايةٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ، وقتادةُ.

والرابع: بالحبشيَّة، قاله عكرمةُ في روايةٍ.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى.

والثاني: أنَّها حروفٌ من أسماء.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنَّها من أسماءِ الله تعالى.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنَّ الطاءَ من اللَّطيف، والهاء من الهادي، قاله ابنُ مسعودٍ، وأبو العالية.

والثَّاني: أنَّ الطَّاء افتتاح اسمه طاهرٌ وطيِّبٌ، والهاء افتتاح اسمه هادي، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ. [٥٣١/أ]

والقول الثَّاني: أنَّها من غير أسماءِ الله تعالى.

ثمَّ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الطاءَ من طابة، وهي مدينةُ رسول الله ﷺ، والهاءُ من مكَّة، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

والثاني: أنَّ الطاءَ: طرب أهل الجنَّةِ، والهاء: هوان أهل النَّارِ.

والثالث: أنَّ الطاءَ في حساب الجمل تسعةٌ، والهاء خمسةٌ، فتكون أربعة عشر، والمعنى: يا أيها البدر ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾، حكى القولين الثَّعلبيُّ[١].

---

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٤٩٣).

والثالث: أنَّه قسمٌ أقسم الله به، وهو من أسمائِهِ، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

وقد شرحنا معنى كونه اسماً في فاتحة مَرْيَمَ.

وقال القرظيُّ: أقسم الله بطَوْله وهدايته[١]، وهذا القولُ قريبُ المعنى من الذي قبله.

والرابع: أنَّ معناه: طأ الأرض بقدميك، قاله مُقاتلُ بنُ حيَّان.

ومعنى قوله: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لتتعب وتبلغ من الجهدِ ما قد بلغت، وذلك أنَّه اجتهد في العبادة وبالغ، حتَّى إنَّه كان يراوح بين قدميه لطولِ القيامِ، فأُمر بالتَّخفيف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾.

قال الأَخفشُ: هو بدلٌ من قوله: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾، ما أنزلناه إلَّا تذكرةً، أي: عظةً.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع العليا، تقول: سماء عُليا، وسماوات عُلا، مثل الكبرى، والكبر[٢].

فأما ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ فهو الترابُ النَّدي.

والمفسِّرون يقولون: أراد الثرى الذي تحت الأرض السابعة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: ترفع صوتك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾

---

(١) أورده البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٠).

والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصَّوتِ، فإنَّ الله يعلمُ السرَّ.

وفي المراد بـ﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ السرَّ: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعد وسيكون، رواه جماعةٌ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحاكُ.

والثاني: أنَّ السِّرَّ: ما حدَّثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: أنَّ السِّرَّ: العمل الذي يسره الإنسانُ من النَّاس، وأخفى منه: الوسوسة، قاله مجاهدٌ.

والرابع: أنَّ معنى الكلام: يعلم إسرار عبادِهِ، وقد أخفى سرَّه عنهم فلا يعلم، قاله زيدُ بنُ أسلم، وابنه.

والخامس: يعلم ما أسرَّه الإنسان إلى غيرِهِ، وما أخفاه في نفسِهِ، قاله الفرَّاءُ[١].

قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قد شرحناه في الأعراف[٢].

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ
يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ
فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا
يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[طه: ٩-١٦].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٨٠).



قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ هذا استفهام تقرير، ومعناه: وقد أتاك.

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: وهذا معروفٌ عند اللُّغويين أن تأتي هل معبرة عن قد، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»[١] يريد: قد بلغت.

قال وهبُ بنُ منبِّهٍ: استأذن موسى شعيبًا عليهما السلام في الرُّجوع إلى والدته، فأذن له فخرج بأهله فولد له في الطريق في ليلة شاتية، فقدح فلم يُوْرِ الزِّناد، فبينا هو في مُزاولة ذلك، أبصر نارًا من بعيدٍ عن يسار الطريق، وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في كتاب «الحدائق» فكرهنا إطالة [٥٣١/ب] التَّفسير بالقصص، لأنَّ غرضنا الاقتصار على التَّفسير ليسهل حفظه.

قال المفسِّرون: رأى نورًا، ولكن أخبر بما كان في ظنِّ موسى.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأته ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أي: أقيموا مكانكم.

وقرأ حمزةُ: «لأهلهُ امكثوا» بضمِّ الهاء هاهنا، وفي القصص ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾[٢].

---

(١) يُشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي في البخاري(١٧٣٩)، ومسلم (٢٢١)قال: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»... الحديث.

(٢) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢٢٠)، والتيسير (ص: ١٥٠).

قال الفَرَّاءُ: إنِّي وجدتُ، يقال: هل آنست أحدًا، أي: وجدت[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿ءَانَسۡتُ﴾ بمعنى أبصرت[٢].

فأمَّا القبس، فقال الزَّجَّاجُ: هو ما أَخَذْتَه من النَّار في رأسِ عودٍ أو في رأس فتيلةٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾.

قال الفَرَّاءُ: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدرِ[٤].

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: يجوز أن تكون «على» هاهنا بمعنى عند، وبمعنى مع، وبمعنى الباء.

وذكر أهل التَّفسير أنَّه كان قد ضلَّ الطَّريق، فعلم أنَّ النَّار لا تخلو من مُوقِدٍ.

وحكى الزَّجَّاجُ: أنه ضلَّ عن الماءِ، فرجا أن يجد من يهديه الطَّريق أو يدله على الماءِ[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ يعني: النَّار ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ إنَّما كرَّر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيقِ المعرفةِ وإزالة الشُّبهة، ومثله ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الحجر: ٨٩].

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: «أَنِّيَ» بفتح الألف والياء.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).



وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «إِني» بكسرِ الألفِ، إلَّا أنَّ نافعًا فتح الياءَ[1].

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ: «أَنِّي أنا» بالفتح، فالمعنى: نودي بأنِّي أنا ربك، ومَن قرأ بالكسرِ، فالمعنى: نودي يا موسى، فقال الله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ في سبب أمرِه بخلعهما قولان:

أحدهما: أنَّهما كانا من جلد حمارٍ ميِّتٍ، رواه ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ[3]، وبه قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه، وعكرمةُ.

والثاني: أنَّهما كانا من جلد بقرةٍ ذُكِّيت، ولكنَّه أمر بخلعهما ليباشر تراب الأرضِ المقدَّسةِ، فتناله بركتها، قاله الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في المائدةِ[4]

---

(١) الحجة (٥/ ٢١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

(٣) ضعيف جدًّا. رواه الترمذي (١٧٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩٨٣)، والبزار في مسنده (٢٠٣١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨١) من طريق خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ، وَجُبَّةُ صُوفٍ، وَكُمَّةُ صُوفٍ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ**».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج. وحميد: هو ابن علي الكوفي منكر الحديث.أهـ

(٤) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٢١).

عند قوله: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «طُوى» و«أنا» غير مُجْراة.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «طُوى» مُجْراة، وكلُّهم ضمَّ الطَّاء[1].

وقرأ الحسنُ، وأبو حيوةَ «طِوًى» بكسر الطَّاء مع التنوينِ[2].

وقرأ عليُّ بنُ نصرٍ عن أبي عمرٍو: «طِوى» بكسر الطَّاءِ من غير تنوينٍ[3].

قال الزَّجَّاجُ: في ﴿طُوًى﴾ أربعة أوجهٍ:

«طُوى»[4]، بضمِّ أوَّله من غير تنوينٍ وبتنوينٍ، فمن نوَّنه، فهو اسمٌ للوادي، وهو مذكَّرٌ سمِّي بمذكَّرٍ على فُعَل نحو حُطَمٍ وصُرَدٍ، ومن لم ينوِّنه ترك صرفه من جهتين:

إحداهما: أن يكون معدولًا عن طاوٍ، فيصير مثل عمر المعدول عن عامرٍ، فلا ينصرفُ كما لا ينصرفُ عمر.

والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعةِ، كقوله: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] وإذا كسر ونوِّن فهو مثل مِعىً.

(١) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢١٩)، والتيسير (ص: ١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) في التحصيل (٤/ ٣٠٦) عن الحسن، وعكرمة، والأعمش.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) من قوله: (بكسر الطاء من غير تنوين)... إلى هنا، سقط من (س).

[٥٣٢/أ] والمعنى: المقدَّس مرَّة بعد مرَّة، كما قال عديُّ بنُ زيدٍ[من الطويل][1]:

أَعَاذِلَ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوًى مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ

أي: اللَّوم المكرَّر عليَّ، ومن لم ينوِّن جعله اسماً للبقعةِ.

وللمفسِّرين في معنى ﴿طُوًى﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اسمُ الوادي، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ معنى ﴿طُوًى﴾: طأِ الوادي، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وعن مجاهدٍ كالقولين.

والثالث: أنه قُدِّس مرَّتين، قاله الحسنُ، وقتادةُ[2].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ أي: اصطفيتك.

وقرأ حمزةُ، والمُفَضَّلُ: «وأنَّا» بالنُّون المشدَّدة «اخترناك» بألفٍ[3].

﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: للذي يُوحى.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: الاستماعُ هاهنا محمولٌ على الإنصاتِ، المعنى: فأنصت لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ أي: وحدني.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أقم الصَّلاة متى ذكرت أنَّ عليك صلاة، سواء كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين.

(١) البيت في ديوانه (ص: ١٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٩)، ولسان العرب (١٤/ ١٢١) (ثني).

(٢) من قوله: (وللمفسرين في معنى ﴿طُوًى﴾ ثلاثة أقوال)... إلى هنا، سقط من (س).

(٣) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢٢١)، والمبسوط (١/ ٢٩٣).

وروى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1].

والثاني: أقم الصَّلاة لتذكرني فيها، قاله مجاهدٌ.

وقيل: إنَّ الكلام مردودٌ على قوله: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾، فيكون المعنى: فاستمع لما يوحى، واستمع لذكري.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «وأقم الصلاة للذِّكرى» بلامين وتشديد الذَّال[2].

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ أكثر القرَّاء على ضمِّ الألفِ.

ثمَّ في معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ في آخرين.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ: «أكاد أخفيها من نفسي»[3].

قال الفَرَّاءُ: المعنى: فكيف أظهركم عليها.

قال المبرِّدُ: وهذا على عادة العرب، فإنَّهم يقولون إذا بالغوا في كتمانِ الشَّيء: كتمته حتَّى من نفسي، أي: لم أطلع عليه أحدًا[4].

---

(١) البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٨٩) عن النبي ﷺ، وأبي عبد الرحمن، وفي التحصيل (٤/ ٣٠٧) عن ابن عباس، والزهري، وغيرهما.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، ومعاني القرآن (٢/ ١٧٦): «أكاد أُخْفِيها من نفسي فكيف أُظهركم عليها» عن أبي بن كعب.

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٧٦).

والثاني: أنَّ الكلام تمَّ عند قوله: أكاد، وبعده مضمر تقديره: أكاد آتي بها، والابتداء: أخفيها.

قال ضابئ البُرْجمي[من الطويل](١):

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ

أراد: كدت أفعل.

قال الشاعر:

كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إرادَةٍ لَوْ عَادَ مِن لَهْوِ الصَّبابَةِ مَا مَضَى

معناه: أَرَادَتْ وأردتُ، ذكرهما ابنُ الأَنبَارِيِّ.

فإن قيل: فما فائدةُ هذا الإخفاء الشَّديد؟

فالجواب: أنَّه للتحذير والتَّخويف، ومَن لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان أشد حذرًا.

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وعروةُ بنُ الزبير، وأبو رجاءٍ العطارديُّ، وحميدُ بنُ قيسٍ، «أَخْفيها» بفتح الألفِ(٢).

[٥٣٢/ب] قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: أكاد أظهرها، قال امرؤ القيس [من المتقارب](٣):

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدِ

(١) في حماسة البحتري (ص: ١١)، والشعر والشعراء (١/ ٣٥٨)، ولسان العرب (٥/ ١٢٥)، وخزانة الأدب (٩/ ٣٢٣ـ٣٢٧).

(٢) عن أبي الدرداء، وسعيد بن جبير في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، وزاد في التحصيل (٤/ ٣٠٧) مجاهدًا، والحسن.

(٣) في ديوانه (ص: ١٨٦)، ولسان العرب (١٤/ ٢٣٤)، وتاج العروس (خفي).

أي: إن تدفنوا الدَّاء لا نظهره.

قال: وهذه القراءةُ أبين في المعنى، لأنَّ معنى أكاد أظهرها: قد أخفيتها وكدت أظهرها[١].

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل، و﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾، ﴿لِتُجْزَىٰ﴾، ويجوز أن يكون على ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ[٢]﴾ لتجزى.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمانِ بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ أي: من لا يؤمن بكونها؛ والخطاب للنَّبيِّ ﷺ خطابٌ لجميع أمَّته، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: مراده وخالف أمر الله ﷻ، ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ أي: فتهلك.

قال الزَّجَّاجُ: يقال ردي يردى: إذا هلك[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ١٧- ٢٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٣).

(٢) قوله: (لذكري) من (س).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿تِلْكَ﴾ اسمٌ مبهم يجري مجرى التي، والمعنى ما التي بيمينك[١].

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ التوكؤ: التحاملُ على الشَّيءِ ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: أضربُ بها الشَّجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي[٢].

قال الزَّجَّاجُ: واشتقاقه من أنِّي أحيل الشَّيء إلى الهشاشة والإمكانِ[٣].

والمآرب: الحاجات، واحدها: مَأْرُبَة، ومَأْرَبَة.

وروى قتيبةُ، وورشٌ: «مآرب» بإمالة الهمزةِ[٤].

فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: وما تلك بيمينك وهو يعلم؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ لفظه لفظ الاستفهام، ومجراه مجرى السؤالِ، ليجيب المخاطب بالإقرار به، فتثبت عليه الحُجَّة باعترافه فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلامِ أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء، فتضع عليه شيئًا من الصَّبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنَّه ماءٌ؟ فتثبت عليه الحجَّة، هذا قولُ الزَّجَّاج[٥].

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٥٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

(٤) المبسوط (١/ ٣٠٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

فعلى هذا تكون الفائدةُ أنَّه قرَّر موسى أنها عصاً لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حيَّة، فوقع المعجز بها بعد التثبُّت في أمرِها.

والثاني: أنَّه لما اطَّلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبةِ والإجلال حين التكليم، أراد أن يؤانسه ويخفِّف عنه ثقل ما كان به من الخوفِ، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

فإن قيل: قد كان يكفي في الجوابِ أن يقول: هي عصاي، فما الفائدة في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ إلى آخر الكلامِ، وإنَّما يشرح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ:

أحدها: أنَّه أجاب بقوله: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾، فقيل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جوابًا عن سؤال ثانٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ ووهبٌ.

والثاني: أنَّه إنَّما أظهر فوائدها، وبيَّن حاجته إليها، خوفًا من أن يأمره بإلقائها كالنَّعلين، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثالث: أنَّه بيَّن منافعها لئلا يكون عابثًا بحملها، قاله الماوَرديُّ[1].

فإن قيل: فلم اقتصرَ على ذكر بعض منافعها ولم يطل الشَّرح؟

فعنه ثلاثة أجوبةٍ:

أحدها: أنَّه كره أن يشتغل عن كلامِ الله بتعداد منافعها. [٥٣٣/أ]

والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التَّعداد.

والثالث: أنَّه اقتصر على اللَّازمِ دون العارض.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٣٩٩).

وقيـل: كانـت تـضيء لـه بالليـل، وتدفـع عنـه الهـوام، وتثمـر لـه إذا اشـتهى الثـمار.

وفي جنسها قولان:

أحدهما: أنَّها كانت من آس الجنَّة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّها كانت من عوسجٍ.

فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: ﴿أُخۡرَىٰ﴾، ولم يقل: «أخر»؟

فالجـواب: أنَّ المـآرب في معنـى جماعـة، فكأنَّـه قـال: جماعـة مـن الحاجات أخرى، قالـه الزَّجَّـاجُ[1].

قولـه تعـالى: ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ قـال المفسِّرون: ألقاهـا، ظنًّـا منـه أنَّـه قـد أمـر برفضِهـا، فسـمع حسًّـا فالتفـت فـإذا هـي كأعظـم ثعبـان تمـرُّ بالصَّخرة العظيمـة فتبتلعهـا، فهـرب منهـا.

وفي وجه الفائدةِ في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان:

أحدهما: لئلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون.

والثـاني: ليريـه أنَّ الـذي أبعثـك إليـه دون مـا أريتـك، فكـما ذللـت لـك الأعظـم وهـو الحيَّـة، أذلـل لـك الأدنـى.

ثـمَّ إنَّ الله تعـالى أمـره بأخذهـا وهـي عـلى حالهـا حيَّـة، فوضـع يـده عليهـا فعـادت عصـا، فذلـك [قولـه][2]: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: طريقتها، يقول: نردُّها عصىً كما كانت[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

(٢) ليست في الأصل، و(ر)، وهي من (س).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٧٧).

قال الزَّجَّاجُ: ﴿سِيرَتَهَا﴾ منصوبة على إسقاط الخافض وإفضاء الفعلِ إليها، المعنى: سنعيدها إلى سيرتها(١).

فإن قيل: إنَّما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مرَّة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنَّه يقول في الأعراف: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، وهاهنا: حيَّةٌ، وفي مكان آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟

فالجواب: أنَّ صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثُّعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحيَّة اسم يقع على الصغير والكبير والذكر والأنثى.

وقال الزَّجَّاجُ: خلقها خلق الثعبان العظيمِ، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجانِّ وخفته.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: الجناح من أسفل العضد إلى الإبطِ(٢).

وقال أبو عُبيدةَ: الجناح ناحية الجنب، وأنشد [من الرجز](٣):

أَضُمُّهُ لِلصَّدْرِ وَالْجَنَاحِ ....

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: من غير برصٍ ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: دلالة على صدقك سوى العصا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٨)، وتفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩)، والمحرر الوجيز (٤/ ٤٢).

قال الزَّجَّاجُ: ونصب آية على معنى: آتيناك آية، أو نؤتيك[١].

قوله تعالى: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ إن قيل: لم لم يقل: الكبر؟.

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنَّه كقوله: ﴿ مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ وقد شرحناه، هذا قول الفرَّاء[٢].

والثاني: أنَّ فيه إضماراً تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى.

وقال أبو عُبيدةَ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا[٣].

والثالث: إنَّما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثَّعلبيُّ[٤].

قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾[طـه: ٢٤- ٣٥].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ أي: جاوز الحدَّ في العصيان.

[٥٣٣/ب] قوله تعالى: ﴿ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ قال المفسِّرون: ضاق موسى صدرًا بما كلِّف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسِّع قلبه للحقِّ حتَّى لا يخاف فرعون وجنوده.

ومعنى قوله: ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾: أي: سهِّل عليَّ ما بعثتني له.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨).

(٤) الكشف والبيان (١٧/ ٥٢٣).

﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: كانت فيه رُتَّةٌ(١).

قال المفسِّرون: كان فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغيرٌ، فمدَّ لحية فرعون بيدِه، فهمَّ أن يقتله، فقالت له آسيةُ: إنَّه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدِّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنَّه يعقل، فأخذ موسى جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة، فسأل حلَّها ليفهموا كلامه.

وأما الوزير، فقال ابنُ قُتيبةَ: أصل الوِزَارة من الوِزْر وهو الحِمْلُ، كأن الوزير قد حمل عن السُّلطان الثِّقل(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: اشتقاقه من الوَزَر، والوَزَر: الجبلُ الذي يُعتصم به ليُنجى من الهلكةِ، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه(٣).

ونصب ﴿ هَٰرُونَ ﴾ من جهتين:

إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدَّى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فينتصب ﴿وَزِيرٗا﴾ على أنَّه مفعولٌ ثانٍ.

ويجوز أن يكون ﴿ هَٰرُونَ ﴾ بدلًا من قوله: ﴿وَزِيرٗا﴾، فيكون المعنى: اجعل لي وزيرًا من أهلي، ثمَّ أبدل ﴿ هَٰرُونَ ﴾ من ﴿وَزِيرٗا﴾، والأوَّل أجود.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٧٨)، وقال في لسان العرب (٢/ ٣٣): «الرُّتَّة، بِالضَّمِّ: عَجَلة فِي الْكَلَامِ، وقِلَّة أَناةٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَقْلِبَ اللَّامَ يَاءً».

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٧).

قال الماوَرديُّ: وإنَّما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيرًا؛ لأنَّه لم يُرد أن يكون مقصورًا على الوزراة حتَّى يكون شريكاً في النبوَّة، ولو لا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألةٍ(١).

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو بفتح ياء «أَخيَ»(٢).

قوله تعالى: ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾.

قال الفَرَّاءُ: هذا دعاء من موسى، والمعنى: اشدد به يا رب أزري، وأشركه يا رب في أمري(٣).

وقرأ ابنُ عامرٍ: «أَشْدِد» بالألف مقطوعة مفتوحة، «وأُشركه» بضمِّ الألف، وكذلك يبتدئ بالألفين(٤).

قال أبو عليٍّ: هذه القراءةُ على الجواب والمجازاة، والوجه الدُّعاء دون الإخبار، لأنَّ ما قبله دعاء، ولأنَّ الإشراك في النبوَّة لا يكون إلَّا من الله ﷻ(٥).

قال ابنُ قُتيبةَ: والأزر: الظهر، يقال: آزرت فلانًا على الأمرِ، أي: قويته عليه وكنت له فيه ظهرًا(٦).

قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ أي: في النبوَّة معي ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ ﴾ أي: نصلِّي لك ﴿ وَنَذۡكُرَكَ ﴾ بألسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نعمك

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٠١).

(٢) السبعة (ص:٤١٨)، والمبسوط (١/ ٢٩٤)، والحجة (٥/ ٢٢١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٤) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢٢١)، والمبسوط (١/ ٢٩٤).

(٥) الحجة (٥/ ٢٢٢).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالماً إذ خصصتنا بهذه النعم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾[طـه: ٣٦- ٤٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: طلبك، وهو فعل من سألت، أي: أعطيت ما سألت(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمنا عليك ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ قبل هذه المرَّة.

ثم بيَّن متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: ألهمناها ما يلهم مما كان سببًا لنجاتك، ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ وقذف الشَّيء: الرَّمي به.

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ وقد علم ذلك؟ [٥٣٤/أ]

فقد ذكر عنه ابنُ الأنبَارِيِّ جوابين:

أحدهما: أنَّ المعنى: أوحينا إليها الشَّيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنَّها ليست بنبي، وذلك أنَّها ألهمت.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).



والثاني: أنَّ ما يوحى أفاد توكيدًا، كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾.

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: ظاهر هذا الأمرِ، ومعناه معنى الخبر، تأويله: يلقيه اليم، ويجوز أن يكونَ البحر مأمورًا بآلة ركَّبها الله تعالى فيه، فسمع وعقل، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار.

فأما السَّاحل، فهو: شطُّ البحر.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني: فرعون.

قال المفسِّرون: اتَّخذت أمه تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكمت بالقار شقوق التَّابوت، ثم ألقته في النِّيل، وكان يشرع منه نهرٌ كبيرٌ في دار فرعون، فبينا هو جالسٌ على رأس البركة مع امرأته آسية، إذا بالتَّابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذِهِ، فلما فتحوه رأوا صبيًّا من أصبح النَّاس وجهاً؛ فلـمَّا رآه فرعون أحبَّه حبًّا شديدًا، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

قال أبو عُبيدةَ: ومعنى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾ أي: جعلت لك محبَّة مني[(١)].

قال ابنُ عبَّاسٍ: أحبَّه وحبَّبه إلى خلقه، فلا يلقاه أحدٌ إلا أحبَّه من مؤمنٍ وكافرٍ[(٢)].

وقال قتادةُ: كانت في عينيه ملاحة، فما رآه أحدٌ إلَّا أحبَّه[(٣)(٤)].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٩).

(٢) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٥٦٧).

(٣) في الأصل، و(ر): (حبَّه)، والمثبت من (س).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٨٠) من طريق خليد بن دعلج، به بلفظ: «حلاوة فِي عَيْنَي مُوسَى لم ينظر إِلَيْهِ خلق إِلَّا أحبه».

قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾.

وقرأ أبو جعفرٍ: «ولْتُصنعْ» بسكون اللَّام والعين والإدغام(١).

قال قتادةُ: لتُغذى على محبَّتي وإرادتي(٢).

قال أبو عُبيدةَ: على ما أريد وأحب(٣).

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: هو من قولِ العرب: غذي فلان على عيني، أي: على المحبَّة منِّي.

وقال غيره: لِتُربَّى وتُغذَّى بمرأىً منِّي، يقال: صنع الرجل جاريته: إذا ربَّاها؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولتصنع على عيني، قدَّرنا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ لأنَّ هذا كان من أسبابِ تربيته على ما أراد الله ﷻ.

فأمَّا أخته، فقال مُقاتلٌ: اسمها مريم(٤).

قال الفَرَّاءُ: وإنَّما اقتصر على ذكر المشي، ولم يذكر أنَّها مشت حتَّى دخلت على آلِ فرعون فدلَّتهم على الظِّئْر، لأنَّ العرب تجتزئ بحذف كثيرِ من الكلام، وبقليله، إذا كان المعنى معروفًا، ومثله قوله: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥]، ولم يقل: فأرسل حتَّى دخل على يوسفَ(٥).

---

(١) في الكامل (١/ ٥٩٧) شيبة، والمفضل عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٧١)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٦/ ٥٩) من طريق معمر، به، بنحوه.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٩).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).



قال المفسِّرون: سبب مشي أخته أنَّ أمَّه قالت لها: قُصِّيه، فاتَّبعَتْ موسى على أثر الماءِ، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأةٍ، فقالت لهم أخته: هل أدلُكم على مَن يكفله أي: يرضعه ويضمُّه إليه، فقيل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبنٌ؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنَّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت بالأمِّ فقبِل ثديها، فذلك قوله: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أي: رددناك إليها ﴿كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ بك وبرؤيتك. [٥٣٤/ب]

﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقضى عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقتل به، فنجَّاه الله بأن هرب إلى مدين.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: اختبرناك اختباراً، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أخلصناك إخلاصاً، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ.

والثالث: ابتليناك ابتلاء، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ.

وقال الفَرَّاءُ: ابتليناك بغمِّ القتيل ابتلاءً[1].

وروى سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: الفتون: وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أوَّلها أنَّ أمَّه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثمَّ إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلَّا من ثدي أمه، ثم جرُّه لحية فرعون حتَّى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدُّرَّة،

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).

ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدينَ خائفًا.

وكان ابنُ عبَّاسٍ يقص هذه القصص على سعيد بنِ جبيرٍ، ويقول له عند كل ثلاثة: وهذا من الفتون يا ابن جبير[١]، فعلى هذا يكون فتناك خلَّصناك من تلك المحن كما يفتن الذَّهب بالنَّار فيخلص من كلِّ خبثٍ. والفتون: مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ تقدير الكلام: فخرجت إلى أهل مدين.

ومدين: بلد شعيب، وكان على ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى.

وقيل مدين اسمُ رجلٍ، وقد سبق هذا[٢].

وفي قدر لبثه هناك قولان:

أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ[٣].

والثاني: ثمان وعشرون سنة، عشر منهنَّ مهر امرأته، وثمان عشرة أقام حتَّى ولد له، قاله وهبٌ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: جئت لميقاتٍ قدَّرته لمجيئك قبل خلقك، وكان ذلك على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يُوحى فيه إلى الأنبياءِ، هذا قول الأكثرين.

وقال الفَرَّاءُ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: على ما أراد الله به من تكليمه[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).



قولــه تعــالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِى﴾ أي: اصطفيتــك واختصصتــك، والاصطنــاع: اتِّخــاذ الصنيعــة، وهــو الخــيرُ تســديه إلى إنســانٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: اصطفيتك لرسالتي ووحيي[1].

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى﴾ **وفيها ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها العصا واليد، وقد يذكر الاثنان بلفظ الجمعِ.

والثــاني: العصــا واليــد وحــل العقــدة التــي مــا زال فرعــون وقومــه يعرفونهــا، ذكرهمــا ابــنُ الأنبــارِيِّ.

والثالث: الآيات التِّسع، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾.

قــال ابــنُ قُتيبــةَ: لا تضعفــا ولا تفــترا؛ يقــال: وَنَــى في الأمــرِ يَنِــي؛ وفيــه لغــةٌ أخــرى: وَنِي يَوْنَــى[2].

وفي المرادِ بالذِّكر هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّه الرِّسالة إلى فرعون.

والثاني: أنَّه القيام بالفرائض والتسبيح والتَّهليل.

قولــه تعــالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِىَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٩).

عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[طـه: ٤٣- ٤٨].

قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذَّهاب: التوكيد. [٥٣٥/أ]

وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[طه: ٢٤]

قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾.

وقرأ أبو عِمرانَ الجونيُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «لَيْنًا» بإسكان الياء، أي: لطيفًا رفيقًا[١].

وللمفسِّرين فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: قولا له: قل: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، رواه خالدُ بنُ معدانَ عن معاذٍ، والضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مُقاتلٌ[٢].

والثالث: كنِّياه، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

فأمَّا اسمه، فقد ذكرناه في البقرة[٣].

وفي كنيته أربعة أقوالٍ:

أحدها: أبو مرَّة، رواه عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

والثالث: أبو العبَّاس.

---

(١) عن أبي معاذ في مختصر ابن خالويه (ص:٩٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤٩).



والرابع: أبو الوليد، حكاهما الثَّعلبيُّ[١].

والقول الرابع: قولا له: إنَّ لك ربًّا، وإنَّ لك معادًا، وإنَّ بين يديك جنَّةً ونارًا، قاله الحسنُ.

والخامس: أنَّ القول اللَّين: أنَّ موسى أتاه، فقال له: تؤمن بما جئت به وتعبد ربَّ العالمين، على أنَّ لك شبابك فلا تهرم، وتكون مَلِكًا لا ينزع منك حتَّى تموت، فإذا متَّ دخلت الجنَّة، فأعجبه ذلك؛ فلما جاء هامان، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنت أرى أنَّ لك رأيًا، أنت ربٌّ أردت أن تكون مربوبًا؟ فقلبه عن رأيه، قاله السُّدِّيُّ.

وحكي عن يحيى بن معاذٍ أنَّه قرأ هذه الآية، فقال: إلهي، هذا رفقك بمن يقول: أنا إله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت إلهي[٢].

قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لعلَّ في اللُّغة: ترجٍّ وطمع، تقول: لعلِّي أصير إلى خيرٍ، فخاطب الله ﷻ العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه: اذهبا على رجائكما وطمعكما، والعلم من الله تعالى من وراء ما يكون، وقد علم أنَّه لا يتذكر ولا يخشى، إلَّا أنَّ الحجَّة إنَّما تجب عليه بالآية والبرهان، وإنَّما تبعث الرُّسل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها، أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم، ومعنى «لعلَّ» متصوَّر في أنفسهم، وعلى تصوُّر ذلك تقوم الحُجَّةُ[٣].

---

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٩٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٧).

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: ومذهبُ الفَرَّاء في هذا: كي يتذكَّر.

وروى خالدُ بنُ معدانَ عن معاذٍ قال: والله ما كان فرعون ليخرج من الدُّنيا حتَّى يتذكَّر أو يخشى لهذه الآية، وإنَّه تذكَّر وخشي لما أدركه الغرقُ.

وقال كعبٌ: والذي يحلف به كعبٌ، إنَّه لمكتوبٌ في التَّوراة: فقولا له قولًا ليناً، وسأقسي قلبه فلا يؤمنُ.

قال المفسِّرون: كان هارون يؤمئذٍ غائبًا بمصرَ، فأوحى الله تعالى إلى هارونَ أن يتلقى موسى، فتلقَّاه على مرحلةٍ، فقال له موسى: إنَّ الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألته أن يجعلك معي؛ فعلى هذا يحتمل أن يكونا حين التقيا قالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾.

قال ابنُ الأَنبَارِيِّ: ويجوز أن يكون القائل لذلك موسى وحده، وأخبر الله عنه بالتَّثنية لما ضمَّ إليه هارون، فإنَّ العرب قد توقع التَّثنية [٥٣٥/ب] على الواحد، فتقول: يا زيد قوما، يا حرسيُّ اضربا عنقه.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾.

وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وابنُ السَّمَيفَعِ، وابنُ يعمرَ، وأبو العالية: «أَن يُفْرِطَ» برفع الياءِ وكسرِ الرَّاءِ[1].

وقرأ عكرمةُ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ: «أن يَفْرَط» بفتح الياءِ والرَّاءِ[2].

وقرأ أبو رجاءٍ العُطارديُّ، وابنُ مُحيصنٍ: «أن يُفرَط» برفع الياءِ وفتح الرَّاءِ[3].

---

(١) عن ابن محيصن في مختصر ابن خالويه (ص:٩٠).

(٢) عن ابن محيصن في التحصيل (٤/ ٣٠٨) وعنه أيضًا: بضم الياء، وفتح الراء.

(٣) في المحتسب (٢/ ٥٢)، والمحرر (٤/ ٤٦)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٨) عن ابن محيصن، وعن يحيى، وأبي نوفل، وابن مسعود، والأعمش، وسلام في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

قال الزَّجَّاجُ: المعنى، أن يُبَادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمر، أي: قد بَدَرَ؛ وقد أفرط في الشَّيء: إذا سَقَط فيه؛ وفرط في الشَّيء: إذا قصر؛ ومعناه كله: التقدُّم في الشَّيء، لأنَّ الفرط في اللُّغة: المتقدم، ومنه قوله ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»[1].

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يستعصي، قاله مُقاتلٌ[2].

والثاني: يجاوز الحدَّ في الإساءةِ إلينا.

قال ابنُ زيدٍ: نخاف أن يعجل علينا قبل أن نبلغه كلامك وأمرك[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أي: بالنُّصرةِ والعونِ ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالكم ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالكم.

قال الكلبيُّ: أسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: خلِّ عنهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ وكان يستعملهم في الأعمالِ الشاقَّة، ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هي العصا.

قال مُقاتلٌ: أظهر اليد في مقامٍ، والعصا في مقامٍ[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٨)، والحديث في البخاري(٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من رواية ابن مسعود.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٦) من طريق ابن وهب، به.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٩).

قال مُقاتلٌ: على من آمن بالله(١).

قال الزَّجَّاجُ: وليس يعني به التَّحية، وإنَّما معناه: أنَّ من اتَّبع الهدى، سلم من عذاب الله وسخطه، والدَّليلُ على أنَّه ليس بسلامٍ، أنَّه ليس بابتداء لقاءٍ وخطابٍ(٢).

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٤٩- ٥٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ في الكلامِ محذوفٌ معناه معلومٌ، وتقديره: فأتياه فأدِّيا الرِّسالة.

قال الزَّجَّاجُ: و إنَّما لم يقل: فأتياه، لأنَّ في الكلامِ دليلاً على ذلك، لأنَّ قوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ يدلُّ على أنَّهما أتياه وقالا له(٣).

قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أعطى كلَّ شيءٍ صورته، فخلق كلَّ جنسٍ من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورةِ البهائمِ، وصورة البعير لا

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٨).

(٣) المصدر السابق.



كصورة الفرسِ، روى هذا المعنى الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: أعطى كل ذكرٍ زوجه، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، فيكون المعنى: أعطى كل حيوان ما يشاكله.

والثالث: أعطى كل شيءٍ ما يصلحُه، قاله قتادةُ.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ **ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: هدى كيف يأتي الذَّكر الأنثى، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال ابنُ جبيرٍ.

والثاني: هدى للمَنْكح والمطعم والمسكنِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: هدى كل شيء إلى معيشتهِ، قاله مجاهدٌ.

وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وابنُ عبَّاسٍ، والأعمشُ، وابنُ السَّمَيفَعِ، ونصير عن الكسائيِّ: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» بفتح اللام(١).

فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟

[٥٣٦/أ] **فالجواب:** أنَّه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلا بدَّ من خالقٍ وهادٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ اختلفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى على **ثلاثة أقوال:**

---

(١) عن الأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٨)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠) عن أبي نهيك، ونصير، عن الكسائي وفي التحصيل (٤/ ٣٠٨)، والمبسوط (١/ ٢٩٥) عن الكسائي.

أحدهـا: أنَّـه سـأله عـن أخبارهـا وأحاديثهـا، ولم يكـن لـه بذلـك علـمٌ، إذ التـوراة إنَّـما نزلـت عليـه بعـد هـلاك فرعـون، فقـال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾، هـذا مذهـبُ مُقاتِـلٍ[١].

وقال غيره: أراد: إنِّي رسول، وأخبار الأمم علم غيبٍ، فلا علم لي بالغيبِ.

والثـاني: أنَّ مـراده مـن السُّـؤال عنهـا: لم عبـدت الأصنـام، ولِمَ لَمْ يُعبـد الله إن كان الحـق مـا وصفـت؟

والثالـث: أنَّ مـراده: مـا لهـا لا تبعـث ولا تحاسـب ولا تجـازى؟ فقـال: علمهـا عنـد الله، أي: علـم أعمالهـا.

وقيـل: الهـاءُ في ﴿عِلْمُهَا﴾ كنايـةٌ عـن القيامـة، لأنَّـه سـأله عـن بعـث الأمـمِ، فأجابـه بذلـك.

وقوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ أراد: اللَّوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

وقـرأ عبـدُ الله بـنِ عمـرٍو، وعاصـمٌ الجحـدريُّ، وقتـادةُ، وابـنُ محيصـنٍ: «لا يُضِـل» بضـمِّ اليـاءِ وكـسر الضـادِ، أي: لا يضيعـه[٢].

وقرأ أبو المتوكِّل، وابنُ السَّمَيفَعِ: «لا يُضَل» بضمِّ الياءِ وفتح الضَّادِ[٣].

وفي هـذه الآيـة توكيـدٌ للجـزاءِ عـلى الأعـمال، والمعنـى: لا يخطـئ ربِّي ولا ينسـى مـا كان مـن أمرهـم حتَّـى يجازيهـم بأعمالهـم.

---

(١) تفسير مقاتل ين سليمان (٣/ ٢٩).

(٢) عـن ابـن كثـير، وابـن محيصـن، والحسـن، والجحـدري في التحصيـل (٤/ ٣٠٨)، وزاد في البحـر المحيـط (٧/ ٣٤٢) قتـادة، وحمـاد بـن سـلمة، وعيسـى الثقفـي.

(٣) عن الحسن والجحدري، وحماد بن سلمة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠)

وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنَّه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «مهادًا»[1].

وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألفٍ[2].

والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخل لأجلكم في الأرضِ طرقًا تسلكونها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر، وهذا آخرُ الإخبار عن موسى.

ثمَّ أخبر الله تعالى عن نفسِهِ بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ يعني: بالماءِ ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافًا مختلفة في الألوانِ والطُّعومِ، كل صنفٍ منها زوج.

و﴿شَتَّىٰ﴾ لا واحد له من لفظِهِ.

﴿كُلُوا۟﴾ أي: مما أخرجنا لكم من الثِّمارِ ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ يقال: رعى الماشية، يرعاها: إذا سرَّحها في المرعى.

ومعنى هذا الأمر: التَّذكير بالنِّعم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي: لعبرًا في اختلافِ الألوانِ والطُّعومِ ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾.

قال الفَرَّاءُ: لذوي العقول، يقال للرَّجل: إنَّه لذو نُهْية: إذا كان ذا عقلٍ[3].

قال الزَّجَّاجُ: واحد النهى: نهية، يقال: فلانٌ ذو نُهْيةٍ، أي: ذو عقلٍ

---

(١) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢٢٣)، والمبسوط (١/ ٢٩٤)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «مهاداً» بالألف فى كل القرآن.

(٢) الحجة (٥/ ٢٢٣)، وزاد في المبسوط (١/ ٢٩٤)، وروح عن يعقوب، وخلف.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٨١).

ينتهي به عن المقابح، ويدخل به في المحاسنِ؛ قال: وقال بعضُ أهل اللُّغة: ذو النهية: الذي يُنتهى إلى رأيه وعقله، وهذا حسنٌ أيضًا[1].

قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني: الأرض المذكورة في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾، والإشارة بقوله: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ إلى آدم، والبشر كلهم منه.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ أي: مرَّة ﴿أُخْرَىٰ﴾ بعد البعث، يعني: كما أخرجناكم منها أوَّلًا عند خلق آدم من الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٥٦- ٦٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ يعني: فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: التِّسع الآيات، ولم يرِ كلَّ آية لله، لأنَّها لا تحصى، ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: نسب الآيات إلى [٥٣٦/ ب] الكذبِ، وقال هذا سحرٌ ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يؤمن ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعني: مصر ﴿بِسِحْرِكَ﴾ أي: تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: فلنقابلنَّ ما جئت به من السِّحر

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٩).



بمثلـه، ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: اضرب بيننـا وبينك أجـلًا وميقاتاً ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ أي: لا نجـاوزه ﴿نَحْنُ وَلَا أَنتَ﴾.

وقيـل: المعنـى: اجعـل بيننـا وبينـك موعـدًا مكانًـا نتواعـد لحضورنـا ذلـك المـكان، ولا يقـعُ منَّـا خـلاف في حضـوره.

﴿سُوًى﴾:

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ بكسر السِّينِ.

وقـرأ ابـنُ عامـرٍ، وعاصـمٍ، وحمـزةُ، وخلـفٌ، ويعقـوبُ: ﴿سُوًى﴾ بضمِّهـا[1].

وقـرأ أُبي بـنُ كعـبٍ، وأبـو المتـوكِّل، وابـنُ أبي عبلـةَ: «مكانـاً سَـواءً» بالمـدِّ والهمـز والنَّصـب والتَّنويـن وفتح السِّـين.

وقرأ ابنُ مسعودٍ مثله، إلَّا أنَّه كسر السِّين[2].

قـال أبـو عُبيـدةَ: هـو اسـمٌ للمـكان النصـف فيـما بـين الفريقـين، والمعنى: مكانًـا تسـتوي مسـافته عـلى الفريقـين، فتكـون مسـافة كل فريـقٍ إليـه كمسـافة الفريق الآخـرِ[3].

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾:

قرأ الجمهورُ برفع الميمِ[4].

---

(١) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢١٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٢) لم أقف على هذه القراءة

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠).

(٤) المبسوط (١/ ٢٩٥).

وقـرأ الحسـنُ، ومجاهـدٌ، وقتـادةُ، وابـن أبي عبلـةَ، وهبـيرةُ عـن حفـصٍ بنصـب الميـمِ(١).

وفي هذا اليوم أربعة أقوالٍ:

أحدهـا: يـومُ عيـدٍ لهـم، رواه أبـو صالـحٍ عـن ابـن عبَّـاسٍ، والسُّـدِّيُّ عـن أشـياخه، وبـه قـال مجاهـدٌ، وقتـادةُ، وابـنُ زيـدٍ.

والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالـث: يـوم النَّـيروز، ووافـق ذلـك يـوم السَّـبت أوَّل يـومٍ مـن السـنة، رواه الضَّحـاكُ عـن ابـن عبَّـاسٍ.

والرابع: يوم سوقٍ لهم، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

وأمَّـا رفع اليوم، فقـال البصريون: التقدير: وقـتُ موعدكم ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، فنـاب الموعدُ عـن الوقت، وارتفع به مـا كان يرتفع بالوقـتِ إذا ظهر.

فأمَّـا نصبـه، فقـال الزَّجَّاجُ: المعنـى: موعدكم يقـع يَومَ الزِّينَـةِ، ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ موضـع «أن» رفـع، المعنـى: موعدكـم حـشر النَّـاس ﴿ضُحًى﴾ أي: إذا رأيتـم النَّـاس قـد حشروا ضحًـى، ويجوز أن تكـون «أن» في موضع خفـضٍ عطفًا عـلى الزِّينـة، المعنـى: موعدكـم يـوم الزِّينة ويوم حـشر النَّـاسِ ضحًى(٢).

وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ، وابـنُ يعمـرَ، وعاصـمٌ الجَحْـدري: «وأن تَحْشُر» بتـاءٍ مفتوحـةٍ ورفـع الشِّـين ونصـب «النَّـاسَ»(٣).

---

(١) قـرأ «يَـوْمَ الزِّينَـةِ» الحسـن، والأعمـش، والثقفـي، ورويـت عـن أبي عمـرو كـما في المحتسـب (٢/ ٥٣)، وانظـر: التحصيـل (٤/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٠).

(٣) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٩١) وفيهـا تصحيـف، والبحـر المحيـط (٧/ ٣٤٨) ابـن مسـعود، والجحـدري، وأبي عمـران الجـوني، وأبي نهيـك، وعمـرو بـن فائـد.



وعن ابنِ مسعودٍ، والنَّخعيُّ: «وأن يَحشُر» بالياءِ المفتوحةِ ورفع الشَّين ونصب «النَّاسَ»[١].

قال المفسِّرون: أراد بالنَّاسِ: أهلَ مصرَ، وبالضُّحى: ضحى اليوم، وإنَّما علَّقه بالضُّحى، ليتكامل ضوء الشمس واجتماع النَّاسِ، فيكون أبلغ في الحجَّة وأبعد من الرِّيبة.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: تولَّى عن الحقِّ الذي أمر به.

والثاني: أنَّه انصرف إلى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى، ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ أي: حضر الموعد.

[٥٣٧/أ] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ﴾ أي: للسَّحرة، وقد ذكرنا عددهم في الأعرافِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على ألزمكم الله ويلًا، ويجوز أن يكون على النِّداء، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ ﴾ [يس: ٥٢][٣].

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا تشركوا معه أحداً[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) عن أبي عمران النحوي، وأبي نهيك، والجحدري، وفي التحصيل (٤/ ٣٠٩) عن ابن مسعود، والجحدري.

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١١٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٠).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١١).

قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «فيَسحتكم» بفتح الياءِ، من سَحَتَ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضمِّ الياءِ، من أَسْحَتَ[١].

قال الفَرَّاءُ: ويسحت أكثر، وهو الاستئصال، والعربُ تقول: سحته الله، وأسحته، قال الفرزدق [من الطويل][٢]:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ

هكذا أنشد البيت الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

ورواه أبو عُبيدةَ: إلَّا مسحتٌ أو مجلَّفٌ بالرَّفع[٣].

قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السَّحرة تناظروا فيما بينهم في أمرِ موسى، وتشاوروا ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه.

وقيل: من موسى وهارون.

وقيل: أسرُّوا هاهنا بمعنى أظهروا.

وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال:

---

(١) السبعة (ص:٤١٩)، والحجة (٥/ ٢٢٨)، والتيسير (ص: ١٥١)، والمبسوط (١/ ٢٩٥).

(٢) في ديوانه (ص:)، ومعاني القرآن (٢/ ١٨٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦١)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٨٨٠)، ولسان العرب (٢/ ٤١)، وخزانة الأدب (١/ ٢٣٧).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢١).



أحدها: أنَّهم قالوا: إن كان هذا ساحرًا، فإنَّا سنغلبه، وإن يكن من السَّماء كما زعمتم، فله أمرُه، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحرٍ، ولكن هذا كلام الربِّ الأعلى، فعرفوا الحقَّ، ثم نظروا إلى فرعونَ وسلطانه، وإلى موسى وعصاه، فنكسوا على رؤوسهم، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، قاله الضَّحاكُ، ومُقاتلٌ.

والثالث: أنَّهم ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الآيات، قاله السُّدِّيُّ.

واختلف القُرَّاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾:

فقرأ أبو عمرو ابن العلاء: «إنَّ هذين» على إعمال «إن»، وقال: إنِّي لأستحيي من الله أن أقرأ: «إن هذان»[1].

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «إن» خفيفة «هذانِّ» بتشديد النُّون.

وقرأ عاصمٌ في رواية حفصٍ: ﴿إِنْ﴾ خفيفة ﴿هَٰذَٰنِ﴾ خفيفة أيضًا.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «إنَّ» بالتَّشديد «هاذان» بألفٍ ونونٍ خفيفة[2].

فأمَّا قراءة أبي عمرٍو، فاحتجاجه في مخالفة المصحف بما روي عن عثمانَ وعائشةَ، أنَّ هذا من غلط الكاتبِ على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في سورةِ النِّساءِ[3].

---

(١) التحصيل (٤/ ٣٢٦).

(٢) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٥/ ٢٢٩)، والمبسوط (١/ ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٦٢).

وأمَّا قراءةُ عاصمٍ، فمعناها: ما هذان إلَّا ساحران، كقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] أي: ما نظنُّك إلَّا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك [من الكامل][١]:

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا   حلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوْبَةُ المُتعمِّدِ[٢]

أي: ما قتلت إلَّا مسلمًا.

قال الزَّجَّاجُ: ويشهدُ لهذه القراءةِ، ما روي عن أُبي بن كعبٍ أنَّه قرأ: «ما هذان إلا ساحران»، وروي عنه «إن هذان إلا ساحران»، ورويت عن الخليل «إن هذان» بالتَّخفيفِ، والإجماع على أنَّه لم يكن أحدٌ أعلم [٥٣٧/ ب] بالنَّحو من الخليلِ[٣].

فأمَّا قراءة الأكثرين بتشديد «إن» وإثبات الألفِ في قوله: «هاذان» فروى عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: هي لغةُ بلحارث بن كعبٍ.

وقال ابنُ الأَنبَارِيِّ: هي لغة بني الحارثِ بن كعبٍ، ووافقتها لغة قريشٍ.

قال الزَّجَّاجُ: وحكى أبو عُبَيْدَةَ عن أبي الخطَّاب، وهو رأسٌ من رؤوس الرُّواة: أنَّها لغة لكنانة، يجعلون ألف الاثنين في الرَّفع والنَّصب والخفض على لفظٍ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا [من الطويل][٤]:

---

(١) البيت لعاتكة بنت زيد في الأغاني (١١/ ١٨)، وخزانة الأدب (١٠/ ٣٧٣)، وشرح شواهد المغني (١/ ٧١).

(٢) في الأصل: (عقوبةالرجم المتعمد)، والمثبت من (س)، و(ر) ومصادر البيت.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦١ـ ٣٦٢).

(٤) البيت للمتلمس في ديوانه (ص: ٣٤)، والحيوان (٤/ ٢٦٣)، وخزانة الأدب (٧/ ٤٨٧)،=



فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

ويقول هؤلاء: ضربته بين أُذناه.

وقال النَّحويون القدماء: هاهنا هاء مضمرة، المعنى إنَّه هذان لساحران.

وقالوا أيضًا: إن معنى «إنَّ»: نعم هذان لساحران، وينشدون [مجزوء الكامل](١):

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قدْ عَلاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ

قال الزَّجَّاجُ: والذي عندي وكنتُ عرضته على عالمنا محمَّد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حمَّاد بن زيد، فقبلاه، وذكرا أنَّه أجود ما سمعناه في هذا، وهو أن «إن» قد وقعت موقع نعم، والمعنى: نعم هذان لهما الساحران، ويلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة(٢).

وأستحسن هذه القراءة، لأنَّها مذهب أكثر القرَّاءِ، وبها نقرأ.

وأستحسن قراءة عاصمٍ، والخليل، لأنَّهما إمامان، ولأنَّهما وافقا أُبي بن كعب في المعنى، ولا أجيز قراءةَ أبي عمرٍو لخلاف المصحف.

وحكى ابنُ الأَنبَارِيِّ عن الفرَّاء قال: ألف «هذان» هي ألف هذا والنُّون فرَّقت بين الواحد والتثنية، كما فرَّقت نون الذين بين الواحد والجمعِ.

=والمؤتلف والمختلف (ص: ٧١)، وبلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ١٨٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٨).

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه (ص: ٦٦)، وشواهد سيبويه (٣/ ١٥١)، ومغني اللبيب (١/ ٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾:

قرأ أبانُ عن عاصمٍ: «ويُذهِبا» بضمِّ الياءِ وكسرِ الهاءِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وأبو رجاءٍ العُطارديُّ: «ويذهبا» «بالطَّريقة» بألفٍ ولامٍ، مع حذف الكافِ والميمِ.

وفي الطريقة قولان:

أحدهما: بدينكم المستقيم، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عبَّاسٍ.

وقال أبو عُبيدةَ: بسنَّتكم ودينكم وما أنتم عليه، يقال: فلانٌ حسنُ الطَّريقةِ[١].

والثاني: بأمثلكم، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: بأولي العقل والأشراف، والأسنانِ[٢].

وقال الشَّعبيُّ: يصرفان وجوه النَّاس إليهما[٣].

قال الفَرَّاءُ: الطريقةُ: الرِّجال الأشراف، تقول العربُ للقومِ الأشراف: هؤلاء طريقة قومهم، وطرائقُ قومهم[٤].

فأمَّا ﴿الْمُثْلَىٰ﴾ فقال أبو عُبيدةَ: هي تأنيثُ الأمثلِ، تقول في الإناث: خذ المثلى منها، وفي الذُّكور خذ الأمثل[٥].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم (١٣٤٧٤) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٤) عن علي بن أبي طالب.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٨٥).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

وقال الزَّجَّاجُ: ومعنى المثلى والأمثل: ذو الفضلِ الذي به يستحقُّ أن يقال: هذا أمثل قومِه؛ قال: والذي عندي أنَّ في الكلامِ محذوفاً، [٥٣٨/أ] والمعنى: يذهبا بأهل طريقتكم المثلى، وقول العربِ: هذا طريقة قومِه، أي: صاحب طريقتهم(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾:

قرأ الأكثرون: ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾ بقطع الألفِ من أجمعت(٢).

والمعنى: ليكن عزمُكم مجمعاً عليه، لا تختلفوا فيختل أمركم.

قال الفَرَّاءُ: والإجماعُ: الإحكام والعزيمةُ على الشَّيء، تقول: أجمعت على الخروج وأجمعتُ الخروج، تريد: أزمعت.

قال الشاعر [من الكامل](٣):

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ   هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ(٤)

يريد: قد أحكم وعزم عليه.

وقرأ أبو عمرٍو: «فَاجْمَعُوا» بفتح الميمِ من جمعت، يريد: لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلَّا جئتم به(٥).

فأمَّا كيدهم، فالمراد به: سحرهم ومكرهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٤).

(٢) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٥/ ٢٣٢)، والمبسوط (١/ ٢٦٩).

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ١٨٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٣)، والخصائص (٢/ ١٣٦)، وشواهد المغني (٢/ ٨١١)، ولسان العرب (٨/ ٥٧) (جمع)، ومغني اللبيب (٢/ ٣٨٨).

(٤) في الأصل، و(ر): (ينفع)، والمثبت من (س)، ومصادر البيت.

(٥) التحصيل (٤/ ٣٢٦).

قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ أي: مصطفـين مجتمعـين، ليكـون أنظـم لأموركـم، وأشـد لهيبتكـم.

قل أبو عُبيدةَ: ﴿صَفّٗاۚ﴾ أي: صفوفًا[١].

وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿صَفّٗاۚ﴾ بمعنى: جمعًا[٢].

قال الحسنُ: كانوا خمسة وعشرين صفًّا، كل ألف ساحرٍ صف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فاز من غلب[٣].

قولـه تعـالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طـه: ٦٥- ٧٣].

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

(٢) غريب القرآن (١/ ٢٨٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣).

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾.

قـال ابـنُ الأنبـارِيِّ: دخلـت بـل لمعنـى: جحـد في الآيـة الأولى، لأنَّ الآيـةَ الأولى إذا تُؤمِّلَـتْ وُجِـدَتْ مشـتملة عـلى: إمَّـا أن تلقـي، وإمَّـا أن لا تلقـي.

قوله تعالى: ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾.

قـرأ الحسـنُ، وأبـو رجـاءِ العُطـارديُّ، وأبـو عِمـرانَ الجُـونيُّ، وأبـو الجـوزاءِ: و«وعُصِيُّهُـمْ» برفـعِ العـينِ(١).

قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾.

وقـرأ أبـو رَزِيـنٍ العُقيـليُّ، وأبـو عبـد الرَّحمـن السُّـلميُّ، والحسـنُ، وقتادةُ، والزُّهـريُّ، وابـنُ أبي عبلـةَ: «تُخَيَّـلُ» بالتَّـاءِ «إِلَيْـهِ» أي: إلى موسـى(٢).

يقـال: خُيِّـلَ إليـه: إذا شُـبِّهَ لـه، وقـد اسـتدلَّ قـومٌ بهـذه الآيـة عـلى أنَّ السِّـحر ليـس بـشيءٍ.

وقـال: إنَّـما خيِّـل إلى موسـى، فالجـواب: أنَّـا لا ننكـر أن يكـون مـا رآه موسـى تخييـلًا، وليـس بحقيقـةٍ، فإنَّـه مـن الجائـز أن يكونـوا تركـوا الزِّئبـق في سـلوخ الحيـات حتَّـى جـرت، وليـس ذلـك بحيـات فأمَّـا السِّـحرُ، فإنَّـه يؤثِّـر، وهـو أنـواعٌ.

وقد سُحِر رسولُ الله ﷺ حتى أثَّر فيه، ولعن الْعَاضِهَةَ(٣)، وهي الساحرة.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٩١)، عن عيسى، وفي التحصيل (٤/ ٣٢٧) عن الحسن.

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٧).

(٣) جـاءت في حديـث ابـن عبـاس الـذي أخرجـه الضيـاء في المختـارة (٤١١) «لَعَـنَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْمُحِـلَّ وَالْمُحَلَّـلَ لَـهُ، وَالْوَاشِـمَةَ وَالْمُسْتَوْشِـمَةَ، وَالـرَّاشِي وَالْمُرْتَشِـي، وَالنَّامِصَـةَ وَالْمُتَنَمِّصَـةَ، وَالْوَاصِلَـةَ وَالْمُسْـتَوْصِلَةَ، وَالْعَاضِهَـةَ وَالْمُسْـتَعْضِهَةَ».

قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أضمر في نفسِهِ خوفًا[١].

وقال الزَّجَّاجُ: أصلها «خِوفة»، ولكن الواو قلبت ياءً لانكسارِ ما قبلها[٢].

وفي خوفه قولان:

أحدهما: أنَّه خوفُ الطَّبع البشري.

والثاني: أنَّه لما رأى سحرهم من جنسِ ما أراهم في العصي، خاف أن يلتبس على النَّاس أمرُهُ، ولا يؤمنوا، فقيل له: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ عليهم بالظَّفرِ والغلبةِ. وهذا أصحُّ من الأوَّلِ.

قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ يعني: العصا ﴿ تَلْقَفْ ﴾.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «تلقَّفُ» برفع الفاءِ وتشديدِ القافِ.

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ تَلْقَفْ ﴾ خفيفة، وكان ابنُ كثيرٍ يشدِّد التَّاء من «تَّلقف» يريد: تتلقَّف[٣].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو رجاءٍ: «تلقم» بالميم وقد شرحناها في الأعرافِ[٤][٥]. [٥٣٨/ ب]

﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ﴾.

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «كيد سحر».

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٣).

(٣) السبعة (ص: ٢٩٠)، والحجة (٥/ ٢٣٥)، والتيسير (ص: ١٩٢).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١١٧).

(٥) عن سعيد بن جبير في المصاحف لابن أبي داود (١/ ٢٢٢).

وقرأ الباقون: ﴿كَيْدُ سَحِرٍ﴾ بألفٍ[١].

والمعنى: إنَّ الذي صنعوا كيد ساحرٍ، أي: عمل ساحر.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجُونيُّ: «إنَّما صنعوا كيدَ» بنصب الدَّالِ[٢].

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يسعد حيثما[٣] كان[٤]، وقيل: لا يفوز.

وروى جُندبُ بنُ عبد الله البجليُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا أَخَذْتُمُ السَّاحِرَ فَاقْتُلُوهُ**»، ثمَّ قرأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، قال: «لا يأمنُ حيث وُجد»[٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وورشٌ عن نافعٍ: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ على لفظ الخبر.

وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «آمنتم له» بهمزةٍ ممدودةٍ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «أآمنتم له» بهمزتين الثَّانية ممدودةٌ[٦].

---

(١) السبعة (ص: ٤٢١)، والحجة (٥/ ٢٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٩٦).

(٢) الكامل في القراءات (١/ ١٣٤).

(٣) في (س): (حيث).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤).

(٥) بهذا اللفظ رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦)، وجاء بلفظ: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» رواه الترمذي (١٤٦٠) وضعفه.

(٦) السبعة (ص: ٤٢١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد معلمكم[١].

قال الكسائيُّ: الصَّبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه، قال: جئت من عند كبيري[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ ﴿فِي﴾ بمعنى على، ومثله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾[الطور: ٣٨] ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ أيُّها السَّحرة ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا﴾ لكم ﴿وَأَبۡقَىٰ﴾ أي: أدوم، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على ترككم الإيمان به؟ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعنون اليدَ والعصى.

فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: ﴿جَآءَنَا﴾ وإنَّما جاءت عامَّة لهم ولغيرهم.

فالجواب: أنَّهم لما كانوا بأبواب السِّحر ومذاهب الاحتيالِ أعرف من غيرهم، وقد علموا أنَّ ما جاء به موسى ليس بسحرٍ، كان ذلك في حقِّ غيرهم أبينُ وأوضحُ، وكانوا هم[٣] لمعرفته أخصُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ وجهان ذكرهما الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

أحدهما: أنَّ المعنى: لن نؤثرك على ماجاءنا من البيِّنات، وعلى الذي فطرنا.

والثاني: أنَّه قسمٌ، تقديره: وحق الذي فطرنا[٤].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥).

(٢) التفسير الوسيط (٣/ ٢١٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٨).

قوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانعٌ، وأصل القضاءِ: عملٌ بإحكام.

﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾.

قال الفَرَّاءُ: إنَّما حرفٌ واحدٌ، فلهذا نصب: الحياة الدُّنيا، ولو قرأ قارئ برفع الحياةِ لجاز، على أن يجعل «ما» في مذهب الذي، كقولك: إنَّ الذي تقضي هذه الحياة الدُّنيا[1].

وقرأ ابنُ أبي عبلةَ، وأبو المتوكِّل: «إنما تُقْضَى» بضمِّ التَّاءِ على ما لم يسمَّ فاعلُه، «الحياةُ» برفع التَّاءِ[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: إنَّما سلطانك وملكك في هذه الدُّنيا، لا في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا﴾ يعنون الشِّرك ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيَّانا على السِّحرِ.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿أَكۡرَهۡتَنَا﴾، وقد قالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾، وفي هذا دليلٌ على أنَّهم فعلوا السِّحر غير مكرهين؟

فعنه أربعةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّ فرعون كان يُكره النَّاس على تعلُّمِ السِّحرِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

قال ابنُ الأنباريِّ: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يُعَلِّموا [٥٣٩/أ] أولادهم السِّحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسِّحر، ولِمَا خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السِّحر، هو الإكراه على تعلمه في

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٨٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) عن أبي حيوة.

أوَّل الأمـرِ.

والثاني: أنَّ السَّحرةَ لما شاهدوا موسى بعد قولهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ ورأوا ذكره الله تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسِّحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيُطَّلع على ضعفِ صناعتهم، فيفسد[1] معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلَّا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراهُ على السِّحرِ.

والثالث: أنَّهم خافوا أن يغلبوا في ذلك الجمع، فيقدح ذلك في صنعتهم عند الملوكِ والسوق، وأكرههم فرعون على فعل السِّحرِ.

والرابع: أنَّ فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السِّحر، ذكر هذه الأقوال ابنُ الأنبارِيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: خيرٌ منك ثوابًا إذا أُطيعَ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ عقابًا إذا عصي، وهذا جوابُ قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾، وهذا آخرُ الإخبارِ عن السَّحرةِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه: ٧٤- ٧٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ يعني: مشركًا ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعُهُ.

أنشد ابنُ الأنبارِيِّ في مثل هذا المعنى قوله [من الطويل][2]:

---

(١) في (س): (فتفسد).

(٢) بلا نسبة في الزاهر (٢/ ٤)، ولسان العرب (١٢/ ٣٣٥).



أَلَا مَـنْ لِنَفْـسٍ لَا تَمُـوتُ فَيَنْقَضِـي   شَـقَاهَا وَلَا تَحْيَـا حَيَـاةً لَهَـا طَعْـمُ[1]

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قد أدَّى الفرائض، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ يعني: درجات الجنَّة، وبعضها أعلى من بعضٍ[2].

والعلى، جمع العليا، وهو تأنيثُ الأعلى.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: وإنَّما قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، لأنَّ من تقع بلفظ التَّوحيد على تأويل الجمعِ. فإذا غلب لفظها، وحد الراجع إليها، وإذا بُيِّن تأويلها، جمع المصروف إليها.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الثَّواب ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تطهَّر من الكفرِ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٧٧- ٨٢].

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أي: سر بهم ليلًا من أرض مصرَ ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ أي: اجعل لهم طريقًا ﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾.

---

(١) البيت ليس في (س).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥).

قرأ أبو المتوكِّل، والحسنُ البصريُّ، والنَّخعيُّ: «يَبْسًا» بإسكان الباءِ(١).

وقرأ الشَّعبيُّ، وأبو رجاء، وابنُ السَّمَيفَعِ: «يابسًا» بألفٍ(٢).

قال أبو عُبيدةَ: اليَبَس، متحرِّك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاةٌ يَبَسٌ، أي: يابسة ليس لها لبنٌ(٣).

وقال ابنُ قُتيبةَ: يقال لليابس: يَبَسٌ ويَبْسٌ(٤).

قوله تعالى: ﴿لَا تَخَٰفُ﴾.

قرأ الأكثرون: بألفٍ، وقرأ حمزةُ وأبان عن عاصمٍ: ﴿لَا تَخَفْ﴾(٥).

قال الزَّجَّاجُ: مَن قرأ «لا تخاف»، فالمعنى: لست تخاف، ومَن قرأ: «لا تخف» فهو نهي عن الخوفِ(٦).

قال الفَرَّاءُ: قرأ حمزةُ: «لا تَخَفْ» بالجزمِ، ورفع «ولا تخشى» على الاستئنافِ، كقوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] استأنف بـ﴿ثُمَّ﴾، فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله: «ولا تخش» الجزم وإن كانت فيه الياء، كان صوابًا(٧).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٩١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٢) عن الحسن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن أبي حيوة، والمحرر (٤/ ٥٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤).

(٤) معاني القرآن (ص:٢٨٠).

(٥) السبعة (ص: ٤٢١)، والحجة (٥/ ٢٣٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٩ـ٣٧٠).

(٧) معاني القرآن (٢/ ١٨٧).

[٥٣٩/ب] قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى قوله: ﴿دَرَكًا﴾ لحاقًا[١].

قال المفسِّرون: قال أصحابُ موسى: هذا فرعونُ قد أدركنا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي: من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غرقًا في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: لحقهم[٢].

وروى هارونُ، عن أبي عمرٍو: «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتَّشديد[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: تبع الرجل الشَّيء، وأتبعه بمعنى واحد، ومَن قرأ بالتَّشديد، ففيه دليلٌ على أنَّه اتَّبعهم ومعه الجنود، ومن قرأ: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللَّفظ، وجائزٌ أن لا يكون، إلَّا أنَّه قد كان معهم[٤].

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: فغشيهم من ماء البحرِ ما غرقهم.

وقال ابنُ الأنبارِيِّ: ويعني بقوله: ما غشيهم البعض الذي غشيهم، لأنَّه لم يغشهم كل مائه.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعكرمةُ، وأبو رجاءٍ، والأعمشُ: «فَغَشَّاهم من اليمِّ ما غَشَّاهم» بألفٍ فيهما مع تشديدِ الشِّين وحذفِ الياءِ[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٢) وزاد الحسن.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٠).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٨) عن الأعمش

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: ما أرشدهم حين أوردهم موارد الهلكة، وهذا تكذيبٌ له في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لأخذِ التَّوارة، وقد ذكرنا في مريم[1] معنى الأيمن، وذكرنا في البقرةِ[2] المنَّ والسَّلوى.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: لا تبطروا في نعمي فتظلموا.

والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين.

والثالث: لا تدَّخروا منه لأكثر من يومٍ وليلةٍ.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ أي: فتجب لكم عقوبتي.

والجمهورُ قرؤوا: ﴿فَيَحِلَّ﴾[3] بكسرِ الحاءِ ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بكسر اللَّامِ.

وقرأ الكسائيُّ: «فَيَحُل» بضمِّ الحاءِ «ومن يحلُل» بضمِّ اللَّامِ[4].

قال الفَرَّاءُ: والكسرُ أحبُّ إليَّ، لأنَّ الضمَّ من الحلول، ومعناه: الوقوع، ويحِلُّ بالكسرِ، يجبُ، وجاء التَّفسيرُ بالوجوبِ، لا بالوقوع[5].

---

(١) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٧).

(٣) قوله: ﴿فَيَحِلَّ﴾ من (س).

(٤) السبعة (ص: ٤٢٢)، والحجة (٥/ ٢٤٢)، والتيسير (ص: ١٥٢).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٨٨).



قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك.

قولـه تعـالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ الغفـارُ: الـذي يغفـر ذنـوب عبـادِهِ مـرَّة بعـد أخرى، فكلَّـما تكـرَّرت ذنوبهـم تكـرَّرت مغفرتُـه، وأصـلُ الغفـر: السَّـتر، وبـه سـمِّي زِئْـبَر الثَّـوبِ: غفـرًا، لأنَّـه يسـتر سـداه. فالغفَّـار: السَّـتَّارُ لذنـوبِ عبـادِهِ، المسـبل عليهـم ثـوب عطفِـهِ.

قوله تعالى: ﴿لِّمَن تَابَ﴾.

قـال ابـنُ عبَّاسٍ: لمـن تاب مـن الـشِّركِ ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: وحَّـدَ اللهَ وصدَّقه، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدَّى الفرائـضَ[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ثمانية أقوالٍ:

أحدها: علم أنَّ لعمله هذا ثوابًا، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: لم يشكَّك، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: علم أنَّ ذلك توفيقٌ من الله له، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: لزم السُّنَّةِ والجماعة، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والخامس: استقام، قاله الضَّحاكُ.

والسادس: لزمُ الإسلامِ حتَّى يموت عليه، قاله قتادةُ.

[٥٤٠/أ] **والسابع**: اهتدى كيف يعمل، قاله زيدُ بنُ أسلم.

والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النَّبيِّ ﷺ، قاله ثابت البناني[٢].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧).

(٢) رواه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ١٢٩) مـن طريـق عمـر بـن شـاكر البـصري، عـن ثابـت البنـاني بـه، وعمـر بـن شـاكر واهـي الحديـث. انظـر: ميـزان الاعتـدال (٣/ ٢٠٣).

قولـه تعـالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى (٨٦) قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[طـه: ٨٣- ٨٩].

قولـه تعـالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قـال المفسِّرون: لما نجى الله تعالى بني إسرائيلَ وأغرق فرعونَ، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتابٍ من عندِ الله، فيه الحلالُ والحرامُ والفرائضُ، فأوحى الله إليه يعده أنَّه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلَّمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطُّور لأخذِ التَّوارةِ، فعجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربِّه، وأمرهم بلحاقِه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلةِ عن قومِك، ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ﴾ أي: هؤلاء ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «على إِثْري» بكسرِ الهمزةِ وسكون الثَّاءِ[1].

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن عيسى، وعبد الوارث، عن أبي عمرو، ويعقوب، وفي التحصيل (٤/ ٣٢٩) عن يعقوب الحضرمي، وانظر: المحرر (٤/ ٥٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٦).

وقرأ عكرمةُ، وأبو المتوكِّلِ، وابنُ يعمرَ، برفع الهمزةِ وسكونِ الثَّاءِ[١].

وقرأ أبو رجاءٍ، وأبو العالية: بفتح الهمزةِ وسكونِ الثَّاءِ[٢].

والمعنى: هم بالقربِ منِّي يأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي: لتزداد رضىً، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ألقيناهُمْ في فتنةٍ ومِحْنَةٍ، واختَبرْنَاهُم[٣].

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: من بعد انطلاقِكَ من بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي: كان سبباً لإضلالهم.

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّل، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «وأَضَلُّهم» برفع اللَّام[٤]، وقد شرحنا في البقرةِ[٥] سبب اتِّخاذِ السَّامري العجل، وشرحنا في الأعرافِ[٦] معنى قوله تعالى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: صدقًا، **وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: إعطاء التَّوراةِ.

والثاني: قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ﴾ الآية: [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[طه: ٨٢].

---

(١) «أُثْري» بِضمِّ الهمزة وسكون الثَّاءِ عن الكسائي، وعيسى في البحر المحيط (٧/ ٣٦٦).

(٢) «أَثْري» أشار إليها أبو البقاء العُكبري في إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧١).

(٤) عن أبي معاذ في مختصر ابن خالويه (ص:٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٩)، وإعراب القراءات الشواذ (٢/ ٨٤).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

(٦) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٠).

والثالث: النَّصر، والظفر.

قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي: مدَّة مفارقتي إيَّاكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أن تصنعوا صنيعًا يكون سببًا لغضب ربِّكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنَّه إن فكَّهم الله من ملكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، ويقيموا الصَّلاةَ، وينصروا الله ورسله.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: بكسرِ الميمِ.

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ: بفتح الميم.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: بضمِّ الميم(١).

قال أبو عليٍّ: وهذه لغاتٌ(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: **المُلْكُ** بالضمِّ: السُّلطان والقُدرة، **والمِلْك** بالكسر: ما حَوَتْهُ الْيَدُ، **والمَلْك** بالفتح: المصدَرُ، يقال: مَلَكْتُ الْشَيءَ أملِكه مَلْكًا(٣).

وللمفسِّرين في معنى الكلام أربعة أقوالٍ:

أحدها: ما كنَّا نملك الذي اتَّخذ منه العجل، ولكنَّها كانت زينة آل فرعون، فقذفناها، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: بِطاقتِنا، قاله قتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوعِ في البلية، قاله ابنُ زيدٍ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٢)، والحجة (٥/ ٢٤٤)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٢) الحجة (٥/ ٢٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧١).

[٥٤٠/ب] **والرابع:** لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماورديُّ(١).

فيُخرَّج فيمن قال هذا لموسى **قولان:**

أحدهما: أنَّهم الذين لم يعبدوا العجلَ.

والثاني: عابدوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بضمِّ الحاءِ وتشديد الميم.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «حَمَلْنَا» خفيفة(٢).

والأوزار: الأثقال. والمراد بها: حليُّ آل فرعون الذي كانوا استعارُوه منهم قبل خروجهم من مصرَ. فمن قرأ ﴿حُمِّلْنَآ﴾ بالتَّشديد، فالمعنى: حمَّلناها موسى، أمرنا باستعارتها من آلِ فرعونَ، ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: طرحناها في الحفيرة، وقد ذكرنا سبب قذفهم إيَّاها في سورةِ البقرةِ(٣).

قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه ألقى حُلِيًّا كما ألقوا.

والثاني: ألقى ما كان معه من ترابِ حافر فرس جبريل.

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤١٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٢٣)، والحجة (٥/ ٢٤٥-٢٤٦)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

وقد سبق شرح القصَّة في البقرةِ[١]، وذكرنا في الأعرافِ[٢] معنى قوله تعالى: ﴿عِجۡلًا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ هذا قولُ السَّامريِّ ومَن وافقه من الذين افتتنوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المشار إليه بالنِّسيان **قولان**:

أحدهما: أنَّه موسى.

ثمَّ في المعنى ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبرَكم أنَّ هذا إلهه، رواه عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: فنسي موسى الطَّريق إلى ربِّه، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: فنسي موسى إلهه عندكم، وخالفه في طريق آخر، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّه السَّامريُّ، والمعنى: فنسي السَّامريُّ إيمانَه وإسلامه، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال مكحول: ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فترك السَّامريُّ ما كان عليه من الدين[٣].

وقيل: فنسي أنَّ العجلَ لا يرجع إليهم قولًا، ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا.

فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ من إخبارِ الله ﷻ عن السَّامريِّ.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٨).

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٣٦٩).

وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان:

أحدهما: أنَّه السَّامريُّ.

والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أفلا يرون أنَّه لا يرجع إليهم قولًا[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾[طه: ٩٠- ٩٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ ﴾ أي: ابتليتم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ لا العجل، ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ أي: لن نزالَ مقيمين على عبادةِ العجلِ ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ فلـمَّا رجعَ موسى ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾ بعبادةِ العجلِ ﴿ أَلَّا ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «ألَّا تتبعني» بياءٍ في الوصلِ ساكنة، ويقف ابنُ كثيرٍ بالياءِ، وأبو عمرٍو بغير ياءٍ[2].

وروى إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن نافعٍ: «ألا تتبعنيَ أفعصيت» بياءٍ منصوبةٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٢).

(٢) معاني القراءات (٢/ ١٦٢)، والحجة (٥/ ٢٤٧).

وروى قالونُ، عن نافعٍ مثل أبي عمرٍو سواء.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ بغير ياءٍ في الوصلِ، والوقفِ[1].

والمعنى: ما منعك من اتِّباعي، و«لا» كلمة زائدةٌ.

وفي المعنى ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين، وتفارقهم، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أن تناجزهم القتال، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: في الإنكارِ عليهم، قاله مُقاتلٌ[2]. [٥٤١/أ]

قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وهو قوله في وصيَّته إيَّاه: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف:١٤٢].

قال المفسِّرون: ثمَّ أخذ برأس أخيه ولحيته غضبًا منه عليه.

وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في الأعراف[3] فاكتفي بذلك، وقد شرحنا هناك معنى ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ واختلاف القرَّاءِ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ أي: بشعرِ رأسي، وهذا الغضبُ كان لله ﷻ، لا لنفسِهِ، لأنَّه وقع في نفسِهِ أنَّ هارونَ عصى الله بتركِ اتِّباع موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي: إن فارقتهم واتَّبعتُكَ ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: باتِّباعي إيَّاك ومن معي من المؤمنين.

---

(١) التيسير (ص: ١٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٩٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٠).

والثاني: بقتالي لبعضهم ببعضٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ **قولان**:

أحدهما: لم ترقب قولي لك: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف:١٤٢].

والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه: ٩٥- ٩٨].

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وبعض اللُّغويين يقول: الخطبُ مشتقٌّ من الخطابِ، المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟

واختلفوا في اسمِ السَّامري على قولين:

أحدهما: موسى أيضًا، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ، وقال: كان ابن عمِّ موسى بن عِمرانَ.

والثاني: ميخا، قاله ابنُ السَّائبِ.

وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ **فيه قولان**:

أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمَّى سامرة، قاله قتادةُ.

وفي بلده قولان:

أحدهما كَرْمان، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

والثاني: باجرما، قاله وهبٌ.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: «تبصروا»، بالتَّاءِ(١)، فعلى قراءةِ الجمهورِ أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءةِ خاطبَ الجميعَ.

قال أبو عُبيدةَ: علمت ما لم تعلموا، قال: وقومٌ يقولون: بصِرْتُ، وأَبْصَرتُ سواءٌ، بمنزلة أَسْرَعْتُ، وسَرِعْتُ(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: يقال: بَصُر الرَّجلَ يَبْصُرُ: إذا صار عَليمًا بالشَّيءِ، وأبْصَرَ يُبْصِرُ: إذا نظرَ(٣).

قال المفسِّرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريلَ على فرس، فألقي في نفسي: أن أقبضَ من أثرها ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ، ومعاذٌ القارئ: «قَبْصَةً» بالصَّادِ(٤).

وقال الفَرَّاءُ: والقبضةُ بالكفِّ كلها، والقبصةُ ـ بالصَّادِ ـ بأطرافِ الأصابعِ(٥).

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٤)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر «يبصروا» بالياء.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٤).

(٤) عن الحسن وجماعة في معاني القرآن (٢/ ١٩٠)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٤) وروي عن الحسن «قبصة» بضم القاف.

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٩٠).

قال ابنُ قتيبةَ: ومثل هذا: الخَضْمُ بالفمِ كلِّه، والقَضْمُ بأطرافِ الأسنانِ، والنَّضْخُ أكثر من النَّضْحِ، الرِّجْز: العذاب، الرِّجْسُ: النَّتْنُ، والهُلاس في البَدَنِ، والسُّلاس في العقلِ، والغَلَطُ في الكلامِ، والغَلَتُ في الحسابِ، والخَصِرُ: الذي يَجِدُ البَرْدَ، والخَرِصُ: الذي يجد البردَ والجوعَ، والنَّارُ الخَامِدَة: التي قد سكن لَهَبُها ولم يُطْفَأْ جَمْرُها، والهامِدَة: التي طَفِئَتْ فذهبت البَتَّة، والشُّكْد: العطاءُ ابتداءً، فإن كان جزاء فهو شُكْمٌ، والمَائِحُ: الذي يدخل البئر فيملأ الدَّلو، والمَاتِح: الذي ينزعها[1]. [٥٤١/ب]

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: فقذفتها في العجلِ.

وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «فنبذتها» بالإدغامِ[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما حدثتك ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: زيَّنت لي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَاذْهَبْ﴾ أي: من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ﴾ أي: ما دمت حيًّا ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أَمسُّ ولا أُمسُّ، فصار السَّامريُّ يهيم في البريَّة مع الوحش والسِّباع، لا يمس أحدًا، ولا يمسه أحدٌ، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: لا مساس، وكان إذا لقي أحدًا يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتَّى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التَّفسير، بأرض الشام يقولون ذلك.

وحكي أنَّه إن مسَّ واحد من غيرهم واحدًا منهم، أخذتهما الحمَّى في الحالِ.

---

(١) آداب الكاتب (٢٠١ـ٢٠٢).

(٢) السبعة (ص: ١٢٤)، والتيسير (١/ ٤٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن يتأخَّر عنك، ومن كسر لام «تُخْلِفه» أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ يعني: العجل ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: معناه: أقمت عليه[١].

وقال الفَرَّاءُ: معنى ﴿ظَلْتَ﴾: فعلته نهارًا[٢].

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ يعمرَ: «ظُلْت» برفع الظَّاءِ[٣].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ، والأعمشُ، وابنُ أبي عبلةَ: «ظِلْت» بكسرِ الظَّاءِ[٤].

وقال الزَّجَّاجُ: ظَلْت وظِلْت بفتح الظَّاءِ، وكسرها، فمن فتح فالأصلُ فيه: ظَلِلت ولكن اللَّام حذفت لثقل التَّضعيفِ والكسر، وبقيت الظَّاءُ على فتحها، ومن قرأ: «ظِلْت» بالكسرِ، حوَّل كسرة اللَّام على الظَّاءِ[٥].

ومعنى ﴿عَاكِفًا﴾ مقيمًا ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضمِّ النُّون وفتح الحاءِ وتشديدِ الرَّاءِ[٦].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) لغات القرآن (ص: ٩٣).

(٣) عن يحيى بن يعمر «ظِلْت»، «ظُلْت» في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢).

(٤) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، والتحصيل (٤/ ٣٥٤) ابن مسعود، وقتادة، والأعمش.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٥).

(٦) المبسوط (١/ ٢٩٨).



وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وابنُ يعمرَ: «لَنَحْرُقنَّه» بفتح النُّونِ وسكونِ الحاءِ ورفع الرَّاء مخفَّفة[1].

وقرأ أبو هريرةَ، والحسنُ، وقتادةُ: «لنُحْرِقنَّه» برفع النُّونِ وإسكان الحاءِ وكسر الرَّاءِ مخفَّفة[2].

قال الزَّجَّاجُ: إذا شدِّد، فالمعنى: نحرقه مرَّة بعد مرَّة[3].

وتأويل «لنحرقنَّه» : لنبردنَّه، يقال: حرقت أحرُق وأحرِق: إذا بردت الشَّيءَ.

والنسف: التذرية.

وجاء في التفسير: أنَّ موسى أخذ العجل فذبحه. فسال منه دمٌ؛ لأنَّه كان قد صار لحمًا ودمًا، ثم أحرقه بالنَّارِ، ثم ذرَّاه في البحرِ، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحقُّ العبادةَ، لا العجل، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمُه كلَّ شيءٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ

---

(١) عن علي بن أبي طالب، وأبي جعفر في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وزاد في التحصيل (٤/ ٣٥٤) ابن عباس.

(٢) عن الكلبي، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وزاد في التحصيل (٤/ ٣٥٤) الباهلي، عن ابن القعقاع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٥).

بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[طـه: ٩٩- ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمَّد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: من أخبار مَن مضى، والذكر هاهنا: القرآن ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ أي: إثمًا ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى وساءَ الوزر لهم يومَ القيامةِ ﴿حِمْلًا﴾، وحملًا منصوبٌ على التَّمييز[(١)].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

قرأ أبو عمرٍو: «نَنْفُخُ» بالنُّونِ.

وقرأ الباقونَ من السَّبعةِ: ﴿يُنفَخُ﴾ بالياءِ على ما لم يسمَّ فاعلُه[(٢)]. [٥٤٢/أ]

وقرأ أبو عمرانَ الجُونيُّ: «يوم يَنْفُخُ» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع الفاء، وقد سبق بيانُه[(٣)].

﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو الجوزاءِ، وطلحةُ بن مصرف: «ويَحشُر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفع الشِّين[(٤)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٦).

(٢) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (١/ ٢٤٧)، والمبسوط (١/ ٢٩٨).

(٣) عن ابن هرمز في التحصيل (٤/ ٣٥٥).

(٤) عن الحسن في البحر المحيط (٦/ ٢٧٨).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، وأبو عِمرانَ: «ويُحْشَر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح الشِّين، «المجرمون» بالواو[١].

قال المفسِّرون: والمراد بالمجرمين: المشركون[٢].

﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: عميًا، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: بيض العيون من العمى، قد ذهب السَّوَادُ والنَّاظِرُ[٣].

والثاني: زرق العيون من شدَّة العطشِ، قاله الزُّهريُّ.

والمراد: أنَّه يشوه خلقهم بسوادِ الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يسارُّ بعضُهم بعضًا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: ما لبثتم إلَّا عشر ليالٍ، وهذا على طريق التَّقليل، لا على وجه التَّحديد.

وفي مرادهم بمكان هذا اللَّبث قولان:

أحدهما: القبورُ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم عنوا طول ما لبثوا فيها.

روى أبو صالح عن ابنِ عبَّاسٍ: إن لبثتم بعد الموتِ إلَّا عشرًا.

والثاني: ما بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإنَّه يخفَّف عنهم العذابُ حينئذٍ، فيستقلون مدَّة لبثهم لهول ما يعاينون، حكاه عليُّ بن أحمد النَّيسابوري[٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢) عن الحسن، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن طلحة بن مُصرِّف.

(٢) في الأصل و(ر): (المشركين)، والمثبت من (س).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٢).

(٤) هو الواحدي، وانظر: تفسيره الوسيط (٣/ ٢٢١).

والقول الثاني: أنهم عنوا لبثهم في الدُّنيا، قاله الحسنُ، وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلهم، وأعدلُهم قولًا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسي القومُ مقدار لبثهم هول ما عاينوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١٠٥- ١١٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾.

سبب نزولها: أنَّ رجالًا من ثقيفٍ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا يا محمَّد: كيف تكون الجبال يوم القيامةِ؟ فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[١].

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ قال المفسِّرون: النسف: التذرية.

والمعنى: يصيرها رمالًا تسيلُ سيْلًا، ثم يصيرها كالصُّوف المنفوش، تطيرها الرِّياح فتستأصلها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدع أماكنها من الأرضِ إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وروى ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٥٩٨) عن ابن جريج قال: «قَالَت قُرَيْش: يَا مُحَمَّد كَيفَ يفعل رَبُّك بِهَذِهِ الْجبَال يَوْم الْقِيَامَة فَنزلت الآيَة».

قال ابنُ قُتيبةَ: القاعُ من الأرض المستوي: الذي يعلوه الماءُ، والصَّفْصَفُ: المستوي أيضًا، يريد: أنَّه لا نبت فيها[١].

قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ في ذلك ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المرادَ بالعوج: الأوديةُ، وبالأمت: الرَّوابي، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

وكذلك قال مجاهدٌ: العوج: الانخفاض، والأمت: الارتفاعُ[٢]، وهذا مذهبُ الحسنُ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: الأمت: النَّبَكُ[٣].

والثاني: أنَّ العوجَ: الميل، والأمت: الأثر مثل الشراك، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ العوجَ: الصدع، والأمت: الأكمة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾.

قال الفَرَّاءُ: أي: يتَّبعون صوت الدَّاعي للحشرِ، لا عوجَ لهم عن دعائه: لا يقدرون أن لا يتَّبعوا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: [٥٤٢/ب]

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٦٥) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٢)، و«النباك»، وهي التلال الصِّغار، واحدها نبك. لسان العرب (٢/ ٥).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٩٢).

أحدها: وطء الأقدامِ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ في روايةٍ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ(١).

والثاني: تحريك الشِّفاه بغير نطقٍ، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عباسٍ.

والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهدٍ.

وقال أبو عُبيدةَ: الصوتُ الخفي(٢).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ يعني: لا تنفع أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ أي: إلا شفاعة من أذن له الرَّحمنُ، أي: أذن أن يشفع له، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: ورضي للمشفوعِ فيه قولًا، وهو الذي كان في الدُّنيا من أهل لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعةٌ إلى الذين يتَّبعون الداعي.

وقد شرحنا هذه الآية في سورة البقرة(٣).

وفي هاء ﴿بِهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى الله تعالى، قاله مُقاتلٌ(٤).

والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٢).



قال الزَّجَّاجُ: عنت في اللُّغة: خَضعَتْ، يُقال: عَنَا يَعْنُو: إذا خَضعَ، ومنه قيل: أُخِذَتِ البلادُ عُنْوَةً: إذَا أُخِذَتْ غَلَبة، وأُخِذَتْ بخضوعٍ من أهلها[1].

والمفسِّرون: على أنَّ هذا في يوم القيامةِ، إلَّا ما روي عن طلق بنِ حبيبٍ: هو وضع الجبهةِ والأنفِ والكفَّين والرُّكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسُّجود[2].

وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: خسر من أشرك بالله[3].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ «من» هاهنا للجنس، وإنَّما شرط الإيمان، لأنَّ غير المؤمن لا يقبل عمله، ولا يكون صالحًا، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخافُ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «فلا يخفْ» على النَّهي[4].

قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ **فيه أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: لا يخاف أن يُظلم فيزاد في سيئاته، ولا أن يُهضم من حسناتِهِ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: لا يخاف أن يُظلم فيزاد من ذنب غيرِهِ، ولا أن يُهضم من حسناته، قاله قتادةُ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٤) من طريق عمرو بن مرة، به.

(٣) أورده الواحدي في تفسيره (٣/ ٢٢٢).

(٤) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (٥/ ٢٥١).

والثالث: أن لا يخاف أن يُؤاخذ بما لم يعمل، ولا يُنتقص من عملِهِ الصَّالحِ، قاله الضَّحاكُ.

والرابع: لا يخاف أن لا يُجزى بعملِهِ، ولا أن يُنقص من حقِّهِ، قاله ابنُ زيدٍ.

قال اللُّغويون: الهضم: النقصُ، تقول العرب: هضمت لك من حقِّي، أي: حططت، ومنه: فلانٌ هضيم الكشحين، أي: ضامر الجنبين، ويقال: هذا شيءٌ يهضم الطعام، أي: ينقص ثقله.

وفرَّق بعض المفسِّرين بين الظُّلم والهضم، فقال: الظلم منعُ الحقِّ كله، والهضمُ منع البعضِ، وإن كان ظلمًا أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: وكما بيَّنا في هذه السُّورةِ، أنزلناه أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: بيَّنا فيه ضروب الوعيد.

قال قتادةُ: يعني: وقائعه في الأممِ المكذبةِ[١].

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون سببًا لاتِّقائهم الشِّرك بالاتِّعاظ بمن قبلهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ أي: يجدد لهم القرآن، وقيل: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتبارًا، فيتذكَّروا به عقابَ الأمم فيعتبروا.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «أو نُحْدِثُ» بنون مرفوعة[٢]. [٥٤٣/أ]

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٧٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بلفظ: «مَا حُذِّرُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَعِقَابِهِ، وَوَقَائِعِهِ بِالْأُمَمِ قَبْلَهُمْ».

(٢) في التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن الحسن، وهي في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢) بالياء، وكذا في المحتسب (٢/ ٥٩)، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٨١) عن ابن مسعود، ومجاهد، وأبي=

قولـه تعـالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: جـلَّ عـن إلحـادِ الملحديـن وقـول المشركـين في صفاتِـه، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الـذي بيـده كل شيءٍ، ﴿ٱلْحَقُّ﴾ وقـد ذكرنـاه في يونـسَ[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنَّ جبريلَ كان يـأتي النَّبـيَّ ﷺ بالسُّـورةِ والآي فيتلوهـا عليـه، فـلا يفـرغ جبريـل مـن آخرهـا حتَّـى يتكلَّـم رسـولُ الله ﷺ بأولهـا مخافـة أن ينسـاها، فنزلـت هـذه الآيـة، رواه أبـو صالـحٍ عـن ابـن عبَّـاسٍ[٢].

والثـاني: أنَّ رجـلًا لطـم امرأتـه، فجـاءت إلى رسـولِ الله ﷺ تطلـب القصـاص، فجعـل رسـولُ الله ﷺ بينهـما القصـاص، فنزلـت هـذه الآيـةُ، فوقـف رسـولُ الله ﷺ حتَّـى نـزل قولـه تعـالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النسـاء ٣٤] قالـه الحسـنُ البـصريُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

وقـرأ ابـنُ مسـعودٍ، والحسـنُ، ويعقـوب: «نَقْضِيَ» بالنُّـون وكـسر الضَّـادِ وفتـح اليـاءِ، «وَحْيَـهُ» بنصـبِ اليـاءِ[٤].

=حيوة، والحسن في رواية الجحدري.

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٣٢).

(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٤٨٣).

(٣) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٥١٢).

(٤) في التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن ابن مسعود وغيره.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريلُ من تلاوته تخاف نسيانه، هذا على القول الأوَّل.

والثاني: لا تقرئ أصحابك حتَّى نبيِّن لك معاينة، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ.

والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره المَاوَرْدِيُّ[1].

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ **فيه ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: زدني قرآنًا، قاله مُقاتلٌ[2].

والثاني: فهمًا.

والثالث: حفظًا، ذكرهما الثَّعلبيُّ[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٢٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٢٦٢).

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[طه: ١١٥-١٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشَّجرةِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمانَ بي، وهم الذين ذكرهم في قولِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أنَّهم إن نقضوا العهدَ، فإنَّ آدم قد عهدنا إليه ﴿فَنَسِىَ﴾.

وفي هذا النِّسيان قولان:

أحدهما: أنَّه التَّرك، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والمعنى: ترك ما أمر به.

والثاني: أنَّه من النِّسيان الذي يخالف الذكر، حكاه الماوَرْدِيُّ[(١)].

وقرأ معاذٌ القارئ وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «فنُسِّي» برفع النُّون وتشديدِ السِّين[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ العزمُ في اللُّغة: توطين النَّفس على الفعلِ.

وفي المعنى أربعة أقوالٍ:

أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به.

والثاني: صبرًا، قاله قتادةُ، ومُقاتلٌ[(٣)]، والمعنى: لم يصبر عما نهي عنه.

والثالث: حزمًا، قاله ابنُ السَّائبِ.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣) عن اليماني، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٨٤) عن الأعمش.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣).

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وهذا لا يخرج آدم من أولي العزمِ، وإنَّما لم يكن له عزمٌ في الأكلِ فحسب.

والرابع: عزمًا في العودِ إلى الذَّنب، ذكره الماوَرْدِيُّ(١).

وما بعد هذا قد تقدَّم تفسيره(٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ قال المفسِّرون: المرادُ به نَصَب الدُّنيا وتعبها من تكلف الحرثِ والزَّرع والعجن والخبز، وغير ذلك.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعتمل عليه ويمسح العرقَ عن جبينه، فذلك شقاؤه(٣). [٥٤٣/ب]

قال العلماءُ: والمعنى: فتشقيا؛ وإنَّما لم يقل: فتشقيا، لوجهين:

أحدهما: أنَّ آدمَ هو المخاطب، فاكتفى به، ومثله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]، قاله الفرَّاءُ(٤).

والثاني: أنَّه لما كان آدم هو الكاسبُ، كان التعبُ في حقِّه أكثر، ذكره الماوَرْدِيُّ(٥).

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾.

قرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ: «لا تُجاع ولا تُعرى» بالتَّاءِ المضمومةِ والألفِ(٦).

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٨٦).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٩٣).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٦) انظر: إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٩٥).

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَأَنَّكَ﴾ مفتوحة الألف.

وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «وإِنَّك» بكسر الألفِ[١].

قال أبو عليٍّ: من فتح حمله على أنَّ لك أن لا تجوعَ، وأنَّ لك أن لا تظمأ، ومن كسر استأنف[٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمئ الرجل يظمأُ ظمأً، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا تبرز للشَّمس فيصيبك حرُّها، لأنَّه ليس في الجنَّة شمسٌ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي: على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ جديده ولا يفنى، وما بعد هذا مفسَّرٌ في الأعرافِ[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ **قولان:**

أحدهما: ضلَّ طريق الخلودِ حيث أراده من قبل المعصيةِ.

والثاني: فسدَ عليه عيشه، لأنَّ معنى الغي: الفساد.

قال ابنُ الأنبارِيِّ: وقد غلط بعضُ المفسِّرين، فقال: معنى غوى: أكثر ممَّا أكل من الشَّجرة حتى بَشِمَ[٤]، كما يُقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبنِ أمِّه فبَشِمَ فكاد يهلك، وهذا خطأٌ من وجهين:

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (٥/ ٢٥١).

(٢) الحجة (٥/ ٢٥٢).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٢٢).

(٤) البَشَم: تُخَمَةٌ على الدَّسَمِ. انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٠).

أحدهما: أنَّه لا يقال من البشم: غَوَى يَغْوِي، وإِنَّما يقال: غَوِي يَغْوَى.

والثاني: أنَّ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢] يدلُّ على أنهما لم يكثرا، ولم تتأخَّر عنهما العقوبة حتَّى يصلا إلى الإكثار.

قال ابنُ قُتيبةَ: فنحن نقول في حقِّ آدم: عصى وغوى كما قال الله ﷻ، ولا نقول: آدم عاصٍ وغاوٍ، كما تقول لرجلٍ قطع ثوبه وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقول: هذا خياطٌ، حتَّى يكون معاودًا لذلك الفعل، معروفًا به(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قد بيَّنا الاجتباء في الأنعامِ(٢).

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه للتَّوبة.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ في المشار إليهما قولان:

أحدهما: آدمُ وإبليسُ، قاله مُقَاتِلٌ(٣).

والثاني: آدمُ وحواءُ، قاله أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وذريَّته، وإبليس وذريَّته، والحية أيضًا؛ وقد شرحنا هذا في البقرةِ(٤).

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ أي: رسولي وكتابي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٨٧).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٦).

قال ابنُ عبَّاسٍ: مَن قرأ القرآنَ واتَّبع ما فيه، هداه الله من الضَّلالة، ووقاه سوء الحسابِ، ولقد ضمن الله لمن اتَّبع القرآن أن لا يضلَّ في الدُّنيا ولا يشقى في الآخرةِ، ثم قرأ هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾.

قال عطاءٌ: عن موعظتي(٢).

وقال ابنُ السَّائب: عن القُرآن ولم يؤمن به ولم يتَّبعه(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: معناه: معيشةً ضيِّقةً، والضَّنكُ يوصف به الأنثى والذَّكر بغير هاءٍ، وكل عيشٍ أو مكانٍ أو منزلٍ ضيِّقٍ، فهو ضنك، وأنشد [٥٤٤/أ] [من الكامل](٤):

. . . . وَإِنْ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ

وقال الزَّجَّاجُ: الضَّنك أصله في اللُّغة: الضيق والشدَّة(٥).

وللمفسِّرين في المرادِ بهذه المعيشة خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها عذابُ القبرِ، روى أبو هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٨١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ٦٥)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٢)، وتفسير ابن جرير (١٦/ ١٩٢)، والدر الفريد (١/ ١٩٤) وصدره: «إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرْ وَإِنْ يَسْتَلْحِمُوا».

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٨).

«عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

وممن ذهب إلى أنَّه عذابُ القبرِ: ابنُ مسعودٍ، وأبو سعيدٍ الخدريُّ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّه ضغطةُ القبر حتَّى تختلف أضلاعُه فيه، رواه عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: شدَّة عيشه في النَّارِ، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ، وابن زيدٌ.

قال ابنُ السَّائبِ: وتلك المعيشةِ من الضَّريع والزَّقوم.

والرابع: أنَّ المعيشةَ الضَّنك: كسب الحرامِ.

روى الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ قال: المعيشةُ الضَّنك: أن تضيِّق عليه أبوابَ الخيرِ فلا يهتدي لشيءٍ منها، وله معيشةٌ حرام يركضُ فيها[٢].

قال الضَّحاكُ: فهذه المعيشةُ هي الكسبُ الخبيثُ[٣]، وبه قال عكرمةُ.

والخامس: أنَّ المعيشةَ الضَّنك: المال الذي لا يتَّقي اللهَ صاحبُهُ فيه، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٦٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٢٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩٨) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن ابن حجيرة، به، بنحوه، وإسناده حسن.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٦٠٩) بلفظ: «الْعَمَل السيء والرزق الْخَبِيث».

فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: القبرُ.

والثاني: الدُّنيا.

والثالث: جهنَّم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿أَعۡمَىٰ﴾، ﴿حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ﴾ بفتح الميمين.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ بكسرهما.

وقرأ نافعٌ بين الكسر والفتح[1].

ثمَّ في هذا العمى للمفسِّرين قولان:

أحدهما: أعمى البصر.

روى أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: إذا أخرج من القبرِ خرج بصيرًا، فإذا سيق إلى المحشر عمي.

والثاني: أعمى عن الحجَّة، قاله مجاهدٌ، وأبو صالحٍ.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: فلا حجَّة له يهتدي بها، لأنَّه ليس للنَّاس على الله حجَّة بعد الرُّسل[2].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿أَتَتۡكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ﴾ أي: فتركتها ولم تؤمن بها؛ وكما تركتها في الدُّنيا تُترك اليوم في

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٥)، والحجة (٥/ ٢٥٠)، والتيسير (ص: ١٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٩).

النَّـار. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكـما ذكرنـاه ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: أشرك ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مـن عـذاب الدُّنيـا ومـن عـذاب القـبرِ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنَّـه يـدوم.

قولـه تعـالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾[طـه: ١٢٨- ١٣٠].

قولـه تعـالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي: أفلـم يتبـيَّن لكفَّـار مكَّـة إذا نظـروا آثـار مـن أهلكنـا مـن الأمـمِ؛ وكانـت قريـش تتَّجـر وتـرى مسـاكن عـاد وثمـود وفيهـا علامـاتُ الهـلاك، فذلـك قولـه تعـالى: ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾.

وروى زيدٌ، عن يعقوبَ: «أفلم نَهْدِ» بالنُّون[١].

قولـه تعـالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخـير العـذابِ عـن هـؤلاءِ الكفَّـارِ إلى يـوم القيامـةِ، وقيـل: إلى يـوم بـدرٍ، وقيـل: إلى انقضـاءِ آجالهـم ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ أي: لـكان العـذابُ لزامًـا أي: لازمًـا لهـم، واللِّـزام: مصـدر وصـف بـه العـذابُ. [٥٤٤/ ب]

قـال الفَـرَّاءُ، وابـنُ قُتيبـةَ: في هـذه الآيـة تقديـمٌ وتأخـيرٌ، والمعنـى: ولولا كلمـة وأجل مسـمًّى لـكان لزامًـا[٢].

(١) عن ابن عباس، والسُّلمي في التحصيل (٤/ ٣٥٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٩٥)، ولم أقف على كلام ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أمر الله تعالى نبيَّه بالصَّبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثمَّ حكم فيهم بالقتلِ، فنسخت آية السَّيف إطلاق الصَّبرِ.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ أي: صلِّ له بالحمد له والثَّناءِ عليه ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ يريد: الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ ﴾ يعني: العصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ ﴾ الآناء: السَّاعات، وقد بيَّناها في آلِ عمرانَ[(١)] ﴿فَسَبِّحۡ ﴾ أي: فصلِّ.

وفي المراد بهذه الصَّلاةِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: المغربُ والعشاءُ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ.

والثاني: جوف اللَّيلِ، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثالث: العشاءُ، قاله مجاهدٌ، وابنُ زيدٍ.

والرابع: أوَّلُ اللَّيلِ وأوسطه وآخره، قاله الحسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ المعنى: وسبِّح أطراف النَّهارِ.

قال الفرَّاءُ: إنَّما هم طرفان، فخرجا مخرج الجمعِ، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾[التحريم: ٤][(٢)].

وللمفسِّرين في المرادِ بهذه الصَّلاة ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الظُّهر، قاله قتادةُ، فعلى هذا، إنَّما قيل لصلاةِ الظُّهرِ: أطراف النَّهارِ، لأنَّ وقتها عند الزَّوالِ، فهو طَرَف النِّصفِ الأوَّلِ، وطرف

---

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١١٣).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٩٥).

النِّصف الثَّاني.

والثاني: أنَّها صلاة المغربِ وصلاة الصُّبح، قاله ابنُ زيدٍ وهذا على أنَّ الفجرَ في ابتداءِ الطَّرفِ الأوَّلِ، والمغرب عند انتهاءِ الطَّرفِ الثَّاني.

والثالث: أنَّها الفجرُ والظُّهرُ والعصرُ، فعلى هذا يكون الفجرُ من الطَّرفِ الأوَّلِ، والظُّهرُ والعصرُ من الطَّرفِ الثَّاني، حكاه الفرَّاءُ(١).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَرْضَىٰ﴾ بفتح التَّاءِ.

وقرأ الكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ بضمِّها(٢).

فمن فتح، فالمعنى: لعلَّك ترضى ثوابَ الله الذي يُعطيكَ.

ومَنْ ضمَّها، ففيه وجهان:

أحدهما: لعلَّكَ ترضى بما تُعطى.

والثاني: لعلَّ الله أن يرضاك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣١ - ١٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

سببُ نزولها: ما روى أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٤٢٥)، والحجة (٥/ ٢٥٢)، والمبسوط (ص:٢٩٨)، والتيسير (ص:١٥٨).

ضَيفٌ برسول الله ﷺ، فدعاني فأرسلني إِلَى رجلٍ من اليهودِ يبيع طعامًا فقال: قُلْ لَهُ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: بِعْنِي كذا وكذا من الدَّقيق وأَسْلِفنِي إلى هلالِ رَجَبٍ، فَأَتَيتُهُ فَقُلتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ اليهوديُّ: وَاللهِ لَا أَبِيعُهُ وَلَا أُسْلِفُهُ إِلَّا بِرَهنٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**وَاللهِ لَوْ بَاعَنِي أَوْ أَسْلَفَنِي لَقَضَيتُهُ، وإِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ في الأَرضِ، اذْهَبْ بِدِرْعِي الْحَدِيدِ إِلَيهِ**». قَالَ: فَنَزَلَتْ تَعْزِيَةً عَنِ الدُّنيَا[١].

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: مَن لم يتعزَّ بعزاءِ الله تقطَّعت نفسه حسرات على الدُّنيا[٢].

وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر الحجرِ[٣].

قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

[٥٤٥/أ] وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، والزُّهريُّ، ويعقوبُ: «زَهَرَةَ» بفتح الهاءِ[٤].

قال الزَّجَّاجُ: وهو منصوبٌ بمعنى متعنا، لأنَّ معنى متعنا: جعلنا لهم الحياة الدُّنيا زهرة ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم[٥].

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٣/ ٣٤٦ ـ ٦/ ٢٤٥)، والروياني في مسنده (٦٩٥) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد بن قُسيط، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ بنحوه. وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٨٨).

(٤) عن عيسى، وأبي البرهسم، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٦) داود بن عبد الرحمن، عن ابن كثير، والحسن، وسلام، ويعقوب، وغيرهم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٠).

وقال ابنُ قُتيبةَ: لنختبرهم[١].

قال المفسِّرون: زهرة الدُّنيا: بهجتها وغضارتها وما يروق النَّاظرُ منها عند رؤيته، وهو من زهرةِ النَّبات وحسنِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنَّه ثوابُه في الآخرةِ.

والثاني: القناعةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ قال المفسِّرون: المراد بأهله: قومه ومن كان على دينه: ويدخل في هذا أهل بيته.

قوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: واصبر على الصَّلاةِ ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لا نكلِّفك رزقًا لنفسك ولا لخلقنا، إنَّما نأمركَ بالعبادةِ ورزقك علينا، ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: وحسن العاقبة لأهل التَّقوى.

وكان بكرُ بنُ عبدِ الله المزني إذا أصاب أهلَه خصاصة قال: قوموا فصلُّوا، ثمَّ يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، ويتلو هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٣ - ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلَّا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمَّدٌ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي: كآيات الأنبياءِ، نحو الناقة والعصا، ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٣).

قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿ تَأْتِهِم ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «يَأْتِهِم» بالياءِ[١].

قوله تعالى: ﴿ بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: أولم يأتهم في القرآنِ بيان ما في الكتب من أخبار الأُممِ التي أهلكناها لما سألوا الآيات ثمَّ كفروا بها، فما يؤمنهم أن تكون حالهم في سؤالِ الآياتِ كحال أولئك؟

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم ﴾ يعني مشركي مكَّة ﴿ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ في الهاءِ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى الكتابِ، قاله مُقاتلٌ[٢].

والثاني: إلى الرَّسولِ، قاله الفَرَّاءُ[٣].

قوله تعالى: ﴿ لَقَالُواْ ﴾ يوم القيامةِ ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ أي: هلَّا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ يدعونا إلى طاعتك ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ أي: نعمل بمقتضاها ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ بالعذابِ ﴿ وَنَخْزَىٰ ﴾ في جهنَّم.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ، وأبو حاتم عن يعقوبَ: «نُذَلَّ» و«نُخْزَى» برفع النُّونِ فيهما، وفتح الذَّال[٤].

---

(١) السبعة (ص: ٢٧٤)، والحجة (٣/ ٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٧).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٩٧).

(٤) عن ابن عباس، ومحمد بن الحنفية في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٣٠٢) زيد بن علي، والحسن في رواية عباد، والعمري، وداود، والفزاري، وأبو حاتم، ويعقوب.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿كُلٌّ﴾ منَّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: نحن نتربَّصُ بكم العذاب في الدُّنيا، وأنتم تتربَّصون بنا الدَّوائر ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ أي: فانتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمرُ الله ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ أي: الدِّين المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ من الضلالةِ، أنحن، أم أنتم؟

وقيل: هذه الآيةُ منسوخةٌ بآية السَّيفِ، وليس بشيءٍ.

سورة الأنبياء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١ - ١٠].

وهي مكّيةٌ بإجماعهم من غير خلافٍ نعلمه.

قوله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ افتعل، من القربِ، يقال: قرب الشَّيءُ واقتربَ.

وهذه الآية نزلت في كفَّار مكَّةَ(١).

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ وقت حسابهم(٢).

وقيل: اللَّام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى: من والمراد بالحساب: محاسبة الله لهم على أعمالهم.

---

(١) قاله مقاتل ابن سليمان (٣/ ٦٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٣).

[٥٤٥/ب] **وفي معنى قربه قولان:**

أحدهما: أنَّه آت، وكل آتٍ قريب.

والثاني: لأنَّ الزَّمانَ لكثرة ما مضى وقلَّة ما بقي قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عمَّا يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهُّبِ له، وقيل: اقترب للنَّاس عامٌّ، والغفلةُ والإعراضُ خاصٌّ في الكفَّارِ، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾.

وفي هذا الذِّكرِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه القرآنُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ؛ فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ إلى إنزاله له، لأنَّه أنزل شيئًا بعد شيءٍ.

والثاني: أنَّه ذكر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

وقال النَّقاشُ: هو ذكرٌ من رسولِ الله وليس بالقرآنِ.

والثالث: أنَّه رسولُ الله، بدليل قوله في سياقِ الآية: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، قاله الحسنُ بنُ الفضلِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يستمعون القرآن مستهزئين[1].

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة عما يراد بهم.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٩).

قال الزَّجاجُ: المعنى: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ لاعبين ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾[1].

وقرأ عكرمةُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «لاهيةٌ قلوبهم» بالرَّفعِ[2].

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، يعني المشركين، ثمَّ بيَّن مَن هم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: أشركوا بالله، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع على البدل من الضمير في ﴿وَأَسَرُّواْ﴾.

ثمَّ بيَّن سرَّهم الذي تناجوا به فقال: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي، فليس بملك؛ وهذا إنكارٌ لنبوَّته.

وبعضهم يقول: أسرَّوا هاهنا بمعنى: أظهروا، لأنَّه من الأضدادِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: أفتقبلون السِّحرَ وأنتم تعلمون أنَّه سحرٌ؟ يعنون أنَّ متابعةَ محمَّدٍ ﷺ متابعة السَّحرِ.

﴿قَالَ رَبِّى﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «قل ربي»[3].

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿قَالَ رَبِّى﴾، وكذلك هي في مصاحف الكوفيين، وهذا على الخبر عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: يعلم

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٣).

(٢) عن عيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٠٧) عن ابن أبي عبلة.

(٣) السبعة (ص:٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).



القول، أي: لا يخفى عليه شيءٌ يقال في السَّماءِ والأرضِ، فهو عالمٌ بما أسررتم.

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ ﴾ قال الفرَّاءُ: رَدَّ بـ﴿ بَلْ ﴾ على معنى تكذيبهم، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم، لأنَّ معناه الإخبار عن الجاحدينَ[١].

وأعلم أنَّ المشركينَ كانوا قد تحيَّروا في أمر رسولِ الله ﷺ، فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به سحر، وبعضهم يقول: أضغاثُ أحلامٍ، وهي الأشياء المختلطة ترى في المنام؛ وقد شرحناها في يوسفَ[٢]، وبعضُهم يقول: افتراه، أي: اختلقه، وبعضُهم يقول: هو شاعرٌ فليأتنا بآيةٍ كالنَّاقة والعصا، فاقترحوا الآيات التي لا إمهال بعدها.

قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم ﴾ يعني: مشركي مكَّةَ ﴿ مِّن قَرْيَةٍ ﴾ وصف القرية، والمراد أهلها، والمعنى: أنَّ الأممَ التي أهلكت بتكذيبِ الآياتِ، لم يؤمنوا بالآياتِ لما أتتهم، فكيف يؤمن هؤلاءِ؟ وهذه إشارةٌ
[٥٤٦/أ] إلى أنَّ الآيةَ لا تكون سببًا للإيمانِ، إلَّا أن يشاءَ الله.

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ هذا جوابُ قولهم: ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾.

قرأ الأكثرونَ: «يُوحِي» بالياءِ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٩).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٤٤).

وروى حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿نُوحِيٓ﴾ بالنُّونِ[١].

وقد شرحنا هذه الآية في النَّحلِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ يعني الرُّسل ﴿جَسَدًا﴾.

قال الفَرَّاءُ: لم يقل: أجسادًا، لأنَّه اسم الجنس[٣].

قال مجاهدٌ: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ ليس فيهم روح.

قال ابنُ قُتيبةَ: ما جعلنا الأنبياءَ قبله أجسادًا لا تأكل الطَّعام ولا تموت فنجعله كذلك[٤].

قال المبرِّدُ وثعلبٌ جميعًا: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخبارًا، فمعنى الآية: إنَّما ﴿جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ ليأكلوا الطَّعام.

قال قتادةُ: المعنى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ إلَّا ليأكلوا الطَّعامَ[٥].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذبيهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ وهم الذين صدقوهم ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: أهل الشِّركِ، وهذا تخويفٌ لأهلِ مكَّةَ، ثمَّ ذكر منَّته عليهم بالقرآنِ فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ

---

(١) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والتيسير (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٩٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: فيه دينكم، قاله الحسنُ، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم.

والثالث: فيه تذكرةٌ لكم لما تلقونه من رجعة أو عذابٍ، قاله الزَّجَّاجُ(١).

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضلتكم به على غيركم.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[الأنبياء: ١١- ١٥].

ثمَّ خوَّفهم فقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ قال المفسِّرون واللُّغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصمِ: الكسر.

وقوله: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، أي: كافرةً، والمراد: أهلها. ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسَّةِ البصرِ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي: يعدون، وأصلُ الرَّكضِ: تحريك الرِّجلين، يقال: ركضت الفرس: إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ قال المفسِّرون: هذا قول الملائكةِ لهم: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ أي: إلى نعمكم التي أَتْرَفتكم، وهذا توبيخٌ لهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٥).

وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تسألون من دنياكم شيئًا، استهزاء بهم، قاله قتادةُ.

والثاني: تسألون عن قتل نبيكم، قاله ابنُ السَّائبِ.

فلـمَّا أيقنوا بالعذابِ ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبيِّنا.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما زالت تلك الكلمةُ التي هي ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ قولهم يرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ بالعذابِ، وقيل: بالسِّيوفِ ﴿خَٰمِدِينَ﴾ أي: ميتين كخمودِ النَّارِ إذا طفئت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١٦- ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ أي: لم نخلق ذلك عبثًا، إنَّما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيَّتنا ليعتبر النَّاس بخلقه، فيعلموا أنَّ العبادةَ لا تصلح إلَّا لخالقِهِ، لنجازي أولياءنا، ونعذِّب أعداءنا.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٥٤٦/ب] أحدهما: أنَّ المشركين لما قالوا: الملائكة بناتُ الله والآلهة بناته، نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ نصارى نجران قالوا: إنَّ عيسى ابن الله، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مقاتلٌ[١].

وفي المراد باللَّهو ثلاثة أقوالٍ:

أحدهما: الولد، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو أردنا أن نتَّخذ ولدًا ذا لهو نلهى به[٢].

والثاني: المرأة، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ.

والثالث: اللَّعب، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾.

قال ابنُ جريجٍ: لاتَّخذنا نساء وولدًا من أهل السَّماءِ، لا من أهل الأرضِ[٣].

قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل اللَّهو: الجماع، فكني عنه باللَّهو، كما كني عنه بالسرِّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لاتَّخذناه من عندنا، لأنَّكم تعلمون أنَّ ولد الرَّجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيرِه[٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٦).

(٣) لم أقف عليه في المصادر.

(٤) غريب القرآن (ص:٢٨٥).

وفي قوله ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ «إنْ» بمعنى «ما»، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والحسنُ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّها بمعنى الشَّرطِ.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إن كنَّا نفعل ذلك، ولسنا ممن يفعلُه؛ قال: والقول الأوَّل قول المفسِّرين، والثَّاني قول النَّحويين، وهم يستجيدونَ القول الأوَّل أيضًا، لأن إن تكون في موضع النَّفي، إلَّا أنَّ أكثرَ ما تأتي مع اللَّامِ، تقول: إن كنت لصالحًا، معناه: ما كنت إلَّا صالحًا[1].

قوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فإنَّه باطلٌ ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: نسلِّط الحقَّ وهو القرآنُ ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ وهو كذبهم ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يكسره، وأصلُ هذا إصابةُ الدِّماغِ بالضَّربِ، وهو مَقْتلٌ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائلٌ ذاهبٌ[2].

قال المفسِّرون: والمعنى: إنَّا نبطل كذبهم بما نبين من الحقِّ حتَّى يضمحلَّ، ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: من وصفكم الله بما لا يجوزُ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: هم عبيده وملكه ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني الملائكة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: لا يرجعون، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: لا ينقطعونَ، قاله مجاهدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يعيون، والحَسِير: المنقطع الواقفُ إعياء وكلالًا(١).

والثالث: لا يملون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾.

قال قتادةُ: لا(٢) يسأمون(٣).

وسئل كعبٌ: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجةٌ؟ فقال للسَّائلِ: يا ابن أخي، جعل لهم التَّسبيح كما جُعل لكم النَّفس، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتتكلَّم وأنت تتنفَّسُ؟ فكذلك جُعل لهم التَّسبيحُ(٤).

ثمَّ إنَّ الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأنَّ أصنامهم من الأرضِ هي(٥) سواء كانت من ذهبٍ أو فضةٍ أو خشبٍ أو حجارةٍ ﴿هُمْ﴾ يعني: الآلهة ﴿يُنْشِرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى.

وقرأ الحسنُ: «يَنْشُرونَ» بفتح الياءِ وضمِّ الشِّينِ(٦).

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

(٢) ليست في (س).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٤٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بلفظ: «الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْأَمُونَ فِيهَا».

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (١٦/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (١٣٦٣٠) في تفسيرهما عند عبد الله بن الحار، به.

(٥) ليست في (س).

(٦) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٧).

وهذا استفهامٌ بمعنى الجحد، والمعنى: ما اتَّخذوا آلهة تنشر ميِّتًا.

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ يعني: السَّماء والأرض ﴿ ءَالِهَةٌ ﴾ يعني: معبودين ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾. [٥٤٧/أ]

قال الفَرَّاءُ: سوى الله(١).

وقال الزَّجَّاجُ: غير الله(٢).

قوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: لخربتا وبطلتا وهلك مَن فيهما، لوجودِ التَّمانع بين الآلهة، فلا يجري أمرُ العالم على النِّظامِ، لأنَّ كلَّ أمرٍ صدر عن اثنين فصاعدًا لم يسلم من الخلافِ.

قوله تعالى: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ ﴾ أي: عمَّا يحكم في عبادِهِ من هدى وإضلالٍ، وإعزازٍ وإذلالٍ، لأنَّه المالكُ للخلقِ، والخلق يسألون عن أعمالهم؛ لأنَّهم عبيدٌ يجبُ عليهم امتثالُ أمر مولاهم، ولما أبطل ﷻ أن يكونَ إله سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ أبطل ذلك من حيث الأمرِ فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ ﴾ وهذا استفهامُ إنكارٍ وتوبيخٍ ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ على ما تقولون، ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يعني القرآن خبر من معي على ديني ممَّن يتَّبعني إلى يوم القيامةِ بما لهم من الثَّوابِ على الطَّاعةِ والعقابِ على المعصيةِ ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتبُ التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أن

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٨).



الله أمر باتِّخاذ إلهٍ سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتِّخاذ معبودٍ غيره من حيث الأمر به.

قال الزَّجَّاجُ: قيل لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرۡهَـٰنَكُمۡ﴾ بأن رسولاً من الرُّسلِ أخبر أمَّته بأنَّ لهم إلهًا غير الله[1].

قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ يعني: كفَّار مكَّة.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه القُرآنُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: التوحيدُ، قاله مقاتلٌ[2].

﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن التَّفكرِ والتَّأمُّلِ وما يجب عليهم من الإيمانِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَلَدًاۗ سُبۡحَـٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٢٥-٢٩].

قوله تعالى: ﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿إِلَّا نُوحِيٓ﴾ بالنُّون؛ والباقون بالياءِ[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٤٨).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ ﴾ **في القائلين لهذا قولان:**

أحدهما: أنَّهم مشركو قريشٍ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وقال ابنُ إسحاقَ: القائل لهذا النَّضرُ بنُ الحارثِ.

والثاني: أنَّهم اليهودُ، قالوا: إنَّ الله صاهر الجنَّ فكانت منهم الملائكةُ، قاله قتادةُ.

فعلى القولين، المرادُ بالولد الملائكةُ، وكذلك المرادُ بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ والمعنى: بل عبادٌ أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾، أي: لا يتكلَّمون إلَّا بما يأمرهم بِهِ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يقولون حتَّى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتَّى يأمرهم[1].

قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ما قدَّموا من الأعمالِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما هم عاملون، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ يومَ القيامةِ، وقيل: لا يستغفرون في الدُّنيا ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ أي: لمن رضي عنه، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ ﴾ أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون.

وقال الحسنُ: يرتعدون.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي: من الملائكةِ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).



قــال الضَّحــاكُ في آخريــن: هــذه خاصَّــةٌ لإبليــسَ، لم يــدع أحــدٌ مــن الملائكــةِ إلى عبــادةِ نفسِــهِ ســواه(١).

قــال أبــو ســليمان الدِّمشــقيُّ: وهــذا قــول مَــن قــال: إنَّــه مــن الملائكــةِ، فــإنَّ إبليــسَ قــال ذلــك للملائكــةِ الذيــن هبطــوا معــه إلى الأرضِ، ومَــن قــال: إنَّــه ليــس مــن الملائكــةِ، قــال: هــذا عــلى وجــه التَّهديــدِ، ومــا قــال أحــدٌ مــن الملائكــة ذلــك. [٥٤٧/ب]

قولــه تعــالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبيــاء: ٣٠-٣٣].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: أولم يعلموا.

وقــرأ ابــنُ كثــيرٍ: «ألم يــر الذيــن كفــروا» بغــير واوٍ بــين الألــفِ والــلَّامِ، وكذلــك هــي في مصاحــف أهــلِ مكَّــةَ(٢).

﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ﴾.

قــال أبــو عُبيــدةَ: السَّــمواتُ جمــعٌ، والأرضُ واحــدةٌ، فخرجــت صفــة

---

(١) رواه ابــن أبي حاتــم في تفســيره (١٣٦٣٦) بلفــظ: «ولم يقــل ذَلِــكَ أحــد مِــنَ الملائكــة إلا إبليــس، دعــا إِلَى عبــادة نفســه وشرع الكُفْــرِ».

(٢) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٥)، والمبسوط (١/ ٣٠١).

لفظ الجمع على لفظ صفةِ الواحدِ، والعربُ تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحدٍ، والرَّتق مصدرٌ يوصفُ به الواحد والاثنان والجمع والمذكَّر والمؤنَّث سواء، ومعنى الرَّتق: الذي ليس فيه ثقبٌ[١].

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: كانتا ذواتي رتقٍ، فجعلهما ذوات فتقٍ، وإنَّما لم يَقُلْ: رتقَيْن لأنَّ الرَّتقَ مصدرٌ[٢].

وللمفسِّرينَ في المرادِ به ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ السَّمواتِ كانت رتقًا لا تمطرُ، وكانت الأرضُ رتقًا لا تنبتُ، ففتق هذه بالمطرِ، وهذه بالنَّباتِ، رواه عبدُ الله بنُ دينارٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[٣]، وبه قال عطاءٌ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ في روايةٍ، والضَّحاكُ في آخرين.

والثاني: أنَّ السَّمواتِ والأرضَ كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣٩) عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: أنَّ رَجُلًا أتاه يسأله عَن ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾؟ قَالَ: اذهب إِلَى ذَلِكَ الشيخ فاسأله، ثُمَّ تَعَالَ فأخبرني مَا قَالَ لك. قَالَ: فذهب إِلَى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كَانَتِ السماوات رتقًا لا تمطر، وكَانَتِ الأَرْض رتقًا لا تنبت، فلما خلق الأَرْض أهلًا فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إِلَى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت إنَّ ابن عباس قد أوتي في القرآن علمًا صدق- هكذا كانت: قَالَ ابن عمر قد كنت أقول: مَا يعجبني جراءة ابن عباس عَلَى تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علمًا.



والثالث: أنَّه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعًا، ومن السَّماء ست سموات فصارت سبعًا، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.

قرأ معاذٌ القارئ، وابنُ أبي عبلةَ، وحميدُ بن قيسٍ: «كل شيء حيًّا» بالنَّصب[1].

وفي هذا ﴿ٱلْمَآءِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه الماءُ المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سببًا لحياةِ كلِّ حيٍّ، قاله الأكثرون.

والثاني: أنَّه النطفةُ، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ قد فسَّرناه في النَّحل[2].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرَّواسي ﴿فِجَاجًا﴾.

قال أبو عبيدةَ: هي المسالك[3].

قال الزَّجَّاجُ: الفجاج جمع فَجٍّ، وهو كلُّ منخرقٍ بين جبلينِ، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طُرقاً[4].

---

(١) عن حميد في البحر المحيط (٧/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (١٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعلنا من الجبال طُرقاً كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفارِ[١].

قال المفسِّرون: وقوله: سبلًا تفسير للفجاج، وبيان أنَّ تلك الفجاج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفجُّ غير نافذٍ.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ أي: هي للأرضِ كالسَّقفِ.

وفي معنى ﴿مَّحْفُوظًا﴾ **قولان**:

أحدهما: بالنُّجوم من الشَّياطينِ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: ﴿مَّحْفُوظًا﴾ من الوقوع إلَّا بإذنِ الله، قاله الزَّجَّاجُ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ، ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها.

قال الفَرَّاءُ: وقرأ مجاهدٌ: «عن آيتها» فوحَّده، فجعل السَّماء بما فيها آية، وكلٌّ صوابٌ[٣].

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِى فَلَكٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: الفلك: مدار النُّجومِ الذي يضمُّها، وسمَّاه فلكًا، لاستدارته، ومنه قيل: فَلْكَةُ المِغْزَلِ، وقد فَلَكَ ثَدْيَ المرأة[٤]. [٥٤٨/أ]

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٠٢).

(٤) أدب الكاتب (ص: ٨٥).



قال أبو سليمان: وقيل: إنَّ ـ الفلك كهيئة السَّاقيةِ من ماء ـ مستديرة دون السَّماءِ وتحت الأرضِ، فالأرضُ وسطها، والشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ واللَّيلُ والنَّهارُ يجرون في الفلك، وليس الفلك يديرها.

ومعنى ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يجرون.

قال الفَرَّاءُ: لما كانت السِّباحةُ من أفعالِ الآدميين، ذكرت بالنُّونِ، كقوله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] لأنَّ السُّجودَ من أفعالِ الآدميين[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[الأنبياء: ٣٤-٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾.

سببُ نزولها: أنَّ ناسًا قالوا: إنَّ محمَّدًا لا يموت، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتلٌ[٢].

ومعنى الآية: ما خلَّدنا قبلك أحدًا من بني آدم؛ والخُلد: البقاء الدائمُ.

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ يعني: مشركي مكَّةَ، لأنَّهم قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾[الطور: ٣٠].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٧).

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾.

قال ابنُ زيدٍ: نختبركم بما تحبُّون لننظر كيف شكركم، وبما تكرهون لننظر كيف صبركم[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابنُ عامرٍ: «تَرْجِعُونَ» بتاءٍ مفتوحةٍ.

وروى ابنُ عبَّاسٍ، عن أبي عمرٍو: «يُرْجعون» بياءٍ مضمومةٍ.

وقرأ الباقون بتاءٍ مضمومةٍ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

قال ابنُ عبَّاس: يعني المستهزئين[(٣)].

وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أبي جهلٍ، مرَّ به رسول الله ﷺ فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد منافٍ[(٤)].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٩) بلفظ: «نَبْلُوهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ وَبِمَا يَكْرَهُونَ نَخْتَبِرُهُم بِذَلِكَ لِنَنْظُرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ، وَكَيْفَ صَبْرُهُمْ فِيمَا يَكْرَهُونَ».

(٢) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٧٥).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٥٥) بلفظ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أبي سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وَقَالَ لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان فقال: مَا تنكرون أنْ يكون لبني عبد مناف نَبِيّ، فسمعها النَّبِيّ ﷺ فرجع إِلَى أَبِي جهل فوقع به وخوفه وَقَالَ:
مَا أراك منتهيًا حتى يصيبك مَا أصاب عمك وَقَالَ لأبي سفيان: أما إنك لَمْ تقل مَا قلت إلا حمية فنزلت هذه الآية».



و﴿إِن﴾ بمعنى ما ومعنى ﴿هُزُوًا﴾ مهزوءًا به ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم، وفيه إضمارٌ يقولون، ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وذلك أنَّهم قالوا: ما نعرفُ الرَّحمن، فكفروا بالرَّحمن.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧- ٤١].

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» بفتحِ الخاءِ واللَّامِ ونصب النُّونِ من الإنسانِ(١).

وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريشٌ بالعذابِ.

وفي المراد بـ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هاهنا ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: النَّضْر بنُ الحارثِ، وهو الذي قال: اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقُّ من عندك الآية [الانفال: ٣٢]، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: آدم ﷺ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين.

---

(١) عن مجاهد، وحُميد بن قيس في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

والثالث: أنَّه اسمُ جنسٍ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ[١].

فعلى هذا يدخلُ النَّضْر بنُ الحارثِ وغيره في هذا، وإن كانت الآية نزلت فيه.

فأمَّا مَن قال: أُريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنَّه خلق عجولًا، قاله الأكثرون.

فعلى هذا يقول: لما طبع آدم على هذا المعنى، وجد في أولادِهِ، وأورثهم العجل.

والثاني: خلق بعجل، استعجلَ بخلقِهِ قبل غروبِ الشَّمسِ من يومِ الجمعةِ، وهو آخر الأيَّامِ السِّتَّةِ، قاله مجاهدٌ.

فأمَّا مَن قال: هو اسم جنسٍ، ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: خلق عجولًا.

قال الزَّجَّاجُ: خوطبت العربُ بما تعقل، والعربُ تقول للَّذي يكثر منه اللَّعب: إنَّما خُلِقْتَ من لعبٍ، يريدون المبالغة في وصفه بذلك[٢].

والثَّاني: أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: خلقت العجلة في الإنسانِ، قاله ابنُ قُتيبةَ[٣]. [٥٤٨/ب]

(١) تفسيره الوسيط (٣/ ٢٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما أصاب الأمم المتقدِّمة؛ والمعنى: إنَّكم تسافرون فترون آثارَ الهلاكِ في الماضين، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثاني: أنَّها القتل ببدرٍ، قاله مقاتلٌ(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أثبت الياء في الحالين يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون: القيامةَ.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جوابه محذوفٌ، والمعنى: لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي: لا يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يمنعون ممَّا نزلَ بهم، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ يعني السَّاعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم؛ وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: صرفها عنهم، ولا هم يمهلون لتوبة أو معذرةٍ.

ثم عزَّى نبيَّه، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كما فعل بك قومك ﴿فَحَاقَ﴾ أي: نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ أي: من الرُّسل ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني: العذاب الذي كانوا استهزؤوا به.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠).

قولــه تعــالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبيــاء: ٤٢-٤٥].

قولــه تعــالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ المعنــى: قــل لهــؤلاءِ المســتعجلين بالعــذابِ: مَــن يحفظكــم مــن بــأسِ الرَّحمــنِ إن أراد إنزالــه بكــم؟ وهذا اســتفهامُ إنــكارٍ، أي: لا أحــد يفعــل ذلــك، ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾ أي: عــن كلامِــهِ ومواعظِــهِ ﴿مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكَّــرون ولا يعتــبرون.

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ ﴾ فيــه تقديــمٌ وتأخــيرٌ، وتقديــره: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾مــن دوننــا تمنعهــم؟ وهاهنــا تــمَّ الــكلامُ.

ثــمَّ وصــف آلهتهــم بالضَّعــف، فقــال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ والمعنــى: مَــن لا يقــدر عــلى نــصرِ نفسِــهِ عــمَّا يــراد بــه، فكيــف ينــصر غــيرَهُ؟

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُم ﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الكفَّارُ وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم الأصنامُ، قاله قتادةُ.

وفي معنى ﴿يُصۡحَبُونَ﴾ أربعة أقوالٍ:

أحدها: يجارون، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى: لا يجيرُهم منَّا أحدٌ؛ لأنَّ الْمُجِيرَ صاحبٌ لجارِهِ[1].

والثاني: يمنعون، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: ينصرون، قاله مجاهدٌ.

والرابع: لا يصحبون بخيرٍ، قاله قتادةُ.

ثمَّ بيَّن اغترارهم بالإمهالِ، فقال: ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾ فاغترُّوا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ قد شرحناه في الرَّعد[2]، ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحال، وهو نقصُ الأرضِ، والمعنى: ليسوا بغالبين، ولكنَّهم المغلوبون.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾ أي: أخوفكم ﴿بِٱلۡوَحۡيِ﴾ أي: بالقرآنِ، والمعنى: إنَّني ما جئت به من تلقاءِ نفسي، إنَّما أمرت فبلغت، ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «ولا تُسْمِعُ» بالتَّاءِ مضمومة «الْصُمَّ» نصبًا[3].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٤١).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٥).

وقرأ ابنُ يعمرَ، والحسنُ: «ولا يُسمَعُ» بضمِّ الياءِ وفتح الميمِ، «الصمُّ» بضمِّ الميمِ[١].

شبَّه الكفَّارَ بالصمِّ الذين لا يسمعون نداء مناديهم؛ ووجه التَّشبيه أنَّ هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُّمِّ لا يفيدهم صوتُ مناديهم. [٥٤٩/أ]

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ ﴾ أي: أصابتهم ﴿ نَفْحَةٌ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: طرف[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: المراد أدنى شيءٍ من العذابِ، ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ ﴾ والويل ينادي به كل من وقع في هلكة[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٤٦- ٤٧].

قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسطِ، والقسط: العدل، وهو مصدرٌ يوصف به، يقال: ميزان قسطٍ، وميزانان قسط، وموازين قسط[٤].

---

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٣).

(٤)معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٣).

قال الفَرَّاءُ: ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ من صفةِ الموازين وإن كان موحدًا، كما تقول: أنت عَدْلٌ، وأنتم رضى[١].

وقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وفي يومِ القيامةِ سواء.

وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أوَّل الأعرافِ[٢].

فإن قيل: إذا كان الميزانُ واحدًا، فما المعنى بذكرِ الموازين؟

فالجوابُ: أنَّه لما كانت أعمالُ الخلائقِ توزنُ وزنة بعد وزنة، سمِّيت موازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقص محسنٌ من إحسانِه، ولا يزاد مسيء على إساءته ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: وزن حبَّة.

وقرأ نافعٌ: «مثقالُ» برفع اللَّامِ[٣].

قال الزَّجَّاجُ: ونصب ﴿مِثْقَالَ﴾ على معنى: وإن كان العملُ مثقال حبَّة[٤].

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وإن كان الظلامة مثقال حبَّة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ قال: ومَن رفع، أسند الفعلَ إلى المثقالِ، كما أسند في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[البقرة: ٢٨٠][٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٦)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(٥) الحجة (٥/ ٢٥٦).

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: جئنا بها.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وحميدٌ: «آتينا» ممدودة، أي: جازينا بها[١].

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على وجهين:

أحدهما: التَّمييز.

والثاني: الحال[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨-٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه التَّوارةُ التي فرّق بها بين الحلالِ والحرامِ، قاله مجاهدٌ وقتادةُ.

والثاني: البرهان الذي فرّق به بين حقِّ موسى وباطل فرعون، قاله ابنُ زيدٍ.

والثالث: النَّصرُ والنَّجاةُ لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾.

روى عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه كان يرى الواو زائدة.

---

(١) ابن عباس، ومجاهد في مختصر ابن خالويه (ص:٩٤)، والمحتسب (٢/ ٦٣)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

قال الزَّجَّاجُ: وكذلك قال بعضُ النَّحويين أنَّ المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أنَّ الواو لا تزاد ولا تأتي إلَّا بمعنى العطفِ، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] قال المفسِّرون: والمعنى: أنَّهم استضاؤوا بالتَّوراة حتَّى اهتدوا بها في دِينهم(١).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنَّهم يذكرونه ويعملونَ بما فيه.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ **فيه أربعة أقوالٍ:**

أحدها: يخافونه ولم يرَوه، قاله الجمهورُ.

والثَّاني: ﴿يَخْشَوْنَ﴾ عذابه ولم يروه، قاله مقاتلٌ(٢).

والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ.

والرَّابع: يخافونه إذا غابوا عن أعينِ النَّاسِ كخوفهم إذا كانوا بين النَّاسِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

ثم عاد إلى ذكرِ القرآنِ، فقال: ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القُرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ لمن
[٥٤٩/ب] تذكَّر به، وعظة لمن اتَّعظ ﴿مُّبَارَكٌ﴾ أي: كثيرُ الخيرِ ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهلَ
مكَّةَ ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أي: جاحدون؟ وهذا استفهامُ توبيخٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢).

قولــه تعــالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[الأنبيــاء: ٥١-٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ أي: هداه.

﴿مِن قَبْلُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: آتيناه ذلك في العلمِ السَّابقِ، قاله الضَّحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: من قبل موسى وهارون، قاله الضَّحاكُ.

وقد أشرنا إلى قصَّة إبراهيمَ في الأنعام(١).

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: علمنا أنَّه موضعٌ لإيتاءِ الرشدِ.

ثــم بــيَّن متــى آتــاه فقــال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعنــي: الأصنــام.

والتِّمثــال: اســمٌ للــشيء المصنــوع مشــبَّهًا بخلــقٍ مــن خلــق الله تعــالى، وأصلُــه مــن مَثَّلْــتُ الــشَّيء بالــشَّيء: إذا شــبَّهته بــه.

---

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٥).

وقولـه: ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا﴾ أي: عـلى عبادتهـا ﴿عَٰكِفُونَ﴾ أي: مقيمـون، فأجابـوه أنَّهـم رأوا آباءهـم يعبدونهـا فاقتـدوا بهـم، فأجابهـم بأنَّهـم فيـها فعلـوا وآباءهـم في ضـلالٍ مبـينٍ، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ يعنـون: أجـادٌّ أنـت، أم لاعـبٌ؟

قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ الكيد: احتيالُ الكائدِ في ضر المكيد.

والمفـسِّرون يقولـون: لأكيدنَّهـا بالكـسرِ ﴿بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ أي: تذهبـوا عنهـا، وكان لهـم عيـدٌ في كلِّ سـنةٍ يخرجـون إليـه ولا يخلفـون بالمدينـةِ أحـدًا، فقالـوا لإبراهيـمَ: لـو خرجـت معنـا إلى عيدنـا أعجبـك ديننـا، فخـرج معهـم، فلـمَّا كان ببعـض الطَّريـقِ، قـال: إنِّي سـقيمٌ، وألقـى نفسَـه، وقـال سرًّا منهـم: وتـالله لأكيـدنَّ أصنامكـم، فسـمعه رجـلٌ منهـم، فأفشـاه عليـه، فرجـع إلى بيـتِ الأصنـامِ، وكانـت ـ فيـما ذكـره مقاتـلُ بـنُ سـليمانَ ـ اثنـين وسـبعين صنـمًا مـن ذهـبٍ وفضـةٍ ونحـاسٍ وحديـدٍ وخشـبٍ، فكسرهـا، ثـمَّ وضـعَ الفـأسَ في عنـق الصَّنـم الكبـيرِ، فذلـك قولـه: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾.

قرأ الأكثرونَ: ﴿جُذَٰذًا﴾ بضمِّ الجيمِ[1].

وقـرأ أبـو بكـرٍ الصِّديـق، وابـنُ مسـعودٍ، وأبـو رَزيـنٍ، وقتـادةُ، وابـنُ محيصـنٍ، والأعمـشُ، والكسـائيُّ: «جِـذاذًا» بكسـرِ الجيـمِ[2].

---

(١) السبعة (ص:٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٧)، والتيسر (ص:١٥٥).

(٢) عن ابن عباس، وأبو نهيك في التحصيل (٤/ ٣٩٠).

وقـرأ أبـو رجـاءٍ العُطـارديُّ، وأيُّـوبَ السّـختيانيُّ، وعاصـمٌ الجَحْـدريُّ: «جَـذاذًا» بفتـح الجيـمِ[1].

وقرأ الضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ: «جَذَذًا» بفتح الجيمِ من غير ألفٍ.

وقـرأ معـاذٌ القـارئ، وأبـو حيـوةَ، وابـنُ وثـاب: «جُـذذًا» بضـمِّ الجيـم مـن غـيرِ ألـفٍ[2].

قال أبو عبيدةَ: أي: مستأصلين، قال جريرٌ[من البسيط][3]:

بَنُـو الْمُهَلَّـبِ جَـذَّ اللـهُ دَابِرَهُـمْ   أَمْسَـوْا رَمَـادًا فَـلَا أَصْـلٌ وَلَا طَـرَفُ

أي: لم يبـقَ منهـم شيء، ولفـظ جـذاذ يقـع عـلى الواحـدِ والاثنـين والجميع مـن المذكَّـر والمؤنَّثِ.

وقـال ابـنُ قُتيبـةَ: ﴿جُذَٰذًا﴾ أي: فُتَاتًـا، وكل شيءٍ كسرتـه فقـد جَذَذْتَـهُ، ومنه قيـل للسَّـويق: الْجَذِيـذُ[4].

وقـرأ الكسـائيُّ: «جِـذاذًا» بكـسر الجيـمِ عـلى أنَّـه جمـع جذيـذ، مثـل ثقيـل وثقـال، وخفيـف وخفـاف[5].

(١) عـن أبي نهيـك، وأبـو السـمال في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٩٤)، وعـن أبي السَّـمَّال في التحصيـل (٤/ ٣٩٠).

(٢) عن يحيى بن وثاب في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٣) ديوانـه (ص: ١٧٦)، ومجـاز القـرآن (٢/ ٤٠)، ولسـان العـرب (٢/ ٦٠٠)، ومجمـع الأمثـال (١/ ١٧٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٢٩٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٨٦).

والجذيذ بمعنى: المجذوذ، وهو المكسور.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي: كسر الأصنام إلَّا أكبرها.

[٥٥٠/أ] قال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أن يكون أكبرها في ذاتِهِ، وجائزٌ أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إيَّاه[١].

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع الى الصَّنمِ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: لعلَّهم يرجعون إليه فيشاهدونه، هذا قولُ مقاتلٍ[٢].

والثاني: لعلَّهم يرجعون إليه بالتُّهمَةِ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

والثاني: أنَّها ترجع إلى إبراهيمَ، والمعنى: لعلَّهم يرجعون إلى دينِ إبراهيم بوجوب الحجَّةِ عليهم، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٥٩-٦٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٦).

فلـمَّا رجعـوا مـن عيدهـم ونظـروا إلى آلهتهـم ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: قـد فعـل مـا لم يكـن لـه فعلـه، فقـال الـذي سـمع إبراهيـم يقـول: لأكيـدنَّ أصنامكـم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾.

قال الفَرَّاءُ: أي: يعيبهم؛ نقول للرَّجلِ: لئن ذكَّرتني لتندمنَّ، تريد: بسوءٍ[١].

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأتوا به خفية.

قـال أبـو عُبيـدةَ: تقـول العـربُ إذا أُظهـر الأمـر واشـتهر: كان ذلـك عـلى أعـينِ النَّـاسِ[٢].

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدهـا: يشـهدون أنَّـه قـال لآلهتنـا مـا قـال، رواه أبـو صالـحٍ عـن ابـنِ عبَّـاسٍ، وبـه قـال الحسـنُ، وقتـادةُ.

والثاني: يشهدون أنَّه فعل ذلك، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمَّدُ بنُ إسحاقَ.

قـال المفسِّرون: فانطلقـوا بـه إلى نمـرودَ، فقـال لـه: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ غضـب أن تُعبـد[٣] معـه الصغـار، فكسرهـا، ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ مـن فعلـه بهـم؟ وهـذا إلـزامٌ للحجَّـةِ عليهـم بأنَّهـم جمـاد لا يقـدرون عـلى النُّطـقِ.

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٦).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٣) في (س): (يُعبد).

واختلف العلماءُ في وجه هذا القولِ من إبراهيم عليه السلام على قولين:

أحدهما: أنَّه وإن كان في صورةِ الكذب، إلَّا أنَّ المرادَ به التَّنبيه على أنَّ من لا قدرةَ له، لا يصلحُ أن يكون إلهًا، ومثله قول الملكين لداودَ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ [ص:٢٣]، ولم يكن له شيءٌ، فيجري هذا مجرى التَّنبيه لداودَ على ما فعلَ، وأنَّه هو المرادُ بالفعل والمثل المضروب؛ ومثل هذا لا تسمِّيه العربُ كذبًا.

والثاني: أنَّه من معاريض الكلامِ؛ فروي عن الكسائيِّ أنَّه كان يقف عند قوله تعالى: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ﴾ ويقول معناه: فعله مَن فعله، ثمَّ يبتدىء ﴿كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾[١].

قال الفَرَّاءُ: وقرأ بعضُهم: «بل فعلَّه» بتشديد اللَّامِ، يريد: فلعلَّه كبيرهم هذا[٢].

وقال ابنُ قُتيبةَ: هذا من المعاريضِ، ومعناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] أي: سأسقم ومثله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وقوله: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٤].

قال ابنُ عبَّاسٍ: لم ينس، ولكنَّه من معاريض الكلامِ، والمعنى: لا تؤاخذني بنسياني، ومن هذا قصَّة الخصمين ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص:٢١]،

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٩).

ومثله ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]، والعربُ تستعمل التَّعريض في كلامِها كثيرًا، فتبلغ إرادتها بوجهٍ هو ألطف من الكشفِ وأحسن من [٥٥٠/ب] التَّصريحِ.

ورُوي أنَّ قومًا من الأعرابِ خرجوا يمتارون، فلـمَّا صدروا، خالف رجل في بعض اللَّيل إلى عِكْمِ[1] صاحبه، فأخذ منه برًّا وجعله في عِكْمِه، فلـمَّا أراد الرِّحلة وقاما يتعاكمان، رأى عكمه يشول، وعكم صاحبه يثقُل، فأنشأ يقول:[2]

عِكْم تغشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ الْقَوْمِ   لَمْ أَرَ عِكْماً سَارقاً قَبْلَ الْيَوْمِ

فخوَّن صاحبه بوجهٍ هو ألطف من التَّصريحِ.

قال ابنُ الأَنبارِيِّ: كلام إبراهيم كان صدقًا عند البحثِ، ومعنى قول النَّبي ﷺ: «كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ»[3]: قولاً يشبه الكذب في الظَّاهر، وليس بكذبٍ.

قال الشَّيخ[4]: قلت: وقد ذهب جماعةٌ من العلماءِ إلى هذا الوجه، وأنَّه من المعاريضِ، والمعاريض لا تذم، خصوصًا إذا احتيج إليها.

---

(١) العِكْمُ: العِدْلُ مَا دامَ فِيهِ المتاعُ. انظر: لسان العرب (١٢/ ٤١٥).

(٢) البيت في تأويل مشكل القرآن (١/ ١٦٤) بلا نسبة.

(٣)رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة بلفظ مطول.

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).



روى عمران بنُ حصينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ**»(١).

وقال عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه: ما يسرُّني أنَّ لي بها أعلم من معاريض القولِ مثل أهلي ومالي(٢).

وقال النَّخعيُّ: لهم كلام يتكلَّمون به إذا خشوا من شيءٍ يدرؤون به عن أنفسهم(٣).

وقال ابنُ سيرينَ: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف(٤).

وقد قال رسولُ الله ﷺ لعجوز: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجَائِزُ**»، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة: ٣٥](٥).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٦)، و البخاري في الأدب المفرد (٨٥٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٧٠)، والطبراني في الكبير (٢٠١)، والبيهقي في الكبرى (٢١/ ٥٦) موقوفًا على عمران بن حصين، وهو الصواب، والمرفوع قد أُعل بالموقوف. وانظر: الكامل (١/ ١٠٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٤) من طريق معاوية بن قرة، به.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٨) عن منصور، به.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (١/ ١٠٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١٥)، وابن الأعرابي في معجمه (٣/ ٩٨٨) من طريق شبيب بن شيبة، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢٩) من طريق ليث، عن مجاهد، عن عائشة، في قصة.

ومجاهد بن جبر لم يسمع من عائشة كما قاله يحيى القطان، وشعبة، وليث بن أبي سليم ضعيف.

ورواه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع، عن سعيد بن أبي=

وروي عنه ﷺ أنَّه كان يمازح بلالًا، فيقول: «مَا أُخْتُ خَالِكَ مِنْكَ»[(١)]؟.

وقال لامرأةٍ: من زوجك؟ فسمَّته له، فقال: «الَّذِي فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ»[(٢)].

وقال لرجلٍ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ»[(٣)].

وقال له العبَّاس: ما ترجو لأبي طالبٍ؟ فقال: «كُلُّ خَيْرٍ أَرْجُو مِنْ رَبِّي»[(٤)].

وكان أبو بكر ﷺ حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سأله أحد: من هذا بين يديك؟ يقول: هادٍ يهديني[(٥)].

=عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، بنحوه.

ومسعدة بن اليسع الباهلي ضعيف جدًّا، وانظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٩٨).

ورواه الترمذي في الشمائل (٢٤٦)، و البغوي في التفسير (٨/ ١٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٨٢) عن الحسن البصري، مرسلًا.

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، و ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري، وانظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي (١/ ١٠١٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٨)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١)، وفي الشمائل (٢٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٧٦) من طُرق عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حميد الطويل، عن أنس أَنَّ رَجُلاً اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ».

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/ ٣٣٦) من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن العباس، به، وهو مرسل للانقطاع بين إسحاق، والعباس.

(٥) رواه أحمد (١٩/ ٢٦٤)، وفي فضائل الصحابة (٦٠٥) مختصرا، وأبو يعلى في مسنده=



وكانت امرأة ابن رواحة قد رأته مع جاريةٍ له، فقالت له: وعلى فراشي أيضًا؟ فجحد، فقالت له: فاقرأ القرآن، فقال [من الطويل]:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ طَالِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

فقالت: آمنت بالله، وكذبت بصري، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع[1].

وعرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناءٍ شئت، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها، علِّق سوطك وسِرْ، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، فاشتراها فلم ير شيئًا مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئًا مما وصفتها به، قال: ما كذبتك، قال: أقلني، قال: نعم. [٥٥١/أ]

وخرج شريح من عند زياد وهو مريضٌ، فقيل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقيل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصيَّة، وينهى عن النَّوح.

وأخذ محمَّدُ بن يوسفَ حجرًا المداري فقال: العن عليًّا، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن عليًّا محمَّد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله.

=(٣٤٨٦)، والحاكم في المستدرك (١٢/ ٣ـ٥٧).

(١) رواه الدارقطني في السنن (٤٣٢) من طريق سلمة بن وهران، عن عكرمة، به، بنحوه.

وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صوحان بلعن عليٍّ، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي، ثمَّ قال: إنَّ هذا الأمير قد أبى إلَّا أن ألعن عليًّا، فالعنوه، لعنه الله.

وامتحنت الخوارج رجلاً من الشِّيعةِ، فجعل يقول: أنا من علي ومن عثمان بريء.

وخطب رجلٌ امرأة وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوِّجك حتَّى تطلق امرأتك، فقال: اشهدوا أنِّي قد طلقت ثلاثًا، فزوَّجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادعوا أنَّه قد طلق، فقال: أما تعلمون أنَّه كان تحتي فلانة فطلَّقتها، ثم فلانة فطلَّقتها، ثم فلانة فطلَّقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلَّقت ثلاثًا.

وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال [من الطويل][(1)]:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ ... وَإِنْ نَزَلَتْ يَومًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

فظنَّ الطَّائف أنَّه ابن بعضِ الأشرافِ بالبصرة، فلمَّا أصبح سأل عنه، فإذا هو ابن باقلائي، ومثل هذا كثيرٌ

(١) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار (٢/ ٢١٩)، والعقد الفريد (٢/ ٢٩٨)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٦)، وخزانة الأدب (٢/ ٣٥٩).

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[الأنبياء: ٦٤-٦٧].

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فيه قولان:

أحدهما: رجع بعضُهم إلى بعضٍ.

والثاني: رجع كلٌّ منهم إلى نفسه متفكِّرًا.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: حين عبدتم من لا يتكلَّم، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهبُ بن منبِّهٍ.

والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهبٍ أيضًا.

والرابع: لإبراهيمَ حين اتَّهمتموه والفأس في يد كبير الأصنامِ، قاله ابنُ إسحاقَ، ومقاتلٌ[1].

والخامس: أنتم ظالمون لإبراهيمَ حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فاسألوها، ذكره ابنُ جريرٍ[2].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠١).

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وابنُ أبي عبلةَ، وأبو حيوة: «نُكِّسوا» برفعِ النُّونِ وكسر الكافِ مشدَّدة[١].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «نَكَسوا» بفتح النُّونِ والكاف مخفَّفة[٢].

قال أبو عُبيدةَ: ﴿نُكِسُواْ﴾ قلبوا، تقول: نكست فلانًا على رأسِهِ: إذا قهرته وعلوته[٣].

ثمَّ في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أدركتهم حيرة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ قاله قتادةُ.

والثاني: رجعوا إلى أوَّل ما كانوا يعرفونها به من أنَّها لا تنطق، قاله ابنُ قُتيبةَ[٤].

والثالث: انقلبوا على إبراهيمَ يحتجُّون عليه بعد أن أقرُّوا له ولاموا أنفسهم في تهمتهِ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

---

(١) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص:٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٩٠) وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٤٩) ابن أبي عبلة، وابن مقسم، وابن الجارود، والكبراوي كلاهما عن هشام.

(٢) عن رضوان بن عبد المعبود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).

وفي قولـه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هـذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النُّطقِ، فحينئذٍ توجَّهت لإبراهيمَ الحجَّة، فقال موبِّخًا [٥٥١/ب]
لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئًا ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هـذا حثٌّ لهم على عبادةِ من يملك النَّفع والضرَّ، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: النَّتْنُ لكُم؛ فلمَّا ألزمهم الحجَّة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾[1].

وذكر في التَّفسيرِ أنَّ نمرود استشارهم، بأي عذابٍ أعذبه، فقال رجل: حرِّقوه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجلُ فيها إلى يومِ القيامةِ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨- ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، لأنَّه يعيبها ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ أي: ناصريها.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٨).

الإشارة إلى القصَّة

ذكر أهل التَّفسيرِ أنَّهم حبسوا إبراهيمَ عليه السلام في بيتٍ ثمَّ بنوا له حيرًا طول جداره ستُّون ذراعًا إلى سفح جبلٍ منيف، ونادى منادي الملك: أيُّها النَّاس احتطبوا لإبراهيمَ، ولا يتخلفنَّ عن ذلك صغيرٌ ولا كبيرٌ، فمن تخلَّف ألقي في تلك النَّارِ، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتَّى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرت بكذا لأحتطبنَّ لنارِ إبراهيم، حتَّى إذا كان الحطب يساوي رأس الجدارِ سدُّوا أبواب الحير، وقذفوا فيه النَّار، فارتفع لهبها، حتَّى إن كان الطائر ليمرُّ بها فيحترق من شدَّة حرِّها، ثمَّ بنوا بنيانًا شامخًا، وبنوا فوقه منجنيقًا، ثم رفعوا إبراهيمَ على رأسِ البُنيانِ، فرفع إبراهيمُ رأسَه إلى السَّماءِ، فقال: اللَّهمَّ أنت الواحد في السَّماءِ، وأنا الواحد في الأرضِ، ليس في الأرض أحدٌ يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السَّماءُ والأرضُ والجبالُ والملائكةُ: ربَّنا إبراهيمُ يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلمُ به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ فقذفوه في النَّارِ، وهو ابن ستَّ عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريلُ، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربَّك، فقال: حسبي من سؤالي علمُه بحالي، فقال الله ﷻ: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فلم تبقَ نارٌ على وجه الأرضِ يومئذٍ إلَّا طفئت وظنَّت أنَّها عنيت.

وزعم السُّدِّيُّ: أنَّ جبريل هو الذي ناداها.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: لو لم يُتبع بردها سلاماً لمات إبراهيمُ من بردها(١).

قال السُّدِّيُّ: فأخذت الملائكة بضَبْعَي(٢) إبراهيم فأجلسوه على الأرضِ، فإذا عين من ماء عذبٍ، وورد أحمر، ونرجس(٣).

قال كعبٌ ووهبٌ: فما أحرقت النَّار من إبراهيم إلَّا وثاقه، وأقام في ذلك الموضعِ سبعة أيَّامٍ، وقال غيرهما أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميصٍ من الجنَّة وطِنْفِسة(٤) من الجنَّة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطِّنفسة وقعد معه يحدِّثه.

وإن آزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، [٥٥٢/أ] فانطلق نمرود ومعه النَّاس، فأمر بالحائط فنقب، فإذا إبراهيم في روضةٍ تهتزُّ وثيابه تندى، وعليه القميص وتحته الطِّنفسة، والملك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم، إنَّ إلهك الذي بلغت قدرته هذا الكبير، هل تستطيع أن تخرجَ؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي حتَّى خرج، فقال: مَن الذي رأيت معك؟ قال: ملك أرسله إليَّ ربِّي ليؤنسني، فقال نمرود: إني مقرب لإلهك قرباناً لما رأيت من قدرتهِ، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم (١٧٢٣٦) في تفسيرهما من طريق السدي، بلفظ مطول.

(٢) الضَّبْعُ، بسكون الباء: وسَطُ العَضُدِ بِلَحْمِهِ يكونُ للإنسان وغيره. انظر: لسان العرب (٨/ ٢١٦).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٢).

(٤) الطِّنْفِسَة والطُّنْفُسة: النُّمْرُقَة فوق الرَّحْلِ، وجمعها طَنَافِسُ؛ وقيل: هي البِساط الَّذِي له خَمْلٌ رَقِيقٌ، انظر: لسان العرب (٦/ ١٢٧).

على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكفَّ عن إبراهيم.

قال المفسِّرون: ومعنى ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ أي: ذات بردٍ ﴿وَسَلَامًا﴾ أي: سلامة. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التَّحريق بالنَّار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أنَّ الله تعالى سلَّط البعوض عليهم حتَّى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدةٌ في دماغ نمرود حتَّى أهلكته، والمعنى: أنَّهم كادوه بسوءٍ، فانقلب السُّوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي: من نمرود وكيده ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بنُ هاران بن تارح، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرضِ العراقِ إلى الشَّام.

وكانت سارة مع إبراهيمَ في قول وهبٍ.

وقال السُّدِّيُّ: إنَّما هي ابنة ملك حرَّان، لقيها إبراهيمُ فتزوَّجها على أن لا يُغيِّرها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم[1].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان:

أحدهما: أنَّها أرض الشَّام، وهذا قولُ الأكثرين.

وبركتها أنَّ الله ﷻ بعث أكثر الأنبياءِ منها، وأكثر فيها الخَصْب والثِّمار والأنهار.

---

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٣).

والثاني: أنَّها مكَّة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، **وفي معنى النافلة قولان**:

أحدهما: أنَّها بمعنى الزِّيادة، والمراد بها: يعقوب خاصَّة، فكأنَّه سأل واحدًا فأعطي اثنين، وهذا مذهبُ ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ، والفرَّاءُ[١].

والثاني: أنَّ النافلةَ بمعنى العطية، والمراد: بها إسحاق ويعقوب، وهذا مذهبُ مجاهدٍ، وعطاءٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

قال أبو عُبيدةَ: كل يقع خبره على لفظ الواحدِ، لأنَّ لفظه لفظ الواحد ويقع خبرُه على لفظ الجميع، لأنَّ معناه معنى الجمع[٢].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: رؤوسًا يقتدى بهم في الخيرِ ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون النَّاس إلى ديننا بأمرنا إيَّاهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: شرائع النُّبوَّة[٣].

وقال مقاتلٌ: الأعمال الصَّالحة[٤].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٣) التفسير الوسيط (٣/ ٢٤٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٦).

﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: حذف الهاء من إقامة الصَّلاة قليلٌ في اللُّغة، تقول: أقام إقامة، والحذفُ جائزٌ، لأنَّ الإضافة عوض من الهاءِ(١).

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٤-٧٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: انتصب لوط بفعل مضمرٍ، لأنَّ قبله فعلاً، فالمعنى: [٥٥٢/ب] وأوحينا إليهم وآتينا لوطًا(٢).

وذكر بعضُ النَّحويين: أنَّه منصوبٌ على (واذكر لوطًا)، وهذا جائزٌ، لأنَّ ذكر إبراهيم قد جرى، فحمل لوط على معنى: واذكر.

قال المفسِّرون: لما هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيمُ أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرةِ يومٍ وليلة، أو نحو ذلك من إبراهيم فبعثه الله نبيًّا.

فأمَّا الحكمُ ففيه قولان:

أحدهما: أنَّه النُّبوَّةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٨).

(٢) المصدر السابق.



والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتلٌ(١).

وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سورةِ يوسفَ(٢)، وأمَّا القريةُ هاهنا، فهي سدوم، والمراد أهلها، والخبائث أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذُّكور وقطع السبيل، إلى غير ذلك مما قد ذكره الله ﷻ عنهم في مواضعَ(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: بإنجائه من بينهم.

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنبياء: ٧٦-٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: (واذكر نوحًا)، وكذلك ما يأتيك من ذكر الأنبياء ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا على قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط.

فأمَّا الكرب العظيم، فقال ابنُ عبَّاسٍ: هو الغرقُ وتكذيب قومه(٤).

قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوءٍ.

وقيل: ﴿مِنَ﴾ بمعنى (على).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٨)، وسورة الحجر الآية رقم (٦٩).

(٤) الوسيط (٣/ ٢٤٥).

قولـه تعـالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبيـاء: ٧٨-٨٢].

قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه كان عنبًا، قاله ابنُ مسعودٍ، ومسروق، وشُريح.

والثاني: كان زرعًا، قاله قتادةُ.

﴿ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ﴾.

قـال ابـنُ قُتيبـةَ: أي: رَعَـتْ ليـلًا ، يقـال: نفشـت الغنـمُ باللَّيـل، وهـي إبـلٌ نَفَـشٌ ونُفَّـشٌ ونُفَّـاشٌ، والواحـد: نَافِـشٌ، وسَرَحَـتْ، وسَرَبَـتْ بالنَّهـارِ[١].

قال قتادةُ: النَّفْشُ بِاللَّيْلِ، وَالْهَمَلُ بِالنَّهارِ[٢].

وقال ابنُ السِّكيت: النفش: أن تنتشر الغنم باللَّيل ترعى بلا راعٍ[٣].

---

(١) غريب القرآن (ص:٢٨٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٢٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) إصلاح المنطق (ص: ٣٨).

الإشارة إلى القصَّة

ذكر أهلُ التَّفسير أنَّ رجلين كانا على عهدِ داودَ ﷺ، أحدهما صاحب حرثٍ، والآخر صاحب غنمٍ، فتفلَّتت الغنمُ، فوقعت في الحرثِ فلم تبق منه شيئًا، فاختصما إلى داودَ، فقال لصاحب الحرثِ: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلقُ أصحاب الحرث بالغنمِ فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويقبل أصحاب الغنمِ على الكرم، حتَّى إذا كان كليلة نفشت فيه الغنمُ، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داودُ: قد أصبت القضاء، ثمَّ حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[1].

وفي المشارِ إليهم قولان:

أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمعِ، لأنَّ الاثنين جمع، هذا قول الفَرَّاءِ[2].

والثاني: أنَّهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «وكنا لحكمهما» على التَّثنية[3].

[٥٥٣/أ] ومعنى شاهدين: أنه لم يغب عنَّا من أمرهم شيء.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٤٣) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٢) من طريق أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، بنحوه.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٠٨).

(٣) في معاني القرآن (٢/ ٢٠٨) بلا نسبة.

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ يعني: القضية والحكومة.

وإنَّما كنَّى عنها، لأنَّه قد سبق ما يدلُّ عليها من ذكر الحكمِ، ﴿وَكُلًّا﴾ أي: منهما ﴿آتَيْنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانُه.

قال الحسنُ: لولا هذه الآية لرأيت أنَّ القضاةَ قد هلكوا، ولكنَّه أثنى على سليمان لصوابه، وعذر دواد باجتهاده(١).

فصل

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: كان قضاء داود وسليمان جميعًا من طريق الاجتهادِ، ولم يكن نصًّا، إذ لو كان نصًّا ما اختلفا.

قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف النَّاسُ في الغنم إذا نفشت ليلًا في زرع رجلٍ فأفسدته، فمذهب أصحابِنا أنَّ عليه الضَّمان، وهو قولُ الشَّافعيِّ، وقال أبو حنيفةَ وأصحابه: لا ضمانَ عليه ليلاً أو نهارًا، إلَّا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهرُ الآية يدلُّ على قول أصحابِنا، لأنَّ داودَ حكم بالضَّمان، وشرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يثبت نسخُه.

فإن قيل: فقد ثبت نسخُ هذا الحكم، لأنَّ داودَ حكم بدفع الغنمِ إلى صاحب الحرثِ، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف أنَّه لا يجب على مَن نفشت غنمه في حرثِ رجلٍ شيء من ذلك؛ قيل: الآية تضمَّنت أحكامًا، منها وجوب الضَّمان وكيفيته، فالنَّسخ حصل على كيفيَّته، ولم يحصل على أصلِهِ، فوجب التعلُّق به.

---

(١) رواه ابن عبد البر في بيان العلم وفضله (١٦٦١)، والحافظ في تغليق التعليق (٥/ ٢٩٢).



وقد روى حرام بنُ محيصة عن أبيه: أنَّ ناقةً للبراءِ دخلت حائطَ رجلٍ فأفسدت، فقضى رسولُ الله ﷺ على أهل الأموالِ حفظها بالنَّهار، وعلى أهل المواشي حفظها باللَّيل[١].

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسخَّرنا الجبال يسبِّحن مع داودَ.

قال أبو هريرةَ: كان إذا سبَّح أجابته الجبال والطير بالتَّسبيح والذِّكرِ[٢].

وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسبَّحت حتَّى يشتاق هو فيسبِّحُ.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: لذلك.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وكنَّا نقدر على ما نريده[٣].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ في المرادِ باللَّبوس قولان:

أحدهما: الدُّروع، وكانت قبل ذلك صفائح، وكان داودَ أوَّل من صنع هذه الحلق وسَرَدَ، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّ اللَّبوس: السلاح كله من درعٍ إلى رمحٍ، قاله أبو عُبيدةَ[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٩)، والنَّسائي في الكبرى (٥٧٥٤)، وابن حبان (٦٠٠٨) من طرق عن الزُّهري، عن حَرَام بن مُحَيِّصَة، عن أبيه، به، بلفظ: أَنَّ نَاقَةً لِلْبَرَاءِ دَخَلَتْ حَائِطَ رَجُلٍ فَأَفْسَدَتْ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَهْلِ الأَمْوَالِ حِفْظُهَا بِالنَّهَارِ وَعَلَى أَهْلِ الْمَوَاشِي حِفْظُهَا بِاللَّيْلِ. انظر: التمهيد لابن عبد البر (١١/ ٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٤٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٠).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٤١).

وقرأ أبو المتوكِّل، وابنُ السَّمَيفَعِ: «لُبوس» بضمِّ اللَّام(١).

قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «لِيُحْصِنكُم» بالياءِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتَّاءِ.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «لنحصنكم» بالنُّون خفيفة(٢).

وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو عمران الجُونيُّ، وأبو حيوةَ: «لتُحَصِّنكم» بتاءٍ مرفوعةٍ وفتح الحاء وتشديدِ الصَّادِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجوزاءِ، وحميدُ بنُ قيسٍ: «لتَحَصُّنكم» بتاءٍ مفتوحةٍ مع فتح الحاءِ وتشديد الصَّادِ مع ضمِّها.

وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيليُّ، وأبو المتوكِّل، ومجاهدٌ: «لنُحَصِّنكم» بنونٍ مرفوعةٍ وفتح الحاءِ وكسر الصَّادِ مع تشديدها(٣). [٥٥٣/ ب]

وقرأ معاذٌ القارئ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «ليُحْصِنَّكم» بياءٍ مرفوعةٍ وسكون الحاءِ وكسر الصَّادِ مشدَّدة النُّون(٤).

---

(١) بدون نسبة في البحر المحيط (٧/ ٤٥٦).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٠)، والحجة (٥/ ٢٨٥)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: الكامل (١/ ٦٠١)، والبحر المحيط (٧/ ٤٥٧)، وإعراب القراءات الشواذ (١١٢).

(٤) عن النقيمي، عن أبي عمرو في مختصر ابن خالويه (ص:٩٤)، وعن ابن مقسم في الكامل (١/ ٦٠١).



فمن قرأ بالياءِ ففيه أربعة أوجهٍ:

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أن يكون الفاعلُ اسم الله، لتقدُّم معناه، ويجوز أن يكون اللِّباس، لأنَّ اللبوس بمعنى اللِّباس من حيث كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داودَ، ويجوز أن يكون التَّعليم، وقد دلَّ عليه: «علمناه».

ومن قرأ بالتَّاءِ، حمله على المعنى، لأنَّه الدِّرعُ.

ومن قرأ بالنُّونِ، فلتقدُّم قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾[1].

ومعنى لتحصنكم: لتحرزكم وتمنعكم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ يعني: الحرب.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ، وأبو عِمرانَ الجُونيُّ، وأبو حيوةَ الحضرميُّ: «الرِّياحُ» بألفٍ مع رفع الحاءِ[2].

وقرأ الحسنُ، وأبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ: بالألف ونصبِ الحاءِ[3]، والمعنى: وسخَّرنا لسليمانَ الرِّيح ﴿عَاصِفَةً﴾ أي: شديدةَ الهُبوبِ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني: بأمرِ سليمانَ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرضُ الشَّامِ، وقد مرَّ بيان بركتها في هذه السُّورةِ[4]، والمعنى: أنَّها كانت تسيرُ به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشَّام.

---

(١) الحجة (٥/ ٢٨٥).

(٢) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٣) عن الحسن، وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه (ص:٩٤).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٧٢).

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ علمنا أنَّ ما نعطي سليمان يدعوه إلى الخضوع لربِّه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾.

قال أبو عُبيدةَ: «من» تقع على الواحدِ والاثنين والجميع من المذكَّر والمؤنَّث[1].

قال المفسِّرون: كانوا يغوصون في البحرِ، فيستخرجونَ الجواهرَ ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معناه: سوى ذلك، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أن يفسدوا ما عملوا[2].

وقال غيرُه: أن يخرجوا عن أمرِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣-٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: دعا ربَّه ﴿أَنِّى﴾.

وقرأ أبو عِمرانَ الجُونيُّ: «إِني» بكسر الهمزةِ.

﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠١).

وقرأ حمزةُ: «مسنيْ» بتسكين الياءِ[١]، أي: أصابني الجهد.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريضٌ منه بسؤال الرَّحمة إذ أثنى عليه بأنَّه الأرحم، وسكت.

الإشارةُ إلى قصَّته

ذكر أهلُ التَّفسيرِ أنَّ أيوبَ عليه السلام كان أغنى أهل زمانِهِ، وكان كثير الإحسان، فقال إبليسُ: يا رب سلِّطني على مالِه وولدِهِ ـ وكان له ثلاثة عشر ولدًا ـ فإن فعلتُ رأيته كيف يطيعني ويعصيك، فقيل له: قد سلَّطتك على مالِه وولدِهِ، فرجع إبليسُ فجمع شياطينه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابِّه ورعاته، فاحتملوها حتَّى قذفوها في البحرِ، وجاء إبليسُ في صورة قيِّمه، فقال: يا أيُّوب ألا أراك تصلي وقد أقبلت ريحٌ عاصفٌ فاحتملت دوابَّك ورعاتها حتَّى قذفتها في البحرِ؟ فلم يردَّ عليه شيئًا حتَّى فرغَ من صلاتِهِ، ثم قال: الحمدُ لله الذي رزقني ثمَّ قبله مني، فانصرف خائباً، ثمَّ أرسلَ بعضَ الشَّياطين إلى جنانه وزروعه، فأحرقوها، وجاء فأخبره،
[٥٥٤/أ] فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشَّياطين فزلزلوا منازل أيُّوب وفيها ولدُه وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمدَ الله، وقال لإبليسَ وهو يظنُّه قيِّمه في مالِه: لو كان فيك خير لقبضك معهم، فانصرف خائباً، فقيل له: كيف رأيت عبدي أيُّوب؟ قال: يا رب سلِّطني على جسدِهِ فسوف ترى، قيل له: قد سلَّطتك على جسدِهِ، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه

---

(١) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص:٩٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٠).

مثل النَّار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفًا من الله تعالى، فلـمَّا نـزلَ به البلاء لم يبكِ مخافة الجزعِ، وبقي لسانُه للذِّكر، وقلبه للمعرفةِ والشُّكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنَّه خرج في جميع جسده ثآليل كأليات الغنمِ، ووقعت به حكَّة لا يملكها، فحكَّ بأظفارِهِ حتَّى سقطت، ثمَّ بالمسوح، ثمَّ بالحجارةِ، فأنتن جسمه وتقطَّع، وأخرجه أهل القريةِ فجعلوا له عريشاً على كناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمُها رحمة بنت إفراييم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه.

وروى أبو بكرٍ القرشي عن اللَّيث بنِ سعدٍ، قال: كان ملك يظلم النَّاس، فكلَّمه في ذلك جماعة من الأنبياءِ، وسكت عنه أيوب لأجل خيلٍ كانت له في سلطانِهِ، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟ لأطيلن بلاءك.

واختلفوا في مدَّة لبثه في البلاءِ على أربعة أقوالٍ:

أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنسُ بنُ مالكٍ عن النَّبيِّ ﷺ(١).

والثاني: سبع سنين، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وكعبٌ، ويحيى بنُ أبي كثيرٍ.

والثالث: سبع سنين وأشهرٍ، قاله الحسنُ.

والرابع: ثلاث سنين، قاله وهبٌ.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٣٦١٧)، والبزار (٦٣٣٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٥٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٩٨)، والحاكم في المستدرك(٢/ ٦٣٥) وغيرهم.

وفي سبب سؤاله العافية ستَّة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه اشتهى إدامًا، فلم تصبه امرأته حتَّى باعت قرناً من شعرِها، فلـمَّا علم ذلك، قال: «مسَّني الضر»، رواه الضَّحاكُ عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّ الله تعالى أنساه الدُّعاء مع كثرةِ ذكره الله، فلـمَّا انتهى أجل البلاء، يسَّر له الدُّعاء، فاستجاب له، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ نفرًا من بني إسرائيل مرُّوا به، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما أصابه هذا إلَّا بذنبٍ عظيمٍ، فعند ذلك قال: «مسني الضر»، قاله نَوفٍ البِكَالِيِّ.

وقال عبدُ الله بنُ عبيد بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجدا ريحاً، فقالا: لو كان الله علم منه خيرًا ما بلغ به كلّ هذا، فما سمِع شيئاً أشد عليه من ذلك، فقال: اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنِّي لم أبت ليلة شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدِّقني، فصُدِّق وهما يسمعان، ثم قال: اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنِّي لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عار فصدِّقني، فصُدِّق وهما يسمعان، فخرَّ ساجدًا، ثم قال: اللَّهمَّ لا أرفع رأسي حتَّى تكشف ما بي، فكشف الله ﷻ ما به(١).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٦٣).

والرابع: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجته بسخلةٍ، فقال: ليذبح أيُّوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدنَّك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟ ثمَّ طردها عنه، فذهبت، فلمَّا رأى أنَّه لا طعام [٥٥٤/ب] له ولا شراب ولا صديق، خرَّ ساجدًا وقال: «مسني الضر»، قاله الحسنُ.

والخامس: أنَّ الله تعالى أوحى إليه وهو في عنفوانِ شبابِهِ: إنِّي مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصبَّ عليه من البلاءِ ما سمعتم حتَّى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أنِّي معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: مسَّني الضر، قاله إبراهيمُ بنُ شيبانَ القِرْمِيسني فيما حدَّثنا به عنه.

والسادس: أنَّ الوحي انقطع عنه أربعينَ يوماً، فخافَ هجران ربِّه، فقال: «مسَّني الضر»، ذكره الماورديُّ[١].

فإن قيل: أين الصَّبر، وهذا لفظ الشكوى؟

فالجوابُ: أنَّ الشكوى إلى الله لا تنافي الصَّبر، وإنَّما المذموم الشكوى إلى الخلق، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف: ٨٦].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٦٣).

قال سفيانُ بنُ عُيينةَ: وكذلك من شكا إلى النَّاس، وهو في شكواه راضٍ بقضاءِ الله، لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قولَ رسولِ الله ﷺ لجبريل في مرضِهِ: «أَجِدُنِي مَغْمُومًا، وَأَجِدُنِي مَكْرُوبًا»(١)، وقوله: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فيه **أربعة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدُّنيا، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، وقتادةُ.

وروى أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فنُشروا له؛ وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٩٨- ١٩٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٦٧- ٢٦٨) من طريقين عن جعفرِ بنِ محمد عن أبيه وفي إسناده ابن سعد من لم يسمّ.
ورواه البيهقي في الدلائل (٧/ ٢١٠- ٢١١) من طريق الحسن بن علي، عن محمد بن علي مرسلًا.
ورواه الطبراني في الكبير (٢٨٩٠) من طريق علي بن الحسين، عن أبيه.
وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٤) وقال: وفيه عبد اللهِ بن ميمون القدَّاحُ، وهو ذاهب الحديث.

(٢) رواه البخاري (٥٦٦٦) قَالَتْ عَائِشَةُ: وَا رَأْسَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَا ثُكْلِيَاهْ، وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ، لَظَلَلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهْ، لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ: أَنْ يَقُولَ القَائِلُونَ - أَوْ يَتَمَنَّى المُتَمَنُّونَ - ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ المُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى المُؤْمِنُونَ».

والثـاني: أنَّهـم كانـوا قـد غيبـوا عنـه ولم يموتـوا، فآتـاه إيَّاهـم في الدُّنيـا ومثلهـم معهـم في الآخـرةِ، رواه هشـامُ عـن الحسـنِ.

والثالـث: آتـاه الله أجـور أهلـه في الآخـرةِ، وآتـاه مثلهـم في الدُّنيـا، قالـه نـوف، ومجاهـدٌ.

والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرةِ، حكاه الزَّجَّاجُ[١].

قولـه تعـالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: فعلنـا ذلـك بـه رحمـة مـن عندنـا، ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ أي: عظـةً ﴿لِلۡعَٰبِدِينَ﴾.

قـال محمَّـد بـنُ كعـبٍ: مـن أصابـه بـلاء فليذكـر مـا أصـاب أيُّـوب، فليقـل: إنَّـه قـد أصـاب مـن هـو خـيرٌ منِّـي.

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ اختلفوا هل كان نبيًّا، أم لا؟ على قولين:

أحدهـا: أنَّـه لم يكـن نبيًّـا، ولكنَّـه كان عبـدًا صالحـاً، قالـه أبـو موسـى الأشـعري، ومجاهـدٌ، ثـمَّ اختلـف أربـابُ هـذا القـولِ في علَّـة تسـميته بـذي الكفـل عـلى ثلاثـةِ أقـوالٍ:

أحدهـا: أنَّ رجـلاً كان يصـلِّي كلَّ يـومٍ مائـة صـلاةٍ فتـوفي، فكفـل بصلاتـه، فسـمِّي: ذا الكفـل، قالـه أبـو موسـى الأشـعريُّ.

والثـاني: أنَّـه تكفَّـل للنَّبـي بقومِـهِ أن يكفيـه أمرهـم ويقيمـه ويقـضي بينهـم بالعـدلِ، ففعـل، فسـمِّي: ذا الكفـل، قالـه مجاهـدٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠١).



والثالث: أنَّ ملكًا قتل في يومٍ ثلاثمائة نبيٍّ، وفرَّ منه مائة نبيٍّ، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتَّى أفلتوا، فسمِّي ذا الكفل، قاله ابنُ السَّائبِ.

والقول الثاني: أنَّه كان نبيًّا، قاله الحسنُ، وعطاء.

[٥٥٦/أ] قال عطاءٌ: أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من الأنبياءِ: إنِّي أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفَّل لك بأنَّه يصلِّي اللَّيل لا يفتر، ويصوم النَّهار لا يفطر، ويقضي بين النَّاس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شابٌّ فقال: أنا أتكفَّل لك بهذا، فتكفَّل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبَّأه، وسمِّي: ذا الكفل[1].

وقد ذكر الثَّعلبيُّ حديث ابن عمر عن رسولِ الله ﷺ في الكفل: أنَّه كان رجلاً لا ينزع عن ذنبٍ، وأنَّه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قطُّ، فقام عنها تائبًا، ومات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفلِ؛ والحديثُ معروفٌ، وقد ذكرته في الحدائق[2]،

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٣١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٣)، والترمذي (٢٤٩٦)، والبزار في مسنده (٥٣٨٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥٧٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٣١٨) بلفظ: «كَانَ الكِفْلُ مِنْ بني إسرائيل لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَعْصِي الله بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ».

فجعلـه الثَّعلبـيُّ أحـد الوجـوه في بيـان ذي الكفـل، وهـذا غلـط، لأنَّ ذلـك اسـمه الكفـل، والمذكـور في القـرآنِ يقـال لـه: ذو الكفـل، ولأنَّ الكفـل مـات في ليلتـه التـي تـاب فيهـا، فلـم يمـض عليـه زمـانٌ طويـلٌ يعالـج فيـه الصـبر عـن الخطايـا، وإذا قلنـا: إنَّـه نبـيٌّ، فـإنَّ الأنبيـاءَ معصومـون عـن مثـل هـذا الحـال.

وذكـرت هـذا لشـيخنا أبي الفضـلِ بـن نـاصر رحمـه الله تعـالى، فوافقنـي، وقـال: ليـس هـذا بـذاك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: على طاعةِ الله وترك معصيته.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ **في هذه الرَّحمة ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها الجنَّة، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: النبوَّة، قاله مقاتلٌ[1].

والثالث: النِّعمةُ والموالاة، حكاها أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قولـه تعـالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبيـاء: ٨٧-٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعني: يونس بن متَّى.

والنُّون: السَّمكة؛ أضيف إليها لابتلاعها إيَّاه.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٠).

قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾.

قال ابنُ قتيبةَ: المغاضبة: مفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين، كالمناظرةِ والمجادلةِ والمخاصمةِ، وربَّما تكون من واحدٍ، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب(١).

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاءِ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «مغْضَب» بإسكان الغينِ وفتح الضَّادِ من غير ألفٍ(٢).

واختلفوا في مغاضبته لمن كانت؟ على قولين:

أحدهما: أنَّه غضب على قومِهِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والضَّحاكُ.

وفي غضبه عليهم ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الله تعالى أوحى إلى نبيٍّ يقال له: شعيا: أن ائت فلان الملك، فقل له: يبعث نبيًّا أميناً إلى بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبا منهم الكثير، فأراد النَّبيُّ والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلِّمه حتَّى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري من الأنبياءِ، فألحوا عليه، فخرج مغاضباً للنَّبيِّ والملك ولقومه، هذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ وقد زدناه شرحًا في يونسَ(٣).

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٢).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

والثاني: أنَّه عانى من قومِهِ أمرًا صعباً من الأذى والتَّكذيبِ، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجرًا، وما ظنَّ أنَّ هذا الفعلَ يوجب عليه ما [٥٥٦/ ب] جرى من العقوبةِ، ذكره ابنُ الأنباريِّ.

وقد روي عن وهب بنِ منبِّهٍ، قال: لما حملت عليه أثقال النبوَّةِ، ضاق بها ذرعاً ولم يصبر، فقذفها من يده وخرج هارباً[١].

والثالث: أنَّه لما أوعدهم العذاب، فتابوا ورفع عنهم، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً؟ فانصرف مغاضباً لقومه، عاتباً على ربِّه.

وقد ذكرنا هذا في يونسَ[٢].

والثاني: أنَّه خرج مغاضباً لربِّه، قاله الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، والشَّعبيُّ، وعروةُ.

وقال أبو بكرٍ النَّقاشُ: المعنى مغاضباً من أجل ربِّه، وإنَّما غضب لأجل تمرُّدهم وعصيانهم.

وقال ابنُ قُتيبةَ: كان مغيظاً عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم، مشتهياً أن ينزل العذاب بهم، فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومِهِ[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧٦).

(٢) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٣).

قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

وقرأ يعقوبُ: «يُقدَّر» بضمِّ الياءِ وتشديد الدَّال وفتحها[١].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ، وأبو الجوزاءِ، وابنُ أبي ليلى: «يُقْدَر» بياءٍ مرفوعةٍ مع سكون القافِ وتخفيف الدَّال وفتحها[٢].

وقرأ أبو عمران الجُونيُّ: «يَقْدِر» بياءٍ مفتوحةٍ وسكون القافِ وكسر الدَّالِ خفيفة[٣].

وقرأ الزُّهريُّ، وابنُ يعمرَ، وحميدُ بنُ قيسٍ: «نُقَدِّر»: بنونٍ مرفوعةٍ وفتح القافِ وكسرِ الدَّال وتشديدها[٤].

ثم فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

قال الفَرَّاءُ:[٥] معنى الآية: فظنَّ أن لن نقدر عليه ما قدرنا من العقوبةِ، والعربُ تقول: قَدَر، بمعنى: قَدَّر، قال أبو صخر[٦]:

(١) الكامل (١/ ٦٠١).

(٢) عن ابن عباس والحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٥)، وهي قراءة يعقوب من العشرة، كما في المبسوط (ص: ١/ ٣٠٣).

(٣) عن الحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٥)، والمحرر (٤/ ٩٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦١).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٥)، والمحرر (٤/ ٩٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٢٠٩).

(٦) ابن الأنباري في الوقف والابتداء (٢/ ٧٧٧).

وَلَا عَائِدًا ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ

أراد: ما تقدِّر، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجُ[١].

الثاني: فظن أن لن نضيق عليه، قاله عطاءٌ.

قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: فلان مُقَدَّر عليه، ومُقَتَّر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي: ضيَّق عليه فيه[٢].

قال النَّقاش: والمعنى: فظنَّ أن لن يضيق عليه الخروج، فكأنَّه ظنَّ أنَّ الله قد وسَّع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤذن له في الخروج.

والثالث: أنَّ المعنى: فظنَّ أنَّه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رواه عوفٌ عن الحسنِ.

وقال ابنُ زيدٍ، وسليمان التيمي: المعنى: أفظنَّ أن لن نقدر عليه؛ فعلى هذا الوجه يكون استفهامًا قد حذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدلُّ على أنه من القدرة، ولا يتصور إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظن عجزنا، فأين يهرب منا؟

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ **فيها ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة اللَّيل، قاله سعيدُ بن جبير، وقتادةُ، والأكثرون.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).



والثـاني: أنَّ حوتـاً جـاء فابتلـع الحـوتَ الـذي هـو في بطنـه، فنـادى في ظلمـة حـوت، [ثـمَّ في ظلمـةِ حـوتٍ][1]، ثـمَّ في ظلمـةِ البحـرِ، قالـه سـالمُ بـنُ أبي الجعـدِ. [٥٥٧/أ]

والثالـث: أنَّهـا ظلمـةُ المـاء، وظلمـةُ مِعـى السَّـمكة، وظُلمـة بطنهـا، قالـه ابـنُ السَّـائبِ.

وقـد روى سـعدُ بـنُ أبي وقاصٍ عـن رسـولِ الله ﷺ أنَّـه قـال: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَـةً لا يَقولُهـا مَكْـرُوبٌ إلا فَـرَّجَ اللهُ عَنْـهُ، كَلِمَـةَ أَخِـي يُونُـسَ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾»[2].

قال الحسنُ: وهذا اعترافٌ من يونسَ بذنبه وتوبة من خطيئته.

قولـه تعـالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: أجبنـاه ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: مـن الظُّلـماتِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا دعونـا.

وروى أبـو بكـرٍ عـن عاصـمٍ أنَّـه قـرأ: «نُجِّـي المؤمنـين» بنـونٍ واحـدةٍ مشـدَّدة الجيـم[3].

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لحن لا وجه له[4].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (س).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٧٠)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٥).

(٣) السبعة (ص: ٤٣٠)، والحجة (٥/ ٢٥٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٣).

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: غلط الرَّاوي عن عاصمٍ، ويدلُّ على هذا إسكانه الياء من نُجِّي، ونصب المؤمنين، ولو كان على ما لم يسمَّ فاعله ما سكن الياء، ولرَفعَ المؤمنين[1].

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: وحيدًا بلا ولدٍ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: أفضل مَن بقي حيًّا بعد ميت.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وقتادةُ.

والثاني: أنَّه كان في لسانها طولٌ، وهو البذاءُ فأصلحت، قاله عطاءٌ.

وقال السُّدِّيُّ: كانت سليطة فكف عنه لسانها.

والثالث: أنَّه كان خلقها سيئاً، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ.

---

(١) الحجة (٥/ ٢٥٩).

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يبـادرون في طاعـةِ الله.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: زكريا، وامرأته، ويحيى.

والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السُّورةِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ مُحيصنٍ: «وَيَدْعُونَا» بنونٍ واحدةٍ[1].

قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منَّا.

وقـرأ الأعمـشُ: «رُغْبـاً ورُهْبـاً» بضـمِّ الرَّاءيـن وجـزم الغـين والهـاءِ[2]، وهمـا لغتـان مثـل النُّحْـل، والنَّحَـل[3]، والسُّـقْم، والسَّـقَم.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي: متواضعين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ **فيه قولان:**

أحدهـا: أنَّـه مخـرج الولـد، والمعنـى: منعتـه ممَّـا لا يحـلُّ، وإنَّـما وصفـت بالعفـاف لأنَّهـا قذفـت بالزِّنـا.

---

(١) عن طلحة بن مُصرف في التحصيل (٤/ ٤٠٥).

(٢) في البحر المحيط (٧/ ٤٦٣) عـن الأعمش، وانظـر: المحـرر (٤/ ٩٨)، وإعـراب القـراءات الشـواذ (٢/ ١١٥)

(٣) في (س): (البُخْل، والبَخَل).

والثاني: أنَّه جيب درعها، ومعنى الفرج في اللُّغة: كل فرجة بين شيئين، وموضع جيب درع المرأةِ مشقوق، فهو يسمَّى فرجاً، وهذا أبلغ في الثَّناء عليها، لأنَّها إذا منعت جيب درعها، فهي لنفسها أمنع.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنا جبريلُ، فنفخ في دِرعها، فأجرينا فيها روح عيسى كما تجري الرِّيح بالنَّفخ، وأضاف الرُّوح إليه إضافة الملك، للتَّشريف والتَّخصيص.

﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لما كان شأنهما واحدًا، كانت الآية فيهما آيةٌ واحدةٌ، وهي ولادة من غير فحل[١].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «آيتين» على التَّثنيةِ[٢]. [٥٥٧/ب]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: المرادُ بالأمَّة هاهنا: الدين[٣].

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم أمَّة محمَّدٍ ﷺ، وهو معنى قول مقاتلٍ[٤].

والثاني: أنَّهم الأنبياءُ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٤).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم (١٣٧٢٢) في تفسيرهما.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٢).

ثمَّ ذكر أهل الكتاب، فذمَّهم بالاختلافِ، فقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: اختلفوا في الدِّين، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: شيئاً من الفرائضِ وأعمالِ البر ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ أي: لا نجْحَدُ ما عَمِل، قاله ابنُ قُتيبةَ[1].

والمعنى: أنَّه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ ذلك، نأمر الحفظة أن يكتبوه لنجازيه به.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥-١٠٠].

قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ بألفٍ.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: وأبو بكر عن عاصمٍ: «وحِرْمٌ» بكسرِ الحاءِ من غير ألفٍ، وهما لغتان. يقال: حِرْمٌ وحَرَامٌ[2].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣١)، والحجة (٥/ ٢٦١)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المتوكِّل، وأبو عمران الجُونيُ: «حَرْمٌ» بفتح الحاءِ وسكون الرَّاءِ من غير ألفٍ والميم مرفوعة منوَّنة[١].

وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ: «وحَرْمَ» بفتح الحاءِ وسكون الرَّاءِ ونصب الميم من غير تنوينٍ ولا ألفٍ[٢].

وقرأ أبو الجوزاءِ، وعكرمةُ، والضَّحاكُ: «وحَرِمَ» بفتح الحاءِ والميم وكسر الرَّاءِ من غير تنوينٍ ولا ألفٍ[٣].

وقرأ سعيدُ بنُ المسيب، وأبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ: «وحَرُمَ» بفتح الحاءِ وضمِّ الرَّاء ونصب الميمِ من غير ألفٍ[٤].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ قولان:

أحدهما: واجبٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأنشدوا في معناه [من الطويل][٥]:

فَإِنَّ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا   عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرِو

أي: واجبٌ.

والثاني: أنَّه بمعنى العزمِ، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

---

(١) عن قتادة، ومطر الورَّاق في التحصيل (٤/ ٤٠٦)، وفي المحتسب (٢/ ٦٦) عن ابن عباس.

(٢) المحتسب (٢/ ٦٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٣) المحتسب (٢/ ٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٤) المحتسب (٢/ ٦٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥).

(٥) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي في غريب القرآن (ص: ٢٨٨)، ولسان العرب (١٢/ ١٢٧)، وتاج العروس (حرم)



وقال عطاءٌ: حتم من الله، والمراد بالقرية: أهلها.

ثمَّ في معنى الآية أربعة أقوالٍ:

أحدها: واجبٌ على قريةٍ أهلكناها أنَّهم لا يتوبون، رواه عكرمةُ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثاني: واجبٌ عليها أنَّها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عبَّاسٍ نحوه.

والثالث: أنَّ «لا» زائدة؛ والمعنى: حرامٌ على قرية مهلكة أنَّهم يرجعون إلى الدُّنيا، قاله ابنُ جريجٍ، وابنُ قتيبةَ في آخرين[1].

والرابع: أنَّ الكلامَ متعلِّقٌ بما قبله، لأنَّه لما قال: فلا كفرانَ لسعيه أعلمنا أنَّه قد حرم قبولَ أعمالِ الكفَّار؛ فمعنى الآية: وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أن يتقبَّل منهم عمل، لأنَّهم لا يتوبون، هذا قولُ الزَّجَّاج[2].

فإن قيل: كيف يصحُّ أن يحرم على الإنسانِ ما ليس من فعلِهِ، ورجوعهم بعد الموتِ ليس إليهم؟

فالجواب: أنَّ المعنى: منعوا من ذلك، كما يمنع الإنسان من الحرامِ وإن قدر عليه، فكان التَّشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٤).

وقرأ ابنُ عامر: «فُتِّحَتْ» بالتَّشديد[١]، والمعنى: فتح الردم عنهم.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: من كلِّ نَشْزٍ من الأرضِ وأكَمَةٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾ [٥٥٨/أ] من النَّسَلان: وهو مقاربةُ الخطو مع الإسراعِ، كمشي الذئبِ إذا بادر، والعَسَلان مثله[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: الحدب: كل أكَمةٍ، و﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسْرِعُونَ[٣].

وقرأ أبو رجاءٍ العُطارديُّ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «يَنْسُلُون» بضمِّ السِّينِ[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُم﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه إشارةٌ إلى يأجوج ومأجوج، قاله الجمهورُ.

والثاني: إلى جميع النَّاسِ؛ فالمعنى: وهم يحشرونَ إلى الموقفِ، قاله مجاهدٌ، والأوَّلُ أصحُّ.

فإن قيل: أين جواب حتَّى؟ ففيه قولان:

أحدُهما: أنَّه قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ والواو في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ﴾ زائدةٌ، قاله الفَرَّاءُ. قال: ومثله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا

---

(١) السبعة (ص: ٤٣١)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٥).

(٤) عن ابن أبي إسحاق في مختصر ابن خالويه (ص:٩٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٧)، وفي الكامل (ص:٦٠٢)عن أبي السَّمَّال.



﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤]، المعنى: ناديناه[١].

وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: السَّاعة من النَّاسِ بعد يأجوج ومأجوج، كالحامل المتم، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهارًا[٢].

والثاني: أنَّه قولٌ محذوفٌ في قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ فالمعنى: [حتَّى][٣] إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد، قالوا: يا ويلنا.

قال الزَّجَّاجُ: هذا قول البصريين[٤].

فأمَّا ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ فهو القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ في «هي» أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ هي كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها، كقولِ الشَّاعر [من الطَّويل][٥]:

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينَتِي ... أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْب

فذكر الظَّعينة، وقد كنَّى عنها في «لعمرو أبيها».

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠)، وابن ماجه (٤٠٨١)، وأبو يعلى (٥٢٩٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٨-٤٨٩) وغيرهم عن ابن مسعود مرفوعًا، في حديث طويل.

(٣) زيادة من (س).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٥).

(٥) البيت في تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠٩)، وحماسة الخالدين (١/ ٢١).

والثاني: أنَّ «هي» عمادٌ، ويصلح في موضعها هو، ومثله قول: ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦] وأنشدوا [من الطَّويل][(١)]:

بِثَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَهُنَا رَأْسُ

ذكرهما الفرَّاءُ[(٢)].

والثالث: أن يكون تمام الكلامِ عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزةٌ واقفةٌ، يعني: من قربها، كأنَّها آتية حاضرة، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿شَاخِصَةٌ﴾، ذكره الثَّعلبيُّ[(٣)].

والرابع: أنَّ «هي» كنايةٌ عن القصَّةِ، والمعنى: القصَّة أنَّ أبصارهم شاخصةٌ في ذلك اليومِ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ[(٤)].

قال المفسِّرون: تشخص أبصار الكفَّارِ من هولِ يومِ القيامةِ، ويقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي: في الدُّنيا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا.

ثمَّ خاطب أهل مكَّةَ، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) بلا نسبة في الدرر (٥/ ٢٨٤_٢٨٧)، وشرح التصريح (٢/ ٧٢)، وهمع الهوامع (٢/ ٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢١٢).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٣٠٩).

(٤) تفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٥٢).



وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو العاليةِ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «حَطَبُ» بالطَّاءِ[١].

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وعائشةُ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «خَضَبُ» بالضَّادِ المعجمةِ المفتوحة[٢].

وقرأ عروةُ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلةَ: «حَضْب جهنَّم» بإسكان الضَّادِ المعجمةِ.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو حيوةَ، ومعاذٌ القارئ: «حِضْب» بكسرِ الحاءِ مع تسكين الضَّادِ المعجمةِ[٣].

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، وابنُ محيصنٍ: «حَصْب» بفتح الحاءِ وبصادٍ غير معجمةٍ ساكنة[٤].

[٥٥٨/ب] قال الزَّجَّاجُ: من قرأ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فمعناه: كل ما يرمى به فيها، ومن قرأ: «حَطَبُ» فمعناه: ما توقد به، ومن قرأ بالضَّادِ المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النَّار وتذكى به[٥].

---

(١) عن علي بن أبي طالب، وعائشة، وابن الزبير في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والمحتسب (٢/ ٦٧)، والتحصيل (٤/ ٤٠٧)، وزاد في المحرر (٤/ ١٠١) أُبيًّا.

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤/ ٤٠٧).

(٣) انظر: المحرر (٤/ ١٠١).

(٤) عن ابن السميفع في التحصيل (٤/ ٤٠٧)، والمحرر (٤/ ١٠١)

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٦).

قال ابنُ قُتيبةَ: الحصب: ما ألقي فيها، وأصلُه من الحصْبَاء، وهو الحصى، يقال: حَصَبْتُ فلانًا، إذا رميتَه حَصْبًا ـ بتسكين الصَّادِ ـ وما رَمَيْتَ به: فهو حَصَبٌ، بفتح الصَّادِ[1].

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي: داخلون.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقةِ ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه إشارةٌ إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهةً ما دخلوا النَّار.

والثاني: أنَّه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النَّارِ.

والثالث: أنَّه إشارةٌ إلى الآلهةِ وعابديها، بدليل قولِهِ تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ قد شرحنا معنى الزَّفيرِ في هودَ[2]، وفي علَّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه يوضع في مسامعهم مسامير من نارٍ، ثمَّ يقذفون في توابيت من نارٍ مقفلة عليهم، رواه أبو أُمامةَ عن رسولِ الله ﷺ في حديثٍ طويلٍ[3].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (١٠٦).

(٣) لم نقف على هذا اللفظ.

وقـال ابـنُ مسـعودٍ: إذا بقـي في النَّـارِ مـن يخلـد فيهـا، جعلـوا في توابيـت مـن نـارٍ، ثـمَّ جعلـت تلـك التَّوابيـتُ في توابيـتَ أُخـرى، فـلا يسـمعون شـيئاً، ولا يـرى أحدهـم أنَّ في النَّـارِ أحـدًا يعـذب غـيره[1].

والثاني: أنَّ السَّماعَ أُنسٌ، والله لا يحبُّ أن يؤنسهم، قاله عونُ بنُ عمارةَ.

والثالث: إنَّما لم يسمعوا لشدَّةِ غليان جهنَّم، قاله أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ.

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ
١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ
ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
١٠٣ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ
وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ
فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ
أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ
١١٠ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾[الأنبيـاء: ١٠١-١١٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾.

سـببُ نزولهـا: أنَّـه لمـا نزلـت: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٣).

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ شقَّ ذلك على قريشٍ، وقالوا: شتم آلهتنا، فجاء ابنُ الزِّبعرى، فقال: ما لكم؟ قالوا: شتم آلهتنا، قال: وما قال؟ فأخبروه، فقال: ادعوه لي، فلما دعي رسول الله ﷺ، قال: يا محمَّد، هذا شيءٌ لآلهتنا خاصَّة، أو لكلِّ من عبد من دون الله؟ قال: لا، بل لكلِّ مَن عبد من دونِ الله، فقال ابن الزِّبعرى: خُصِمْتَ وربِّ هذا البنية، ألستَ تزعم أنَّ الملائكةَ عبادٌ صالحون، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ، وأنَّ عزيرًا عبدُ صالحٌ، فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النَّصارى تعبدُ عيسى، وهذه اليهودُ تعبدُ عزيرًا، فضجَّ أهلُ مكَّةَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابنُ عبَّاسٍ(١).

وقال الحسينُ بنُ الفضلِ: إنَّما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام دون غيرها، لأنَّه لو أراد الملائكة والنَّاس، لقال: ومن، وقيل: «إن» بمعنى: إلَّا، فتقديره: إلَّا الذين سبقت لهم منَّا الحُسنى، وهي قراءةُ ابنُ مسعودٍ، وأبي نهيكٍ، فإنَّهما قرءا: «إلَّا الذين».

وروي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ أنَّه قرأ هذه الآية، فقال: أنا منهم، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، وسعدٌ، وعبدُ الرَّحمنِ(٢). [٥٥٩/أ]

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠٥) بإسناد جيد عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور(٥/ ٦٨١) من طريق أصبغ، به.

ورواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٤) من طريق ذواد الحارثي، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٤٨) عن محمد بن الحسين الهمداني، كلاهما (محمد الهمداني، وذود الحارثي) عن ليث بن أبي سليم، عن عم النعمان بن بشير، عن النعمان بن بشير، عن علي، به. وذواد الحارثي ضعيف، وكذا ليث بن أبي سليم.

وفي المراد بـ ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ قولان:

أحدهما: الجنَّة، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ.

والثاني: السَّعادةُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن جهنَّم، وقد تقدَّم ذكرها ﴿مُبْعَدُونَ﴾ والبعد: طولُ المسافة، والحسيس: الصَّوتُ تسمعه من الشَّيءِ إذا مرَّ قريبًا منك.

قال ابنُ عبَّاسٍ: لا يسمع أهل الجنَّةِ حسيس أهل النَّارِ إذا نزلوا منازلهم من الجنَّةِ[1].

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾.

وقرأ أبو رَزِينٍ، وقتادةُ، وابنُ أبي عبلةَ، وابنُ مُحيصنٍ، وأبو جعفرٍ والشيزري عن الكسائيِّ: «لَا يُحْزِنُهُم» بضمِّ الياءِ وكسرِ الزَّاي[2].

وفي ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ **أربعة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّه النَّفخةُ الآخرةُ، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ؛ وبهذه النَّفخة يقوم النَّاسُ من قبورهم، ويدلُّ على صحَّةِ هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

والثاني: أنَّه إطباقُ النَّارِ على أهلها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الضَّحاكُ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢١) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: المبسوط (١/ ١٧١).

والثالث: أنَّه ذبح الموت بين الجنَّةِ والنَّارِ، وهو مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا، وبه قال ابنُ جريجٍ.

والرابع: أنَّه حين يؤمر بالعبدِ إلى النَّارِ، قاله الحسنُ البصريُّ.

وفي مكان تلقِّي الملائكة لهم قولان:

أحدهما: إذا قاموا من قبورهم، قاله مقاتلٌ[1].

والثاني: على أبوابِ الجنَّةِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ فيه إضمار: يقولون هذا يومكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنَّة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾.

وقرأ أبو العاليةِ، وابنُ أبي عبلةَ، وأبو جعفرٍ: «تُطْوَى» بتاءٍ مضمومةٍ «السماءُ» بالرَّفعِ[2]؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ بكسر السِّينِ والجيمِ وتشديدِ اللَّامِ.

وقرأ الحسنُ، وأبو المتوكِّلِ، وأبو الجوزاءِ، ومحبوبٌ عن أبي عمرٍو: «السِّجْلِ» بكسر السِّينِ وإسكانِ الجيمِ خفيفة[3].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٤).

(٢) عن أبي جعفر المدني في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، وفي التحصيل (٤/ ٤٠٧)

(٣) عن أبي زيد، وهارون، عن أبي عمرو، والحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٨)، والمحرر (٤/ ١٠٢)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٧١) عيسى.

وقرأ أبو السماك كذلك، إلَّا أنَّه فتح الجيم[١].

قوله تعالى: ﴿لِلْكُتُبِ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «لِلْكِتَابِ».

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ على الجمعِ[٢].

وفي ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ملكٌ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عمرَ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّه كاتبٌ كان لرسولِ الله ﷺ، رواه أبو الجوزاءِ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ السِّجلَ بمعنى: الرَّجل، رواه أبو الجوزاء أيضًا عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: السجل: هو الرَّجلُ[٣].

قال الشَّيخ[٤]: قال شيخنا أبو منصورٍ اللُّغوي: وقد قيل: السِّجلُ بلغة الحبشةِ: الرَّجلُ[٥].

والرابع: أنَّه الصَّحيفة، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ[٦]، وبه

---

(١) «السَّجْلِ» عن أبي السَّمال في التحصيل (٤/ ٤٠٨)، والمحرر (٤/ ١٠٢)، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٧١) زاد الأعمش، وطلحة.

(٢) السبعة (ص: ٤٣١)، والحجة (٥/ ٢٦٢-٢٦٣)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢٤).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٥) المعرب (ص: ٣٨٤).

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٤٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قال مجاهدٌ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ(١).

قال الشَّيخ(٢): وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ، قال: قال أبو بكرٍ، يعني - ابن دريدٍ-: السجل: الكتاب، والله أعلم؛ ولا ألتفت إلى قولهم: إنَّه فارسيٌّ معرَّب، والمعنى: كما يطوى السِّجل على ما فيه من كتاب، واللَّام بمعنى على(٣).

وقال بعضُ العلماءِ: المراد بالكتابِ: المكتوب، فلمَّا كان المكتوب ينطوي بانطواءِ الصَّحيفةِ، جعل السِّجل كأنَّه يطوي الكتاب. [٥٥٩/ب]

ثمَّ استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الخلق هاهنا مصدرٌ، وليس بمعنى المخلوقِ.

وفي معنى الكلامِ أربعة أقوالٍ:

أحدها: كما بدأناهم في بطونِ أمَّهاتهم حفاةً عراةً غرلًا، كذلك نعيدهم يوم القيامةِ؛ روي عن ابنِ عبَّاسٍ، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا كَمَا خُلِقُوا**»، ثمَّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾؛(٤) وإلى هذا المعنى ذهب مجاهدٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: إنَّا نهلك كل شيءٍ كما كان أوَّل مرَّة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٣)، وغريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٣) المعرب (٣٨٤ـ٣٨٥).

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).



والثالث: أنَّ السَّماءَ تمطر أربعين يومًا كمني الرِّجالِ، فينبتون بالمطرِ في قبورهم، كما ينبتون في بطون أمَّهاتهم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّ المعنى: قدرتنا على الإعادةِ كقدرتنا على الابتداءِ، قاله الزَّجَّاجُ[١].

قوله تعالى: ﴿وَعْدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه تعالى: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بمعنى: وَعَدْنَا هَذَا وَعْدًا ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فعلِ ما نشاء[٢].

وقال غيرُه: ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ ما وعدنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ **فيه أربعةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ جميع الكتب المنزلة من السَّماءِ، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: أمُّ الكتاب الذي عند الله، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ، ومجاهدٌ، وابنُ زيدٍ، وهذا معنى قول ابنِ عبَّاسٍ في روايةِ ابنِ جبيرٍ، فإنَّه قال: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: التَّوارة والإنجيل والقرآن، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: الذي في السَّماءِ.

والثاني: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: الكتب، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: التَّوراة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: القرآن، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: التَّوراة والإنجيل، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ في روايةٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٦).

(٢) المصدر السابق.

والرابع: أنَّ ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: زبور داود، و﴿ٱلذِّكۡرِ﴾: ذكر موسى، قاله الشَّعبيُّ.

وفي ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ المذكورة هاهنا **ثلاثة أقوالٍ**:

أحدها: أنَّها أرض الجنَّة، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أرضُ الدُّنيا، وهو منقولٌ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: الأرضُ المقدَّسةُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

وفي قوله تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ **ثلاثةُ أقوالٍ**:

أحدها: أنَّهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، رواه ابنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وفي روايةٍ: ترث أمَّة محمَّد أرض الدُّنيا بالفتوح.

والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: أنَّه عامٌّ في كلِّ صالحٍ، قاله بعضُ فقهاءِ المفسِّرينَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ أي: لكفاية؛ والمعنى: أنَّ مَن اتَّبع القرآن وعمل بِهِ، كان القرآنُ بلاغه إلى الجنَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾.

قال كعبٌ: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ الذين يصلُّون الصَّلوات الخمس ويصومون شهر رمضان[1].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٨).

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: هذا عامٌّ للبرِّ والفاجرِ، فمن آمن به تمّت له الرَّحمةُ في الدُّنيا والآخرة، ومَن كفر به صُرفت عنه العقوبةُ إلى الموتِ والقيامة(١).

[٥٦٠/أ] وقال ابنُ زيدٍ: هو رحمةٌ لمن آمن به خاصَّة(٢).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: فهل أنتم مخلصون له العبادة؟

قال أهل المعاني: هذا استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا ولم يؤمنوا ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ في معنى الكلامِ قولان:

أحدهما: نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استوينا في العلمِ بذلك، وهذا من الكلامِ المختصر، قاله ابنُ قتيبةَ(٣).

والثاني: أعلمتكم بالوحي إليَّ لتستووا في الإيمانِ به، قاله الزَّجَّاجُ(٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠) من طريق سعيد بن جبير، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠ـ ٤٤١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٨).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ أي: وما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ بنزولِ العذابِ بكم.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ وهو ما يقولونه للنَّبي ﷺ: متى هذا الوعد؟ و﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارهم أنَّ العذابَ لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ في هاءِ ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع إلى ما آذنهم به، قاله الزَّجَّاجُ[١].

والثَّاني: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعلَّ تأخير العذابِ عنكم فتنة، قاله ابنُ جريرٍ[٢]، وأبو سليمان الدِّمشقيُّ.

ومعنى الفتنة هاهنا: الاختبار، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تستمتعون إلى انقضاءِ آجالكم.

﴿قَٰلَ رَبِّ﴾ وروى حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾[٣]، ﴿ٱحْكُم﴾ قرأ أبو جعفرٍ: «ربُّ احْكُمْ» بضمِّ الباءِ[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٨).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٤٢).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والتيسير (ص: ١٥٤).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي جعفر المدني، ورواية عن ابن كثير.

وروى زيدٌ، عن يعقوبَ: «ربيَ» بفتح الياءِ «أَحْكَمُ» بقطعِ الهمزةِ وفتح الكافِ ورفع الميمِ[١].

ومعنى ﴿ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بعذاب كفَّارِ قومي الذي نزوله حقٌّ، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدرٍ وفيما بعده من الأيَّام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق.

ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: من كذبكم وباطلكم.

وقرأ ابنُ عامرٍ، والمفضَّل عن عاصمٍ: «يَصِفُونَ» بالياءِ[٢].

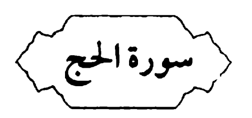
فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم بغيرِ الحقِّ؟

فالجواب: أنَّ المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنَّه استعجل النَّصر عليهم.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي جعفر «أَحْكَمُ بالحَقِّ»، وانظر: التحصيل (٤/ ٤٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٢).



سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ② وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ③ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ④﴾[الحج: ١-٤].

فصل في نزولها

روى أبو صالح، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّها مكيَّةٌ كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[الحج: ١٢، ١٣]، والتي تليها.

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عبَّاسٍ أنَّها مدنية إلَّا أربع آيات نزلت بمكَّةَ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخرِ الأربع[1].

وقال عطاءُ بنُ يسارٍ: نزلت بمكَّةَ إلَّا ثلاث آياتٍ منها نزلت بالمدينةِ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ واللَّتان بعدها [الحج: ٢٠-٢٢][2].

وقال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: أوَّلها مدنيٌّ الى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧] وسائرها مكيٌّ.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١).

وقال الثَّعلبيُّ: هي مكِّيَّةٌ غير ست آياتٍ نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٠،٢٥](١).

وقال هبةُ الله بنُ سلامة: هي من أعاجيب سورِ القرآنِ، لأنَّ فيها مكيًّا، ومدنيًّا، وحضريًّا، وسفريًّا، وحربيًّا، وسلميًّا، وليْليًّا، ونهاريًّا، وناسخًا، ومنسوخًا.

فأمَّا المكيُّ: فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها.

وأمَّا المدنيُّ: فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين.

وأمَّا الليليُّ: فمن أوَّلها إلى آخر خمس آياتٍ.

وأمَّا النهاريُّ: فمن رأس خمس آياتٍ إلى رأس تسعٍ.

[٥٦٠/ب] وأمَّا السفريُّ: فمن رأس تسعٍ إلى اثنتي عشرة.

وأمَّا الحضريُّ: فإلى رأس العشرين منها، نسب إلى المدينةِ، لقرب مدَّته.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: احذروا عقابه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة.

وفي وقت هذه الزلزلة قولان:

أحدهما: أنَّها يوم القيامة بعد النُّشورِ.

روى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَاكَ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ يُنَادَى

(١) الكشف والبيان (٧/ ٥).

آدَمُ، فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثًا إِلَى النَّارِ..» فذكر الحديث[١].

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِآدَمَ: قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الْمَوْلُودُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**»، وقرأ الآيةَ[٢].

وقال ابنُ عبَّاسٍ ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾: قِيَامُهَا[٣]، يعني: أنَّها تقارب قيام السَّاعة، وتكون معها.

وقال الحسنُ[٤]، والسُّدِّيُّ: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة.

والثاني: أنَّها تكون في الدُّنيا قبل القيامةِ، وهي من أشراطِ السَّاعة، قاله علقمةُ، والشَّعبيُّ، وابنُ جريجٍ.

وروى أَبُو الْعَالِيَةِ، عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بَيْنَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ، إِذْ ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَنَاثَرَتِ النُّجُومُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَتَحَرَّكَتْ، وَاضْطَرَبَتْ، وَاحْتَرَقَتْ، وَفَزِعَتِ الْجِنُّ إِلَى الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَالْوَحْشُ، وَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ،

(١) رواه الحميدي في مسنده (٨٣١)، وأحمد (٤/ ٤٣٢)، والترمذي (٣١٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٧٧).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٢)، وعبد بن حميد (٩١٧)، والبخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) أورده البغوي في تفسيره (٣/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٠) مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

فقَالَتِ الجِنُّ لِلْإِنْسِ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالخَبَرِ؛ قَالَ: فَانْطَلَقُوا إِلَى الْبِحَارِ، فَإِذَا هِيَ نَارٌ تَأَجَّجُ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَالسَّماء إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرِّيحُ فَمَاتُوا[(١)].

وقال مقاتلٌ: هذه الزَّلزلةُ قبل النَّفخةِ الأولى، وذلك أنَّ مناديًا ينادي من السَّماء: يا أيُّها النَّاس أتى أمر الله، فيفزعون فزعًا شديدًا فيشيب الصَّغير، وتضع الحوامل[(٢)].

قوله تعالى: ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يوصفُ لعظمِهِ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزَّلزلة.

﴿تَذْهَلُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تسلو عن ولدها، وتتركه، قاله ابنُ قُتيبةَ[(٣)].

والثاني: تشغل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحةَ [من الرَّجز][(٤)]:

وَيَذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهْ . . . .

(١) رواه ابن جرير الطبري (٢٤/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم (١٩١٤٣) في تفسيرهما.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٤) في ديوانه (ص: ١٠٢)، وأساس البلاغة (١/ ٣٩)، والعقد الفريد (٤/ ٢٠٥).

وقرأ أبو عمرانَ الجونيُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «تُذْهِلَ» برفع التَّاءِ وكسر الهاءِ، «كلَّ» بنصب اللَّام(١).

قال الأخفشُ: وإنَّما قال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾، لأنَّه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصِّفة فيما نرى، لقال: مُرْضِع(٢).

قال الحسنُ: تذهل المرضعةُ عن ولدها لغير فطامٍ، وتضع الحاملُ ما في بطنها لغير تمامٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الزلزلةَ تكون في الدُّنيا، لأنَّ بعد البعث لا تكون حبلى.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾.

وقرأ عكرمةُ، والضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ، «وتُرى» بضمِّ التاءِ(٣).

ومعنى سكارى: من شدَّة الخوفِ ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشَّراب، والمعنى: ترى النَّاس كأنَّهم سكارى من ذهولِ عقولهم، لشدَّةِ ما يمرُّ بهم، يضطَربون اضطِراب السَّكران من الشَّرابِ. [٥٦١/أ]

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: «سَكْرى وَمَا هُمْ بِسَكْرى»، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ(٤).

---

(١) عن ابن أبي عبلة في المحرر (٤/ ١٠٦)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٨٢) اليماني.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٥٠).

(٣) عن أبي هريرة، وأبي زرعة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، وزاد في التحصيل (٤/ ٤٣٧) الربيع بن أنس، وغيرهم.

(٤) السبعة (ص: ٤٣٤)، والحجة (٥/ ٢٦٦)، والتيسير (ص:١٥٦).

قال الفَرَّاءُ: وهو وجهٌ جيِّدٌ؛ لأنَّه بمنزله الْهَلْكَى والْجَرْحَى(١).

وقرأ عكرمةُ، والضَّحاكُ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «سَكارَى وما هم بسَكارَى» بفتح السِّينِ والرَّاءِ وإثباتِ الألفِ(٢).

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليلٌ على أنَّ سكرهم من خوفِ عذابِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ(٣).

وفيما جادل فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه كان كلَّما نزل شيءٌ من القرآنِ كذَّب به، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه زعمَ أنَّ الملائكةَ بناتُ الله، قاله مقاتلٌ(٤).

والثالث: أنَّه قال: لا يقدر الله على إحياءِ الموتى، ذكره أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: إنَّما يقوله بإغواءِ الشَّيطانِ، لا بعلمٍ ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ ما يسوِّل له ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى المريد في سورةِ النِّساءِ(٥).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٤).

(٢) عن أبي نهيك، وعيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، وفي التحصيل (٤/ ٤٣٧) عن أبي نهيك.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٩) من قول ابن جريج.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٦).

(٥) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١١٧).

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ ﴿كُتِبَ﴾ بمعنى: قضي، والهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾ كنايةٌ عن الشَّيطان، ومعنى الآية: قُضي على الشَّيطان أنَّه يُضل من اتَّبعه.

وقرأ أبو عمرانَ الجونيُّ: «كَتب» بفتح الكافِ «أنَّه» بفتح الهمزة «فإنه» بكسر الهمزةِ.

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو العالية، وابنُ أبي ليلى، والضَّحاكُ، وابنُ يعمرَ: «إنَّه» «فإنَّه» بكسر الهمزةِ فيهما[١].

وقد بيَّنا معنى السعير في سورة النِّساءِ[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾. [الحج: ٥-٧].

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، والتحصيل (٤/ ٤٣٨)، والمحرر (٤/ ١٠٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠).



قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ أي: في شكٍّ من القيامةِ ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ يعني: خلق ولده، والمعنى: إن شككتم في بعثكم فتدبَّروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنَّكم لا تجدون في القُدرةِ فرقًا بين الابتداءِ والإعادةِ.

فأمَّا النُّطفة، فهي المني، والعلقة: دمٌ عبيطٍ جامدٍ. وقيل: سمِّيت علقة لرطوبتها وتعلُّقها بما تمرُّ به، فإذا جفَّت فليست علقةً.

والمضغة: لحمةٌ صغيرةٌ.

قال ابنُ قُتيبةَ: وسمِّيت بذلك، لأنَّها بقدر ما يُمْضَغُ، كما قيل: غُرْفَةٌ، بقدر ما يُغْرَف[1].

قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ فيه ستَّة[2] أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المخلَّقةَ: ما خلق سويًّا، وغير المخلَّقة: ما ألقته الأرحامُ من النطف، وهو دمُ قبل أن يكون خلقًا، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثاني: أنَّ المخلَّقةَ: ما أكمل خلقه بنفخ الرُّوح فيه، وهو الذي يولد حيًّا لتمامٍ، وغير المخلَّقة: ما سقط غير حيٍّ لم يكمل خلقه بنفخ الرُّوح فيه، هذا معنى قول ابنِ عبَّاسٍ.

والثالث: أنَّ المخلَّقةَ: المصوَّرة، وغير المخلَّقة: غير مصوَّرة، قاله الحسنُ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٦).

(٢) هكذا في الأصل، وبقية النسخ، وقد أورد خمسة أقوال فقط.

والرابع: أنَّ المخلَّقةَ وغير المخلَّقة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صوِّر بعضه، وتارة قد صور كله، قاله السُّدِّيُّ.

والخامس: أنَّ المخلَّقةَ: التامة، وغير المخلَّقة: السقط، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ(١).

قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ **فيه أربعة أقوالٍ**:

أحدها: خلقناكم لنبين لكم ما تأتون وما تذرون. [٥٦١/ب]

والثاني: لنبين لكم في القرآن بدو خلقكم، وتنقل أحوالكم.

والثالث: لنبين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقليب أحوال خلقكم.

والرابع: لنبين لكم أنَّ البعث حقٌّ.

وقرأ أبو عمران الجونيُّ، وابنُ أبي عبلةَ: «لِيُبَيِّنَ لَكُمْ» بالياءِ(٢).

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ: «ويُقَرُّ» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح القافِ ورفع الرَّاءِ(٣).

وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو إسحاقَ السَّبيعيُّ: «ويُقِرَّ» بياءٍ مرفوعةٍ وبكسر القافِ ونصب الرَّاءِ(٤).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٥)، وغريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٤٨٥) عن ابن أبي عبلة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن المفضل، عن عاصم.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي زيد النحوي، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٨٥)=



والذي يُقر في الأرحام، هو الذي لا يكون سقطًا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل الولادةِ ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

قال أبو عُبيدةَ: هو في موضع أطفال، والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] أي: ظهراء، وأنشد [من الوافر][(١)]:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ   فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الْإِحَنِ الصُّدُورُ

وأنشد أيضًا:[من الرجز][(٢)]

. . . .   فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شُجِينَا

وقال غيرُه: إنَّما قال: طفلًا فوحَّد، لأنَّ الميمَ في قوله تعالى: ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلَّت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالًا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: ثم نعمركم لتبلغوا أشدكم، وقد سبق معنى الأشد[(٣)]، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ من قبل بلوغ

=عن ابن أبي عبلة.

(١) البيت لعباس بن مرداس السُّلمي في ديوانه (ص: ٥٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٤)، ولسان العرب (١٤/ ٢١)، و المقتضب (٢/ ١٧٤)، وبلا نسبة في الزاهر (١/ ١٠٧)، وخزانة الأدب (٤/ ٤٧٨).

(٢) البيت للمسيب بن زيد بن مناة في المحتسب (٢/ ٨٧)، ومجاز القرآن (١/ ٧٩)، ومعاني القرآن (١/ ٢٤٩)، ولسان العرب (١٤/ ٤٢٣) وصدره: لَا تُنْكِرُوا القَتْلَ وَقد سُبِينَا.

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٣).

الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وقد شرحناه في النحل[١]، ثمَّ إنَّ الله تعالى دلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: أي: مَيِّتةً يابسةً، ومثله: همدت النار: إذا طَفِئت فذهبت[٢].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكت للنَّبات، وذلك أنَّها ترتفع عن النَّبات إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: ارتفعت وزادت.

وقال المبرِّد: أراد: اهتز نباتها وربا، فحذف المضاف[٣].

قال الفرَّاءُ: وقرأ أبو جعفرٍ المدنيُّ: «ورَبأت» بهمزة مفتوحة بعد الباء[٤].

فإن كان ذهب إلى الربيئة الذي يحرس القوم، أي: أنَّه يرتفع، وإلَّا، فهو غلطٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: من كلِّ جنسٍ حسنٍ يُبْهِجُ، أي يَشْرح، وهو فعيلٌ في معنى فاعل[٥].

---

(١) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٧٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢١٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).



قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك كما وصف لكم، والأجود أن يكون موضع ذلك رفعًا، ويجوز أن يكون نصبًا على معنى: فعل الله ذلك بأنَّه هو الحقُّ[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: ولتعلموا أنَّ السَّاعةَ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج: ٨-١٠].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ قد سبق بيانه، وهذا مما نزل في النضر أيضًا، والهدى: البيان والبرهان.

قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ العطف: الجانب. وعطفا الرجل: جانباه عن يمينٍ وشمالٍ، وهو الموضعُ الذي يعطفه الإنسانُ ويلويه عند إعراضه عن المشي.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿ثَانِيَ﴾ منصوبٌ على الحالِ، ومعناه: التنوين، معناه: ثانيًا عطفه[(٢)].

وجاء في التَّفسير: أن معناه: لاويًا عنقه، وهذا يوصفُ به المتكبر، والمعنى: ومن النَّاس من يجادلُ بغير علمٍ متكبرًا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٤).

قولــه تعــالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ أي: ليصــير أمــره إلى الضَّــلال، فكأنَّــه وإن لم يقـدر أنـه يضـل، فـإن أمـره يصـير إلى ذلـك، ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهـو مـا [٥٦٢/أ] أصابـه يـوم بـدرٍ، وذلـك أنَّـه قتـل.

ومـا بعـد هـذا قـد سـبق تفسـيره[١] إلى قولـه تعـالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

وفي سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهمـا: أن ناسًـا مـن العـربِ كان يأتـون رسـول الله ﷺ فيقولـون: نحـن عـلى دينـك، فـان أصابـوا معيشـة، ونتجـت خيلهـم، وولـدت نسـاؤهم الغلـمان، اطمأنُّـوا وقالـوا: هـذا ديـن حـقٍّ، وإن لم يجـر الأمـر عـلى ذلـك قالـوا: هـذا ديـن سـوءٍ، فينقلبـون عـن دينهـم، فنزلـت هـذه الآيـةُ، هـذا معنـى قـول ابـن عبَّـاسٍ[٢]، وبـه قـال الأكثـرون.

والثـاني: أنَّ رجـلًا مـن اليهـود أسـلم فذهب بـصره وماله وولده، فتشـاءم بالإسـلام، فأتـى رسـول الله ﷺ فقـال: أقلنـي، فقـال: «**إن الْإِسْـلَام لَا يُقَـال**». فقـال: لم أصـب فِي دينـي هَـذَا خـيرًا ذهب بَـصرِي وَمَـالِي وَمَـات وَلَـدي، فقال: «**يـا يَهُـودِي الْإِسْـلَامُ يَسْـبِكُ الرِّجَـالَ كَـمَا تَسْـبِكُ النَّـارُ خَبَـثَ الْحَدِيـدِ وَالْفِضَّـة وَالذَّهَـب**»، فنزلـت هـذه الآيـةُ، رواه عطيَّـةُ، عـن أبي سـعيدٍ الخـدريِّ[٣].

---

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٧٠).

(٢) رواه ابـن جريـر الطـبري (١٦/ ٤٧٢)، وابـن أبي حاتـم (١٣٧٩٧) في تفسـيرهما، مـن طريـق عطيـة العـوفي، بـه، بنحـوه.

(٣) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٤) وعطية العوفي ضعيف.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١١-١٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

قال مجاهدٌ، وقتادةُ: على شكٍ.

قال أبو عُبيدةَ: كل شاكٍّ في شيءٍ فهو على حرفٍ، لا يثبت ولا يدوم[١].

وبيان هذا أنَّ القائم على حرفِ الشَّيء غير متمكنٍ منه، فشبَّه به الشَّاك، لأنَّه قلقٌ في دينه على غير ثباتٍ، ويوضِّحه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي: رخاءٌ وعافية ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجدبٍ وقلَّة مالٍ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رجع عن دينه إلى الكفرِ، والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجَّه منه، وهو الكفرُ، ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ حيث لم يظفر بما أراد منها، وخسر الآخرة بارتداده عن الدِّين.

وقرأ أبو رزينٍ العقيليُّ، وأبو مجلزٍ، ومجاهدٌ، وطلحةُ بن مصرف، وابنُ أبي عبلةَ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «خاسرَ الدنيا» بألفٍ قبل السِّين،

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤٦).

وبنصب الرَّاء، «والآخرةِ» بخفض التَّاءِ[١].

﴿يَدْعُوا۟﴾ هذا المرتدُّ، أي: يعبد ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن أطاعه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الحقِّ ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ قال بعضُهم: اللَّام صلةٌ، والمعنى: يدعو من ضره.

وحكى الزَّجَّاجُ عن البصريين والكوفيين أنَّ اللَّام معناها التأخير، والمعنى: يدعو من لضره ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾، قال: وشرح هذا أنَّ اللام لليمين والتَّوكيد، فحقُّها أن تكون أول الكلام، فقدِّمت لتجعل في حقِّها[٢].

قال السُّدِّيُّ: ضرُّه في الآخرة بعبادته إيَّاه أقرب من نفعه[٣].

فإن قيل: فهل للنَّفع من عبادة الصنم وجهٌ؟

فالجواب: أنَّه لا نفع من قبله أصلًا، غير أنَّه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيدٌ.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

قال ابنُ قُتيبةَ: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل[٤].

---

(١) مختصر ابن خالويه (ص:٩٧)، والتحصيل (٤/ ٤٣٨)، والمحرر (٤/ ١١٠) عن حميد بن قيس، ومجاهد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٩١).



قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحج: ١٥-١٧].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾.

قال مُقاتلٌ: نزلت في نفرٍ من أسد، وغطفان، قالوا: إنَّا نخاف أن لا ينصر محمَّدٌ، فيقطع[1] الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود[2]، وإلى نحو هذا [٥٦٢/ب] ذهب أبو حمزةَ الثمالي، والسُّدِّيُّ.

وحكى أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ أنَّ الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأنَّ أرزاقهم ما اتَّسعت، وقد شرحنا القصَّة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[3] [الحج:١١].

وفي هاء﴿يَنصُرَهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع على من، والنصر: بمعنى الرِّزق، هذا معنى قول ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مجاهدٌ.

قال أبو عُبيدةَ: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: من ينصرني

---

(١) في (س): (فينقطع).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (١١).

نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها.

قال الراعي [من الطويل][(١)]:

إِذا أدبَرَ الشهرُ الحرامُ فودِّعي بِلَادَ تَمِيمٍ وَانْصُرِي أَرْضَ عَامِرِ

والثاني: أنَّها ترجعُ إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: من كان يظنُّ أن لن ينصر الله محمَّدًا، رواه التميميُّ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ، وقتادةُ.

قال ابنُ قُتيبةَ: وهذه كنايةٌ عن غير مذكورٍ، وكان قومٌ من المسلمين لشدَّة حنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النَّصر، وآخرون من المشركين، يريدون اتِّباعه، ويخشون أن لا يتم أمره، فقال هذه الآيةُ للفريقين[(٢)].

ثمَّ في معنى هذا النَّصر قولان:

أحدهما: أنَّه الغلبةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، والجمهورُ.

والثاني: أنَّه الرِّزقُ، حكاه أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ **في المراد بالسماء قولان:**

أحدهما: سقفُ بيته، والمعنى: فليشدد حبلًا في سقف بيته، فليختنق به ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الحبل ليموت مختنقًا، هذا قولُ الأكثرين.

---

(١) البيت للراعي في ديوانه (ص: ١٣٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٦)، ولسان العرب (٥/ ٢١١)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٦٠)، وتاج العروس (١٤/ ٢٣٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩١).



ومعنـى الآيـة: ليصـور هـذا الأمـر في نفسِـه لا أنَّـه يفعلُـه، لأنَّـه إذا اختنق لا يمكنـه النَّظـرُ والعلمُ.

والثـاني: أنَّهـا السـماءُ المعروفـةُ، والمعنـى: فليقطـع الوحـي عـن رسـول الله ﷺ إن قـدر، قالـه ابـنُ زيـدٍ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾.

قـرأ أبـو عمـرٍو، وابـنُ عامـرٍ: «ثُـمَّ لِيَقْطَـع» «ثُـمَّ لِيَقْضـوا» [الحـج: ٢٩] بكـسر الـلَّام.

زاد ابـنُ عامـرٍ «ولِيوفـوا» [الحـج: ٢٩] «ولِيطوافـوا» [الحـج: ٢٩] بكـسر الـلام أيضًـا، وكـسر ابـنُ كثـيرٍ لام «ثُـمَّ لِيَقْضـوا» فحسـب.

وقـرأ عاصـمٌ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ: بسـكون هـذه اللامـات، وكذلـك في كلِّ القـرآن إذا كان قبلهـا واو أو فـاء أو ثُـمَّ[١].

قـال الفَـرَّاءُ: مـن سـكَّن فقـد خفَّـف، وكل لام أمـرٍ وصلـت بـواوٍ أو فـاءٍ، فأكثـر كلام العـرب تسـكينها، وقـد كسرهـا بعضهـم[٢].

قال أبو عليٍّ: الأصلُ الكسرُ، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد[٣].

قوله تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾.

---

(١) السبعة (ص: ١٧٧)، والحجة (٥/ ٢٦٩)، والتيسير (ص: ١٥٦).

(٢) تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٣).

(٣) الحجة (٥/ ٢٦٩).

قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: هل تذهبنَّ حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده[١].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدَّم من آيات القرآن و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن، وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنَّة، والآخرين النَّار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج: ١٨].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم، وقد بيَّنا في سورة النَّحل[٢] معنى السُّجود في حقِّ مَن يعقل، ومَن لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: المؤمنين الذين يسجدون [٥٦٣/أ] لله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّهم الكفَّار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلهم، قاله مُقاتلٌ[٣].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٨).



والثاني: أنَّهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثيرٌ من النَّاس أبى السُّجودَ، فحق عليه العذاب، لتركه السُّجودَ، هذا قول الفرَّاءُ[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: من يُشْقِه الله فما له من مسعدٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في خلقه من الكرامةِ والإهانةِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾[الحج: ١٩-٢٢].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّها نزلت في النَّفر الذين تبارزوا للقتالِ يوم بدرٍ، حمزة، وعلي، وعبيد بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذرٍّ[٢].

والثاني: أنَّها نزلت في أهلِ الكتابِ، قالوا للمؤمنين: نحنُ أولى بالله، وأقدم منكم كتابًا، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحنُ أحقُّ بالله، آمنَّا بمحمَّدٍ، وآمنَّا بنبيكم وبما أنزل الله من كتابٍ، وأنتم تعرفون نبينا، ثمَّ كفرتم به حسدًا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ[٣]، وقتادةُ[٤].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩٩)، والبخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩١) من طريق العوفي، به.

(٤) رواه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/ ٢٠).

والثالث: أنَّها في جميع المؤمنين، والكفَّار، وإلى هذا المعنى ذهب الحسنُ، وعطاءٌ، ومجاهدٌ[١].

والرابع: أنَّها نزلت في اختصام الجنَّةِ والنَّارِ، فقالت النَّارُ: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنَّةُ: خلقني الله لرحمته، قاله عكرمةُ[٢].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ﴾.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وابنُ كثيرٍ: «هاذانِّ» بتشديد النُّون[٣].

﴿خَصْمَانِ﴾، فمعناه: جمعان، وليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ ولم يقل: اختصما؛ على أنَّه قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «اختصما»[٤].

وفي خصومتهم ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: في دين ربِّهم، وهذا على القولين الأولين.

والثاني: في البعث، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه اختصامُ مفاخرةٍ، على قول عكرمة.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٣).

(٣) السبعة (ص:٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٧٤).

(٤) لم أقف عليها.

قوله تعالى: ﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ ﴾ أي: سُوِّيت وجعلت لباسًا.

قال ابنُ عبَّاسٍ: قُمُصٌ من نار.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: المرادُ بالنَّار هاهنا: النُّحاس.

فأمَّا الحميمُ فهو الماءُ الحارُّ ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ ﴾.

قال الفَرَّاءُ: يذاب به، يقال: صهرت الشَّحم بالنَّار[1].

قال المفسِّرون: يذابُ بالماءِ الحارِّ ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ ﴾ من شحمٍ أو مِعىً حتَّى يخرجُ من أدبارهم، وتنضجُ الجلودُ فتسَّاقط[2] من حرِّه.

﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ ﴾ قال الضَّحَّاكُ: هي المطارقُ[3].

وقال الحسنُ: إنَّ النَّار ترميهم بلهبها، حتَّى إذا كانوا في أعلاها، ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفًا، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفيرُ لهبها، فلا يستقرُّون ساعة[4].

قال مُقاتلٌ: إذا جاشت جهنَّم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروجَ، فتتلقاهم خزنةُ جهنَّم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوي أحدُهم من تلكِ الضَّربة إلى قعرِها[5].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٢) في (س): (فيتساقط).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨٢٨).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٠).

وقال غيرُه: إذا دفعتهم النَّار، ظنُّوا أنَّها ستقذفهم خارجًا منها، فتعيدهم الزَّبانيةُ بمقامع الحديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج: ٢٣-٢٤].

قوله تعالى: و﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «ولُؤْلُؤٍ» بالخفض. [٥٦٣/ب]

وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ولُؤْلُؤًا» بالنَّصبِ[1].

قال أبو عليٍّ: من خَفَضَ، فالمعنى: يحلُّون أساور من ذهبٍ ومن لؤلؤٍ؛ ومن نصب قال: ويحلون لؤلؤًا[2].

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أي: أرشدوا في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لا إله إلا الله والحمد لله، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

وزاد ابنُ زيدٍ: والله أكبر.

والثاني: القرآنُ، قاله السُّدِّيُّ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٥٦).

(٢) الحجة (٥/ ٢٦٨).

والثالث: الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، حكاه الماورديُّ[(١)].

فأمَّا ﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ فقال ابنُ عبَّاسٍ: هو طريقُ الإسلامِ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[الحج: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعون النَّاس من الدخولِ في الإسلامِ.

قال الزَّجَّاجُ: ولفظ (يصدُّون) لفظ مستقبل عُطف به على لفظ الماضي، لأنَّ معنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الذين هم كافرون، فكأنَّه قال: إنَّ الكافرين والصَّادِّين؛ فأمَّا خبر إنَّ فمحذوفٌ، فيكون المعنى: إنَّ الذين هذه صفتُهم هلكوا[(٣)].

وفي المسجد الحرام قولان:

أحدهما: جميع الحرمِ.

روى سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: كانوا يرون الحرمَ كله مسجدًا[(٤)].

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥).

(٢) أورده في البحر المحيط (٧/ ٤٩٨) بلا نسبة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٠).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٦١).

والثاني: نفس المسجد، حكاه الماورديُّ(١).

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ هذا وقف التَّمام.

وفي معناه قولان:

أحدهما: جعلناه للنَّاس كلهم، لم نخص به بعضهم دون بعضٍ، هذا على أنَّه جميع الحرم.

والثاني: جعلناه قبلةً لصلاتهم، ومنسِكًا لحجِّهم، وهذا على أنَّه نفس المسجد.

وقرأ إبراهيمُ النخعيُّ، وابنُ أبي عبلةَ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿سَوَآءً﴾ بالنَّصب(٢)، فيتوجَّه الوقف على سواءٍ، وقد وقف بعض القرَّاءِ كذلك.

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أبدل العاكف والبادي من النَّاس من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكفِ والبادي سواء(٣).

فأمَّا العاكف: فهو المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهلِهِ، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا خرجوا من الحضرِ إلى الصَّحراءِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «البادي» بالياءِ، غير أنَّ ابنَ كثيرٍ، وقف بياء، وأبو عمرٍو بغير ياءٍ.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥).

(٢) السبعة (ص:٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٧٠)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٧١).

وقـرأ عاصـمٌ، وابـنُ عامـرٍ، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، والمسـيبيُّ عـن نافـعٍ بغـير يـاءٍ في الحالتـين(١).

ثمَّ في معنى الكلام قولان:

أحدهمـا: أنَّ العاكـفَ والبـادي يسـتويان في سـكنى مكَّـةَ والنُّـزول بهـا، فليـس أحدهمـا أحـق بالمنـزل مـن الآخـرِ، غـير أنَّـه لا يخـرج أحـدٌ مـن بيتـه، هـذا قـولُ ابـن عبَّـاسٍ، وسـعيدُ بـنُ جبـيرٍ، وقتـادةُ؛ وإلى نحـو هـذا ذهـب أبـو حنيفـةَ، وأحمـدُ؛ ومذهـبُ هـؤلاء أنَّ كـراء دور مكَّـة وبيعهـا حـرام، هـذا عـلى أنَّ المسـجد: الحـرم كلـه.

والثـاني: أنَّهـما يسـتويان في تفضيلـه وحرمتـه وإقامة المناسـكِ به، هـذا قولُ الحسـنِ، ومجاهـدٍ، ومنهـم من أجـاز بيـع دور مكَّة، وإليـه يذهب الشَّـافعي.

وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجدِ الحرام، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قولــه تعــالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ الإلحــاد في اللُّغــة: العــدول عــن القصــدِ، والبــاء زائــدةٌ، كقولــه تعــالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[المؤمنـون: ٢٠] وأنشــدوا [مــن الطَّويــل](٢):

بِـوَادٍ يَمَـانٍ يُنْبِـتُ السِّـدْرَ صَـدْرُهُ وَأَسْـفَلُهُ بِالْمَـرْخِ وَالشَّـبَهَانِ

(١) السبعة (ص:٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٥)، والتيسير (ص:١٥٨).

(٢) البيـت للأحـول اليشـكري في لسـان العـرب (١٣/ ٥٠٦)، وبـلا نسـبة في لسـان العـرب (٢/ ١٥٨)، وتهذيـب اللغـة (٦/ ٩٣)، وتـاج العـروس (٥/ ٢٧٥)، وجمهـرة للغـة (ص:٨٣)، ومجمـل اللغـة (٣/ ١٩٦).

المعنى: وأسفله ينبت المرخ. [٥٦٤/أ]

وقال آخر [من البسيط](١):

هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

وقال آخر [من الرجز](٢):

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ

هذا قول جمهور اللُّغويين.

وقال ابنُ قُتيبةَ: و«الباء» قد تزاد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١] ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾[مريم: ٢٤] ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾[القلم: ٦] ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة: ١] ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا﴾[الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزاد «مِنْ» كقوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾[الذاريات: ٥٧]، وتزاد «الْلَّام» كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾[الأعراف: ١٥٤]، و«الكاف» كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، «وعن» كقوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾[النور: ٦٣]، و«إِنَّ» كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾[الجمعة: ٨]، و«إِنْ» الخفيفة كقوله تعالى: ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ﴾[الأحقاف: ٢٦]، و«مَا»،

---

(١) في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢١)، ولسان العرب (١/ ١٢٨)، وتاج العروس (١/ ٣٦٣)، وشرح الكتاب (١/ ٤٦١)، وخزانة الأدب (٩/ ١٠٨).

(٢) في تفسير الطبري (١٧/ ٣١)، والإنصاف (١/ ٢٣٠)، وخزانة الأدب (٩/ ٥٢١).

كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[المؤمنون: ٤٠]، و«الواو» كقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[الصافات: ١٠٤-١٠٣] [(١)].

وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الظُّلم، رواه العوفيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: هو عمل سيئةٍ[(٢)]؛ فعلى هذا تدخلُ فيه جميع المعاصي.

وقد روي عن عمرَ بنِ الخطَّاب أنَّه قال: لا تحتكروا الطَّعام بمكَّةَ، فإنَّ احتكار الطَّعام بمكَّةَ إلحادٌ بظلمٍ[(٣)].

والثاني: أنَّه الشِّركُ، رواه ابنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةُ.

والثالث: الشِّركُ والقتلُ، قاله عطاءٌ.

والرابع: أنَّه استحلالُ محظوراتِ الإحرامِ، وهذا المعنى محكيٌّ عن عطاءٍ أيضًا.

والخامس: استحلالُ الحرامِ تعمُّدًا، قاله ابنُ جريجٍ.

فإن قيل: هل يؤاخذ الإنسانُ إن أراد الظُّلمَ بمكَّةَ، ولم يفعله؟

فالجواب من وجهين:

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٠٧) من طريق أبي نجيح،به.

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٥٥)، والفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٣٢).

أحدهما: أنَّه إذا همَّ بذلك في الحرم خاصَّة، عُوقب، هذا مذهبُ ابنِ مسعودٍ، فإنَّه قال: لو أنَّ رجلًا همَّ بخطيئةٍ، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أنَّ رجلًا همَّ بقتلِ مؤمنٍ عند البيتِ، وهو بعدن أبين، أذاقه الله في الدُّنيا من عذابٍ أليمٍ(١).

وقال الضَّحَّاكُ: إنَّ الرَّجلَ ليهم بالخطيئةِ بمكَّةَ وهو بأرضٍ أُخرى، فتكتب عليه ولم يعملها(٢).

وقال مجاهدٌ: تضاعف السِّيئات بمكَّةَ، كما تضاعف الحسنات(٣).

وسئل الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل تكتب السَّيئةً أكثر من [واحدةٍ](٤)؟ قال: لا، إلَّا بمكةَ لتعظيم البلدِ(٥).

وأحمدُ على هذا يرى فضيلةَ المجاورةِ بها؛ وقد جاور جابرُ بنُ عبدِ الله، وكان ابن عمرَ يقيم بها.

---

(١) روي مرفوعًا وموقوفًا، والموقف أصح، رواه أحمد في المسند (٧/ ١٥٥)، والبزار (٢٢٣٦) زوائد، وأبو يعلى (٥٣٨٤)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٠٨) من طريق يزيد بن هارون، عن شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، موقوفًا. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٠) مرفوعًا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٠٨) من طريق محمد بن فضيل، عن أبيه، به.

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره (٧/ ١٧) من طريق ليث بن أبي سليم، به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٩) لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٤) زيادة من (س).

(٥) انظر: مسائل إسحاق بن منصور المعروف بالكوسج (٣٢٥٣).

والثاني: أنَّ معنى: ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾: من يعمل.

قال أبو سليمانَ الدِّمشقيُّ: هذا قولُ سائر من حفظنا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾[الحج: ٢٦-٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: جعلنا.

وقال مُقاتلٌ: دلَّلناه عليه[١].

وقال ثعلبٌ: وإنَّما أدخل اللَّام، على أن ﴿بَوَّأۡنَا﴾ في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردفكم، وقد شرحنا كيفية بناء البيتِ في البقرة[٢].

قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٩).

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ حرَّك هذه الياء، نافعٌ وحفصٌ عن عاصمٍ، وقد شرحنا الآية في البقرة[١].

وفي المراد بالقائمين قولان:

أحدهما: القائمون في الصلاةِ، قاله عطاءٌ، والجمهورُ.

والثاني: المقيمون بمكَّةَ، حكي عن قتادةَ. [٥٦٤/ب]

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال المفسِّرون: لما فرغ إبراهيمُ من بناءِ البيتِ، أمره الله تعالى أن يؤذِّنَ في النَّاسِ بالحجِّ، فقال إبراهيمُ: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن، وعليَّ البلاغ، فعلا على جبلِ أبي قُبيسٍ، وقال: يا أيُّها النَّاسُ: إنَّ ربَّكم قد بنى بيتًا، فحُجُّوه فأسمع من في أصلاب الرِّجال وأرحامِ النِّساءِ ممَّن سبق في علمِ الله أن يحجَّ، فأجابوه: لبيك اللَّهمَّ لبيك[٢].

والأذان بمعنى النِّداء والإعلام، والمأمورُ بهذا الأذان، إبراهيمُ في قولِ الجمهورِ، إلَّا ما روي عن الحسنِ أنَّه قال: المأمورُ به محمَّدٌ ﷺ، والنَّاس هاهنا: اسمٌ يعمُّ جميع بني آدم عند الجمهورِ، إلَّا ما روى العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: عنى بالنَّاس أهل القبلة[٣].

واعلم أنَّ من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكأنَّه قد أتى إبراهيم، لأنَّه أجاب نداءه.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٧/ ١٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥١٧) من طريق عطية العوفي، به.

وواحد الرِّجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاة.

وقد روي أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ حجَّا ماشيين، وحجَّ الحسنُ بنُ عليٍّ خمسًا وعشرين حجَّة ماشيًا من المدينةِ إلى مكَّةَ، والنجائبُ تُقاد معه.

وحجَّ الإمامُ أحمدُ ماشيًا مرَّتين أو ثلاثًا.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبانًا على ضُمرٍ من طولِ السَّفرِ.

قال الفَرَّاءُ: ويأتين فعل للنوق[١].

وقال الزَّجَّاجُ: يأتين على معنى الإبل[٢].

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلةَ، «يأتون» بالواوِ[٣].

قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريقٍ بعيدٍ.

وقد ذكرنا تفسير «الفجِّ» عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾[٤] [الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ أي: ليحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ **وفيها ثلاثة أقوالٍ:**

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٢).

(٣) عن ابن مسعود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، وعنه، وعن ابن عباس، وغيرهما في التحصيل (٤/ ٤٤٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٣١).

أحدها: التِّجارةُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: منافع الآخرةِ، قاله سعيدُ بنُ المسيب، والزَّجَّاجُ في آخرين(١).

والثالث: منافعُ الدَّارين جميعًا، قاله مجاهدٌ، وهو أصحُّ، لأنَّه لا يكون القصدُ للتَّجارة خاصَّة، وإنَّما الأصلُ قصد الحجِّ، والتِّجارة تبعٌ.

وفي الأيَّام المعلومات ستَّةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها أيَّام العشر، رواه مجاهدٌ، عن ابنِ عمرَ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وعطاءٌ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والشَّافعيُّ.

والثاني: تسعةُ أيَّامٍ من العشر، قاله أبو موسى الأشعريُّ.

والثالث: يوم الأضحى وثلاثةُ أيَّامٍ بعده، رواه نافعٌ عن ابنِ عمرَ، ومقسمٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والرابع: أنَّها أيَّامُ التَّشريقِ، رواه العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ الخراسانيُّ، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ.

والخامس: أنَّها خمسةُ أيَّامٍ أوَّلها يوم التَّرويةِ، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والسادس: ثلاثةُ أيَّامٍ، أوَّلها يوم عرفة، قاله مالكُ بنُ أنسٍ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٣).



وقيل: إنَّما قال معلومات، ليحرص على علمها بحسابها من أجلِ وقت الحجِّ في آخرها.

قال الزَّجَّاجُ: والذكر هاهنا يدلُّ على التَّسميةِ على ما ينحر، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[1].

[٥٦٥/أ] قال القاضي أبو يعلى: ويحتملُ أن يكون الذكر المذكورُ هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدَّمِ الواجبِ لأجل التَّمتُّع والقِران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمارِ وتكبير التَّشريقِ، لأنَّ الآيةَ عامَّةٌ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ يعني: الأنعام التي تنحر؛ وهذا أمرُ إباحةٍ.

وكان أهلُ الجاهليَّة لا يستحلُّون أكل ذبائحهم، فأعلم الله ﷻ أنَّ ذلك جائزٌ، غير أنَّ هذا إنَّما يكون في الهدي المتطوع به، فأمَّا دمُ التمتُّع والقِران، فعندنا أنَّه يجوزُ أن يأكل منه.

وقال الشَّافعيُّ: لا يجوزُ، وقد روى عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: من كلِّ الهدي يؤكل، إلَّا ما كان من فداءٍ أو جزاءٍ أو نذرٍ.

فأمَّا «البائس»: فهو ذو البؤس، وهو شدَّةُ الفقرِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٣).

أحدها: حلقُ الرَّأس، وأخذ الشَّارب، ونتف الإبطِ، وحلق العانةِ، وقصِّ الأظفارِ، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاءٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: مناسك الحجِّ، رواه عكرمةُ، عن ابن عبَّاسٍ، وهو قولُ ابن عمرَ.

والثالث: حلقُ الرَّأسِ، قاله مجاهدٌ.

والرابع: الشَّعرُ، والظفرُ، قاله عكرمةُ.

والقولُ الأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّ التفث: الوسخ، والقذارة: من طولِ الشَّعرِ والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذهابُه. والحاج مغبر شعث لم يدهن، ولم يستحد، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامِهِ بالحلقِ، والقَلْمِ، وقصِّ الأظفارِ، ولبسِ الثِّيابِ، ونحو ذلك، فهذا قضاءُ تفثه.

قال الزَّجَّاجُ: وأهل اللُّغةِ لا يعرفون التفث إلَّا من التَّفسير، فكأنَّه الخروج من الإحرامِ إلى الإحلالِ(١).

قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾.

وروى أبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «ولْيوفُّوا» بتسكين اللَّامِ وتشديدِ الفاءِ(٢).

قال ابنُ عبَّاسٍ: هو نحر ما نذروا من البدنِ(٣).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٣).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٥)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.



وقال غيرُه: ما نذروا من أعمالِ البِرِّ في أيَّام الحجِّ، فإنَّ الإنسانَ ربَّما نذر أن يتصدَّق إن رزقه الله رؤية الكعبةِ، وقد يكون عليه نذور مطلقةٌ، فالأفضلُ أن يؤدِّيها بمكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ هذا هو الطَّوافُ الواجبُ، لأنَّه أمر به بعد الذَّبحِ، والذَّبحُ إنَّما يكون في يوم النَّحرِ، فدلَّ على أنَّه الطَّوافُ المفروضُ.

وفي تسمَّية البيت عتيقًا أربعة أقوالٍ:

أحدها: لأنَّ الله تعالى أعتقه من الجبابرةِ.

روى عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إنَّما سَمَّى اللهُ الْبَيْتَ: العَتِيقَ؛ لأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ**»[1]. وهذا قولُ مجاهدٍ، وقتادةَ.

والثاني: أنَّ معنى العتيق: القديم، قاله الحسنُ، وابنُ زيدٍ.

والثالث: لأنَّه لم يملك قط، قاله مجاهدٌ في روايةٍ، وسفيانُ بنُ عيينةَ.

والرَّابع: لأنَّه أعتق من الغرقِ زمان الطُّوفانِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

وقد تكلَّمنا في هذه السُّورةِ في: ليقضوا، وليوفوا، وليطوفوا.

---

(١) روي مرفوعًا، وموقوفًا. أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٤٠٥)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٢٩)، والطبراني في الكبير (٢٦٢) موقوفًا، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠١)، والترمذي (٣١٧٠)، والبزار في مسنده (٢٢١٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢١) وصححه، والبيهقي في الشعب (٣٧٢١) مرفوعًا.
قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن الزهري، مرسلًا.

قولـه تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾[الحج: ٣٠-٣٣].

قولـه تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمـرُ ذلـك، يعنـي: مـا ذكـر مـن أعـمالِ الحـجِّ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فيجتنـب مـا حـرَّم الله عليـه في الإحـرامِ تعظيـمًا لأمـر الله.

قال اللَّيثُ: الحرمة: ما لا يحِلُّ انتهاكه. [٥٦٥/ ب]

وقال الزَّجَّاجُ: الحرمةُ: ما وجب القيامُ به، وحرم التفريطُ فيه[١].

قولـه تعـالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعنـي: التَّعظيـم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرةِ ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وقـد سـبق بيانُهـا[٢] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمـه، يعنـي بـه: مـا ذكـر في المائـدةِ[٣] مـن المنخنقـة وغيرهـا.

وقيـل: وأحلَّـت لكـم الأنعـام في حـال إحرامكـم، إلَّا مـا يتلى عليكـم في الصيـد، فإنَّـه حـرامٌ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٤).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١).

(٣) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٣).

قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: دعوه جانبًا.

قال الزَّجَّاجُ: و«من» هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرِّجس الذي هو وثن"[١].

وقد شرحنا معنى الرِّجس في المائدةِ[٢].

وفي المراد بقول الزُّور أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: شهادة الزُّورِ، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثاني: الكذب، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الشِّركُ، قاله أبو مالكٍ.

والرَّابع: أنَّه قولُ المشركين في الأنعام: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، قاله الزَّجَّاجُ، قال: وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ منصوبٌ على الحالِ، وتأويله: مسلمين لا ينسبون إلى دينِ غيرِ الإسلامِ. ثمَّ ضربَ الله مثلاً للمشركِ، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿سَحِيقٍ﴾، والسَّحيقُ: البعيد[٣].

واختلفوا في قراءةِ ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾:

فقرأ الجمهورُ: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاءِ من غير تشديدِ الطَّاءِ.

وقرأ نافعٌ: بتشديد الطَّاءِ[٤].

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٩٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٥).

(٤) السبعة (ص: ١٤٨)، والحجة (١/ ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٥٧).

وقرأ أبو المتوكِّلِ، ومعاذٌ القارئ: بفتح التَّاءِ والخاءِ وتشديدِ الطَّاءِ ونصبِ الفاءِ[١].

وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو الجوزاءِ، وأبو عمران الجُونيُّ: بكسرِ التَّاءِ والخاءِ وتشديدِ الطَّاءِ ورفع الفاءِ[٢].

وقرأ الحسنُ والأعمشُ: بفتح التَّاءِ وكسرِ الخاءِ وتشديدِ الطَّاءِ ورفع الفاءِ[٣]، وكلُّهم فتح الطَّاءَ.

وفي المراد بهذا المثل قولان:

أحدهما: أنَّه شبَّه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكِهِ، بالذي يخرُّ من السَّماءِ، قاله قتادةُ.

والثاني: أنَّه شبَّه حال المشركِ في أنَّه لا يملك لنفسِهِ نفعًا ولا دفع ضرٍّ في يومِ القيامةِ، بحال الهاوي من السَّماءِ، حكاه الثَّعلبيُّ[٤].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمرِ ذلك الذي ذكرناه ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ قد شرحنا معنى الشَّعائر في البقرةِ[٥].

---

(١) «فتَخَطَّفَه» في الكامل (١/ ٦٠٤) عن ابن مقسم.

(٢) «فِتِخِطَّفُه» في المحرر (٤/ ١٢٠) عن الحسن.

(٣) «فتَخِطَّفه» عن الحسن، والأعمش، وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧).

(٤) الكشف والبيان (٧/ ٢١).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥٨).

وفي المراد بها هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّها البدنُ. وتعظيمها: استحسانُها، واستسمانها.

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ قبل أن يسمِّيها صاحبها هديًا، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك، لم يكن له من منافعها شيءٌ، روى هذا المعنى مقسمٌ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والضَّحاكُ.

وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: لكم في هذه الهدايا منافعُ بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيءٍ من ذلك أو اضطررتم إلى شربِ ألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ وهو أن تنحر[1].

والثاني: أنَّ الشَّعائرَ: المناسك ومشاهد مكَّة؛ والمعنى: لكم فيها منافع بالتِّجارةِ إلى أجلٍ مسمَّى، وهو الخروجُ من مكَّةَ، رواه أبو رزينٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقيل: لكم فيها منافعُ من الأجرِ والثَّوابِ في قضاءِ المناسك إلى أجلٍ مسمَّى، وهو انقضاءُ أيَّامِ الحجِّ.

[٥٦٦/أ] قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا ﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتنابِ الرِّجس وقول الزُّورِ، وتعظيمِ الشَّعائرِ.

وقال الفَرَّاءُ: فإنَّه يعني الْفَعْلَةَ ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وإنَّما أضاف التَّقوى إلى القلوبِ، لأنَّ حقيقةَ التَّقوى تقوى القلوب[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٤٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢٥).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: حيث يحلُّ نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: عند البيتِ، والمراد به: الحرمُ كلُّه، لأنَّا نعلم أنَّها لا تذبح عند البيتِ، ولا في المسجدِ، هذا على القول الأوَّل؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثمَّ محلُّ النَّاسِ من إحرامهم إلى البيتِ، وهو أن يطوفوا به بعد قضاءِ المناسكِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾.

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وبعضُ أصحابِ أبي عمرٍو بكسرِ السِّينِ.

وقرأ الباقون بفتحها(١).

فمن فتح أرادَ المصدرَ من نسكٍ ينسك، ومن كسرَ أرادَ مكانَ النُّسكِ كالمجلسِ والمطلعِ.

ومعنى الآيةِ: لكلِّ جماعةٍ مؤمنةٍ من الأمم السَّالفةِ جعلنا ذبح القرابين ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾، وإنَّما خصَّ بهيمةَ الأنعامِ، لأنَّها المشروعة في القربِ.

والمرادُ من الآيةِ: أنَّ الذَّبائحَ ليست من خصائصِ هذه الأمَّةِ، وأنَّ التَّسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمةِ.

---

(١) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٧)، والتيسير (ص: ١٥٧).

قولـه تعـالى: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: لا ينبغـي أن تذكـروا عـلى ذبائحكـم سـواه ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: انقـادوا واخضعـوا، وقـد ذكرنـا معنـى الإخبـات في هـود[1]، وكذلـك ألفـاظ الآيـة التـي تـلي هـذه.

قوله تعـالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحـج: ٣٦-٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾.

وقرأ الحسنُ، وابنُ يعمرَ برفع الدَّالِ[2].

قـال الفَـرَّاءُ: بُـدْن وبُـدُن، والتَّخفيـفُ أجـودُ وأكثـرُ، لأنَّ كلَّ جمـع كان واحـده عـلى «فَعَلـة» ثـمَّ ضُـمَّ أوَّل جمعـه، خُفِّـف، مثـل: أَكَمَـة وأُكْـم، وأَجَمَـة وأُجْـم، وخَشَـبَة وخُشْـب[3].

وقـال الزَّجَّـاجُ: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ منصوبـة بفعـلٍ مُضمـرٍ يفسِّـرُه الـذي ظهـر، والمعنـى: وجعلنـا البُـدْنَ، وإن شـئتَ رفعتهـا عـلى الاسـتئنافِ، والنَّصبُ أحسـن ويقـال: بُـدْن وبُـدُن وبَدَنـة، مثـل قولـك: ثُمْـر وثُمُـر وثَمـرة، وإنَّـما

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٢٣).

(٢) «البُدُن» الحسـن، وعيسـى في مختـصر ابـن خالويـه (ص:٩٧)، وفي التحصيـل (٤/ ٤٦٠)، والمحـرر (٤/ ١٢٢) عـن ابـن أبي إسـحاق.

(٣) لغات القرآن (ص: ١٠٠).

سـمِّيت بَدَنَـة، لأنَّهـا تَبْـدُن، أي: تسـمن(١).

وللمفسِّرين في البدن قولان:

أحدهما: أنَّها الإبل والبقر، قاله عطاءٌ.

والثـاني: الإبـل خاصَّـة، حـكاه الزَّجَّـاجُ، وقـال: الأوَّل قـول أكثـر فقهـاء الأمصارِ(٢).

قـال القـاضي أبـو يعلى: البدنة: اسـم يختصُّ بالإبـل في اللُّغـةِ، والبقرة تقوم مقامهـا في الحكـم، لأنَّ النَّبـيَّ ﷺ جعل البدنة عن سـبعة، والبقرة عن سـبعة.

قولـه تعـالى: ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: جعلنـا لكـم فيهـا عبـادة لله، مـن سـوقها إلى البيـت، وتقليدهـا، وإشـعارها، ونحرهـا، والإطعـام منهـا، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وهـو النَّفـعُ في الدُّنيـا والأجـر في الآخـرةِ، ﴿فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: عـلى نحرِهـا، ﴿صَوَآفَّ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ: «صوافن» بالنُّونِ(٣).

وقـرأ الحسـنُ، وأبـو مجلـزٍ، وأبـو العاليـة، والضَّحَّـاكُ، وابـنُ يعمـرَ: «صـوافي» باليـاءِ(٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٢٩).

(٣) عـن ابـن مسـعود في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٩٧)، وفي التحصيـل (٤/ ٤٦٠) ابن مسـعود، وغـيره، وفي المحـرر (٤/ ١٢٢) عـن ابـن عمـر، وابـن عبـاس، وأبي جعفـر، محمـد بـن علي.

(٤) عـن الحسـن، وزيـد بـن أسـلم في مختـصر ابـن خانويـه (ص: ٩٧)، وفي التحصيـل (٤/ ٤٦٠) عـن أبي موسـى الأشـعري، وغـيره، وزاد في المحـرر (٤/ ١٢٢) مجاهـدًا، وشـقيق بن سـلمة،=

قال الزَّجَّاجُ: ﴿صَوَآفَّ﴾ منصوبةٌ على الحالِ، ولكنَّها لا تنوَّن لأنَّها لا تنصرف؛ أي: قد صفت قوائمها، والمعنى: اذكروا اسمَ الله عليها في [٥٦٦/ب] حال نحرها، والبعيرُ ينحرُ قائمًا، وهذا الآية تدلُّ على ذلك. ومَن قرأ: «صوافن» فالصَّافن: التي تقوم على ثلاثٍ، والبعير إذا أرادوا نحره، تعقل إحدى يديه، فهو الصَّافن، والجمع: صوافن. هذا ومَن قرأ: «صوافي» بالياءِ وبالفتح بغير تنوينٍ، فتفسيره: خوالص، أي: خالصة لله لا تشركوا به في التَّسمية على نحرِها أحدًا[1].

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: إذا سقطت إلى الأرضِ، يقال: وجب الحائطُ وجبة، إذا سقطَ. ووجب القلب وجيبًا: إذا تحرَّك من فزعٍ.

واعلم أنَّ نحرَها قيامًا سنة، والمرادُ بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمرُ بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

وقرأ الحسنُ: «والْمُعْترِ» بكسر الرَّاءِ خفيفة[2].

وفيها ستَّة أقوالٍ:

=وسليمان التيمي، والأعرج.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

(٢) عن عمرو بن عبيد، وإسماعيل في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٨)، وفي المحتسب (٢/ ٨٢) عن عمرو بن عبيد، وأبي رجاء، وعن الحسن، وأبي رجاء في التحصيل (٤/ ٤٦٠).

أحدها: أنَّ ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: الذي يسأل، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرَّض ولا يسأل، رواه بكرُ بنُ عبد الله عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، واختاره الفَرَّاءُ(١).

والثاني: أنَّ ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: المتعفِّف، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: السائل، رواه عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبه قال قتادةُ، والنَّخعيُّ، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أنَّ ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرَّض لك ويلم بك ولا يسألُ، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: جارك الذي يقنع بما أعطيته، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرَّض ولا يسأل، وهذا مذهبُ القُرظيُّ(٢).

فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي، ومن قال: هو المتعفِّف، قال: هو القانعُ بما عنده.

والرابع: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: أهل مكَّةَ، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعترُّ بهم من غير أهلِ مكَّةَ، رواه خصيفٌ، عن مجاهدٍ.

والخامس: ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: الجارُ وإن كان غنيًّا، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعتر بك، رواه ليثٌ، عن مجاهدٍ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦٣) من طريق ليث بن أبي سليم.

والسادس: ﴿ٱلۡقَانِعَ﴾: المسكينُ السائلُ، ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾: الصَّديقُ الزَّائرُ، قاله زيدُ بن أسلم.

قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: إذا سأل، قَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعْتَرَّني واعْتَرَانِي وعَرَّني[1].

وقال الزَّجَّاجُ: مذهبُ أهل اللُّغة أنَّ ﴿ٱلۡقَانِعَ﴾: السَّائل، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: إذا سأل، فهو قانعٌ.

قال الشماخ [من الوافر][2]:

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ

أي: من السُّؤال؛ ويقال: وقنِعَ قناعةً: إذا رضي، فهو قَنِعٌ، ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ والمعتري واحدٌ[3].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ نعمة منَّا عليكم لتتمكَّنوا من نحرها على الوجه المسنونِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا.

قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٣).

(٢) في ديوانه (ص: ٢٢١)، ولسان العرب (٨/ ٢٣١)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٥٩)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٤٢)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

وقرأ عاصمٌ الجَحْدريُّ، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلةَ، ويعقوبُ: «لَن تَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا» بالتَّاء، «ولكن تَنَالُهُ التَّقوى» بالتَّاء أيضًا[1].

سببُ نزولها: أنَّ المشركينَ كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبةَ بالدِّماءِ ينضحون بها نحو الكعبةِ، فأراد المسلمونَ أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ[2].

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: لن ينفع اللهَ لحومُها ولا دماؤها[3]، وإنَّما يُرفع إليه التَّقوى؛ وهو ما أريد به وجهه منكم. [٥٦٧/أ]

فمن قرأ: «تَنَالُهُ التَّقْوَى» بالتَّاءِ، فإنَّه أنَّثَ للفظِ التَّقوى، ومَن قرأ: ﴿يَنَالُهُ﴾ بالياءِ، فلأنَّ التَّقوى والتقى واحدٌ.

والإشارةُ بهذه الآيةِ إلى أنَّه لا يقبل اللُّحوم والدِّماء إذا لم تكن صادرةٌ عن تقوى الله، وإنَّما يتقبَّلُ ما يتَّقونه به، وهذا تنبيهٌ على امتناعِ قبولِ الأعمالِ إذا عريت عن نيَّةٍ صحيحةٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبق تفسيرُه[4]، ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: على ما بين لكم وأرشدكم إلى معالمِ دينهِ ومناسكِ حجِّهِ، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) عن يحيى بن يعمر، والجحدري في مختصر ابن خالويه (ص:٩٨)، وعن الزهري، وسلام، ويعقوب، في التحصيل (٤/ ٤٦٠).

(٢) رواه ابن المنذر، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٦/ ٥٥).

(٣) في (س): (لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها).

(٤) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٣٧).



قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني: الموحِّدين[(١)].

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج: ٣٨-٤١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألفٍ، وهذا على مصدر دفع.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ بألف ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ بغير ألفٍ[(٢)]، وهذا على مصدر دافع، والمعنى: يدفعُ عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهليَّة فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإنَّ الله يدفع عن حزبهِ[(٣)].

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

(٢) السبعة (ص:٤٣٧)، والحجة (٥/ ٢٧٨)، والمبسوط (١/ ٣٠٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٩).

و«الخـوَّان» فعَّـال مـن الخيانـةِ، والمعنـى: أنَّ مـن ذكـر غـير اسـمِ الله، وتقـرَّب إلى الأصنـام بذبيحتـه، فهـو خـوَّانٌ.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «أَذِنَ» بفتح الألفِ.

وقـرأ نافـعٌ، وأبـو عمـرٍو، وأبـو بكـرٍ، وحفـصٌ عـن عاصـمٌ: ﴿أُذِنَ﴾ بضمِّهـا(١).

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾.

قـرأ ابـنُ كثـيرٍ، وأبـو عمـرٍو، وحمـزةُ، والكسـائيُّ، وأبـو بكـرٍ عـن عاصمٍ بكـسر التَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بفتحها(٢).

قـال ابـنُ عبَّـاسٍ: كان مشركـو أهـل مكَّـةَ يـؤذون أصحـابَ رسـولِ الله ﷺ فيقـول لهـم: «اصْـبِرُوا، فَـإِنِّي لَمْ أُومَـرْ بِالْقِتَـالِ»، حتَّـى هاجـرَ رسـولُ الله ﷺ، فأنـزلَ الله هـذه الآيـة، وهـي أوَّلُ آيـةٍ أنزلـت في القتـالِ(٣).

---

(١)) السبعة (ص:٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٣٠٧).

(٢)) السبعة (ص: ٤٣٧).

(٣)) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).



وقال مجاهدٌ: هم ناسٌ خرجوا من مكَّة مهاجرين، فأدركتهم[١] كفَّار قريشٍ، فأذن لهم في قتالهم[٢].

قال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أن يقاتلوا[٣].

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب ما ظُلموا، ثمَّ وعدهم النَّصر بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ولا يجوز أن يُقرأ بفتح «إنَّ» هذه من غيرِ خلافٍ بين أهل اللُّغةِ، لأنَّ «إنَّ» إذا كانت معها اللَّام، لم تفتح أبدًا.

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ معناه: أخرجوا لتوحيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قد فسَّرناه في البقرةِ[٤].

قوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٍ: «لَهُدِمَتْ» خفيفة، والباقون بتشديد الدَّالِ[٥].

فأمَّا الصَّوامع، ففيها قولان:

أحدهما: أنَّها صوامع الرُّهبانِ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وأبو العاليةِ، ومجاهدٌ، وابنُ زيدٍ.

---

(١) في (س): (فأدركهم).

(٢) في تفسيره (١/ ٤٨٢)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٧٥) من طريق ابن أبي نجيح، بنحوه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٠).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥).

(٥) السبعة (ص:٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٧٩)، والتيسير (ص: ١٥٧).

والثاني: أنَّها صوامع الصَّابئين، قاله قتادةُ، وابنُ قُتيبةَ[١].

فأمَّا البِيَع، فهي جمع بِيعة، وهي بِيَع النَّصارى.

وفي المرادِ بالصَّلوات قولان: [٥٦٧/ب]

أحدهما: مواضعُ الصَّلواتِ.

ثمَّ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها كنائسُ اليهودِ، قاله قتادةُ، والضَّحَّاكُ.

قال الشَّيخُ: وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغوي، قال: قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ هي كنائسُ اليهودِ، وهي بالعبرانيَّة صَلُوتَا[٢].

والثاني: مساجدُ الصَّابئين، قاله أبو العاليةِ.

والقول الثاني: أنَّها الصَّلواتُ حقيقة، والمعنى: لولا دفعُ الله عن المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصَّلواتُ في المساجدِ، قاله ابنُ زيدٍ.

فأمَّا المساجدُ، فقال ابنُ عبَّاسٍ: هي مساجد المسلمين[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: لولا دفع بعض النَّاس ببعضٍ لهدِّمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصَّوامع والبيع، وفي زمنِ محمَّدٍ المساجد[٤].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٣).

(٢) المعرب (ص: ٤١٩).

(٣) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٦/ ٥٩) بلفظ: «الصوامع الَّتِي تكون فِيهَا الرهبان، وَالْبيع مَسَاجِد الْيَهُود، وصلوات كنائس النَّصَارَى، والمساجد مَسَاجِد الْمُسلمين».

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣١).

وفي قوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الكنايةَ ترجع إلى جميع الأماكن المذكورات، قاله الضَّحاكُ.

والثاني: إلى المساجدِ خاصَّة، لأنَّ جميعَ المواضعِ المذكورةِ، الغالب فيها الشِّركُ، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَن ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هذه صفة ناصريه[1].

قال المفسِّرون: التمكين في الأرضِ: نصرتهم على عدوِّهم، والمعروفُ: لا إله إلا الله، والمنكر: الشِّرك.

قال الأكثرون: وهؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ.

وقال القرظيُّ: هم الولاة[2].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إليه مرجعها، لأنَّ كلَّ ملكٍ يبطل سوى ملكه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٦٠).

﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾[الحج: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي: بالعذابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

أثبت الياء في «نكير» يعقوبُ في الحالين، ووافقه ورشٌ في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التَّكذيبِ بالإهلاكِ؟ والمعنى: أنِّي أنكرت عليهم أبلغ إنكارٍ، وهذا استفهامٌ معناه التَّقريرُ.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾.

قرأ أبو عمرٍو: «أهلكتها» بالتَّاءِ، والباقون: «أَهْلَكْنَاهَا» بالنُّونِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: ﴿وَبِئْرٍ﴾ مهموزٌ.

وروى ورشٌ عن نافعٍ بغير همزٍ[2]، والمعنى: وكم بئرٍ معطَّلةٍ، أي: متروكةٍ.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مجصَّصٌ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ.

قال الزَّجَّاجُ: أصلُ الشِّيد الجصُّ والنُّورة، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مَشِيدٌ[3].

---

(١) السبعة (ص:٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٨١)، والمبسوط (١/ ٣٠٨).

(٢) السبعة (ص:٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٨٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٢).

والثاني: طويلٌ، قاله الضَّحاكُ، ومقاتلٌ[(١)].

وفي الكلامِ إضمارٌ، تقديرُه: وقصرٌ مشيدٌ معطَّلٌ أيضًا ليس فيه ساكنٌ.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٦-٤٨].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ قال المفسرون: أفلم يسر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا نظروا آثار من هلك ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم المكذبة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾.

قال الفرَّاءُ: الهاء في قوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾ عمادٌ، والمعنى: أنَّ أبصارهم لم تعم، وإنَّما عميت قلوبُهم[(٢)].

فأمَّا قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فهو توكيدٌ، لأنَّ القلبَ لا يكون إلَّا في الصَّدرِ، ومثله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

[٥٦٨/أ] قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣١).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢٨).

قال مُقاتلٌ: نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ القرشيِّ[1].

وقال غيرُه: هو قولهم له: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الملك ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في إنزالِ العذابِ بهم في الدُّنيا، فأنزله بهم يوم بدرٍ، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: من أيَّامِ الآخرةِ ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيَّام الدُّنيا.

قرأ عاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «يَعُدُّونَ» بالياءِ[2].

فإن قيل: كيف انصرفَ الكلامُ من ذكرِ العذابِ إلى قولِهِ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾؟ فعنه جوابانِ:

أحدهما: أنَّهم استعجلوا العذابَ في الدُّنيا، فقيل لهم: لن يخلفَ الله وعده في إنزالِ العذابِ بكم في الدُّنيا، وإنَّ يومًا من أيَّامِ عذابكم في الآخرةِ كألفِ سنةٍ من سني الدُّنيا، فكيف تستعجلون بالعذابِ؟ فقد تضمَّنت الآيةُ وعدهم بعذابِ الدُّنيا والآخرةِ، هذا قول الفَرَّاءِ[3].

والثاني: وإنَّ يومًا عند الله وألف سنةٍ سواء في قدرتِهِ على عذابهم، فلا فرقَ بين وقوعِ ما يستعجلونَهُ وبين تأخيره في القُدرةِ، إلَّا أنَّ الله تفضَّل عليهم بالإمهالِ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ[4].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣١).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٢)، والمبسوط (١/ ٣٠٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٣).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾[الحج: ٤٩-٥١].

قوله تعالى: ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ يعني به الرِّزق الحسن في الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾.

قرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: «معجزين» بغير ألفٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ بألفٍ[1][2].

قال الزَّجاجُ: ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ أي: ظانِّين أنَّهم يعجزوننا، لأنَّهم ظنُّوا أنَّهم لا يبعثون، وأنَّه لا جنَّة ولا نار، قال: وقيل في التَّفسير: معاجزين: معاندين[3]، وليس هو بخارجٍ عن القول الأوَّلِ؛ ومعجزين تأويلها: أنَّهم كانوا يعجزون من اتَّبع النَّبيَّ ﷺ ويثبطُّونهم عنه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ

---

(١) هكذا في الأصل، وجميع النسخ، وهو سبق قلم من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، والعكس هو الصواب؛ فقد قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بألف، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بغير ألف.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٢ـ ٢٨٣)، والتيسير (ص: ١٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٣).

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[الحج: ٥٢-٥٥].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ الآيةَ.

قال المفسِّرون: سببُ نزولها: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما نزلت عليه سورة النَّجمِ قرأها حتَّى بلغ قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[النجم ١٩، ٢٠] فألقى الشَّيطانُ: تلك الغرانيق العُلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى؛ فلمَّا سمعت قريشٌ بذلك فرحوا، فأتاه جبريلُ، فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على النَّاسِ ما لم آتك به عن الله، فحزن رسولُ الله ﷺ حزنًا شديدًا[1]، فنزلت هذه الآيةُ تطييبًا لقلبِهِ، وإعلامًا له أنَّ الأنبياءَ قد جرى لهم مثل هذا.

قال العلماءُ المحقِّقونَ: وهذا لا يصحُّ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ معصومٌ عن مثلِ هذا، ولو صحَّ، كان المعنى أنَّ بعضَ شياطينِ الإنسِ قال تلكَ الكلمات، فإنَّهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ [فصلت ٢٦].

---

(١) هذه القصة لا تصح، وقد جمع طرقها وبين ضعفها العلامة الألباني في نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

قال: وفي معنى «تمنى» **قولان**:

أحدهما: تلا، قاله الأكثرون، وأنشدوا [من الطَّويل][(١)]:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهَا لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وقال آخرُ [من الطَّويل][(٢)]:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ آخِرَ لَيْلَةٍ تَمَنِّيَ دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ

والثاني: أنَّه من الأمنيةِ، وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ تمنَّى يومًا أن لا [٥٦٨/ب] يأتيه من الله شيءٌ ينفر عنه به قومه، فألقى الشَّيطانُ على لسانِهِ لِمَا كان قد تمنَّاه، قاله محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يبطلُه ويذهبه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

قال مُقاتلٌ: يحكمها من الباطلِ[(٤)].

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ اللَّام متعلِّقةٌ بقوله: ألقى الشَّيطانُ، والفتنةُ هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشكُّ والنِّفاقُ.

---

(١) لحسان بن ثابت في تفسير ابن حيان (٧/ ٥٢٧)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الزاهر (٢/ ١٥٠)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٧٧)، والعين (٨/ ٣٩٠).

(٢) بلا نسبة في الزاهر (٢/ ١٥١)، والمحكم والمحيط (١٠/ ٥١١)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٦٠٣).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٣).

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجافية عن الإيمانِ.

ثم أعلمه أنَّهم ظالمون وأنَّهم في شقاقٍ دائمٍ، والشِّقاقُ: غاية العدواةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو التَّوحيدُ والقرآن، وهم المؤمنون.

وقال السُّدِّيُّ: التَّصديقُ بنسخِ الله.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى نسخِ ما يلقي الشَّيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أنَّ نسخَ ذلك وإبطاله حقٌّ من الله ﴿فَيُؤْمِنُواْ﴾ بالنسخ ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذلُّ، ثم بيَّن بباقي الآيةِ أنَّ هذا الإيمان والإخبات إنَّما هو بلطفِ الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شكٍّ.

وفي هاء «منه» أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ترجعُ إلى قوله: تلك الغرانيق العلى.

والثاني: أنَّها ترجع إلى سجودِهِ في سورة النَّجم، والقولان عن سعيد بنِ جبيرٍ، فيكون المعنى: إنَّهم يقولون: ما باله ذكر آلهتنا ثمَّ رجع عن ذكرها؟

والثالث: أنَّها ترجعُ إلى القرآنِ، قاله ابنُ جريجٍ.

والرابع: أنَّها ترجعُ إلى الدين، حكاه الثَّعلبيُّ[1].

---

(١) الكشف والبيان (٧/ ٣١).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وفيها قولان:

أحدهما: القيامةُ تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسنُ.

والثاني: ساعةُ موتهم، ذكره الواحديُّ(١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه يومُ بدرٍ، روي عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: أنَّه يومُ القيامةِ، قاله عكرمةُ، والضَّحَّاكُ.

وأصل العقمِ في الولادةِ، يقال: امرأةٌ عقيمٌ لا تلدُ، ورجلٌ عقيمٌ لا يولد له، وأنشدوا [من الكامل](٢):

عُقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

وسمِّيتُ الرِّيحُ العقيم بهذا الاسمِ، لأنَّها لا تأتي بالسَّحابِ الممطرِ، فقيل لهذا اليوم: عقيمٌ، لأنَّه لم يأتِ بخيرٍ، فعلى قول من قال: هو يومُ بدرٍ، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه لم يكن فيه للكفَّارِ بركةٌ ولا خيرٌ، قاله الضَّحَّاكُ.

والثاني: لأنَّهم لم يُنظروا فيه إلى اللَّيلِ، بل قتلوا قبل المساءِ، قاله ابنُ جريجٍ.

---

(١) الوسيط (٣/ ٢٧٧).

(٢) في لسان العرب (١٢/ ٤١٢) عن أبي دهبل المخزومي، وقيل للحَزِين الليثي، وفي عيون الأخبار (١/ ٣٩٢)، وديوان المعاني (١/ ١٣٩)، عن أبي دهبل، وبلا نسبة في الدر الفريد (٧/ ٢٢١).

والثالث: لأنَّه لا مثل له في عظمِ أمرِه، لقتالِ الملائكةِ فيه، قاله يحيى بنُ سلامٍ.

وعلى قول مَن قال: هو يومُ القيامةِ، في تسميته بذلك **قولان**:

أحدهما: لأنَّه لا ليلة له، قاله عكرمةُ.

والثاني: لأنَّه لا يأتي المشركين بخيرٍ ولا فرجٍ، ذكرهُ بعضُ المفسِّرينَ.

قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾[الحج: ٥٦-٥٩].

قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يومُ القيامةِ ﴿لِّلَّهِ﴾ من غيرِ منازعٍ ولا مدعٍ ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: بين المسلمينَ والمشركينَ؛ وحكمُهُ بينهم بما ذكرهُ في تمامِ الآيةِ وما بعدها. [٥٦٩/أ]

ثمَّ ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: من مكَّةَ إلى المدينةِ.

وفي الرِّزقِ الحسن قولان:

أحدهما: أنَّه الحلالُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: رزقُ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾.

قرأ ابنُ عامرٍ: «قُتِّلُوا» بالتَّشديدِ[1].

قوله تعالى: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾.

وقرأ نافعٌ: بفتح الميمِ[2].

﴿يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾ يعني: الجنَّة، والمدخل يجوزُ أن يكون مصدرًا، فيكونُ المعنى: ليدخلنَّهم إدخالًا يكرمون به فيرضونه؛ ويجوزُ أن يكون بمعنى المكان.

و«مَدْخَلًا» بفتحِ الميم على تقدير: فيدخلون مَدْخَلًا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيَّاتهم ﴿حَلِيمٞ﴾ عنهم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٦٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٠-٦٢].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمرُ ما قصصنا عليكم[3].

---

(١) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٤)، والمبسوط (١/ ٣٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٤)، والتيسير (ص: ٩٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٥).

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ والعقوبةُ: الجزاءُ؛ والأوَّلُ ليس بعقوبةٍ، ولكنَّه سُمِّي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنسِ المكروه، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى ٤٠] لما كانت المجازاة إساءة بالمفعولِ به سمِّيت سيئة، ومثله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]، قاله الحسنُ.

ومعنى الآية: مَن قاتل المشركينَ كما قاتلوه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ أي: ظلم بإخراجِه عن منزلِه.

وزعم مقاتلٌ أنَّ سببَ نزولِ هذه الآيةِ أنَّ مشركي مكَّةَ لقوا المسلمينَ لليلة بقيت من المحرَّمِ، فقاتلوهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشَّهرِ الحرامِ، فأبوا إلَّا القتالَ، فثبت المسلمون، ونصرهم الله على المشركين، ووقع في نفوسِ المسلمين من القتال في الشَّهرِ الحرامِ، فنزلت هذه الآيةُ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عنهم ﴿غَفُورٞ﴾ لقتالهم في الشهرِ الحرامِ[1].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك النَّصرُ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ القادرُ على ما يشاء.

فمن قدرته أنَّه ﴿ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لدعاءِ المؤمنينَ ﴿بَصِيرٞ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتَّقوى، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل من نصرِ المؤمنين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: هو الإله الحقُّ ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٥).



قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالتَّاءِ[1]، والمعنى: وأنَّ ما يعبدونَ ﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[الحج: ٦٣-٦٤].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنَّباتِ.

وحكى الزَّجَّاجُ عن الخليلِ أنَّه قال: معنى الكلام التَّنبيه، كأنَّه قال: أتسمع، أنزل الله من السَّماءِ ماء فكان كذا وكذا[2].

وقال ثعلبٌ: معنى الآية عند الفَرَّاءِ خبر، كأنَّه قال: اعلم أنَّ الله ينزل من السَّماءِ ماء فتصبح، ولو كان استفهامًا والفاء شرطًا لنصبه[3].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراجِ النَّباتِ من الأرضِ رزقًا لعبادِهِ ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخيرِ المطرِ، وقد سبق معنى الغني والحميدِ في البقرةِ[4].

---

(١) السبعة (ص:٤٤٠)، والحجة (٥/ ٢٨٥)، والمبسوط (١/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٧).

قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحـج: ٦٥-٦٦].

قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريـدُ البهائـم التـي تركـب ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: كراهة أن تقع[1].

وقال غيرُه: لئلَّا تقع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيـما سـخَّر لهـم وفيـما حبـس عنهـم مـن [٥٦٩/ ب] وقـوعِ السَّـماءِ عليهـم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعـد أن كنتـم نطفًـا ميِّتـة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عنـد آجالكـم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعـثِ والحسـابِ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعنـي: المـشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعـمِ الله إذ لم يوحـده.

قولـه تعـالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحـج: ٦٧-٧٠].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٧).

قولـه تعـالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قـد سـبق بيانُـه في هـذِهِ السُّـورةِ[1] ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في الذَّبائـحِ، وذلـك أنَّ كفَّـارَ قريـشٍ وخزاعـة خاصمـوا رسـولَ الله ﷺ في أمـرِ الذَّبيحـةِ، فقالـوا: كيـف تأكلـونَ مـا قتلتـم ولا تأكلـونَ مـا قتلـه الله؟ يعنـون: الميتـة.

فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: فلا ينازعنَّك؟

فقـد أجـاب عنـه الزَّجَّـاجُ، فقـال: المـرادُ: النَّهـي لـه عـن منازعتهـم، فالمعنـى: لا تنازعنهـم، كـما تقـول للرَّجـلِ: لا يخاصمنَّـك فـلانٌ في هـذا أبـدًا، وهـذا جائـزٌ في الفعـلِ الـذي لا يكـون إلَّا مـن اثنـين، لأنَّ المجادلـةَ والمخاصمـةَ لا تتـمُّ إلَّا باثنـين، فـإذا قلـت: لا يجادلنَّـك فـلانٌ، فهـو بمنزلـةِ: لا تجادلنَّـه، ولا يجـوزُ هـذا في قولـك: لا يضربنَّـك فـلانٌ وأنـت تريـد: لا تضربنَّـه، ولكـن لـو قلـت: لا يضاربنَّـك فـلانٌ، لـكان كقولـك: لا تضاربـن، ويـدلُّ عـلى هـذا الجـواب قولـه: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دينِهِ والإيمانِ بِهِ.

و﴿جَٰدَلُوكَ﴾ بمعنـى: خاصمـوك في أمـرِ الذَّبائـحِ، ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مـن التَّكذيـبِ، فهـو يجازيكـم بـِهِ.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يقـضي بينكـم ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مـن الدِّيـن، أي: تذهبـون إلى خـلافِ مـا ذهـبَ إليـه المؤمنـون،

(١) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٣٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٧).

وهـذا أدبٌ حسـنٌ علَّمـه الله عبـاده لـيردوا بـه مـن جـادل عـلى سـبيل التعنُّـت، ولا يجيبـوه، ولا يناظـروه.

فصل

قال أكثرُ المفسِّرين: هذا نزلَ قبل الأمرِ بالقتالِ، ثمَّ نسخَ بآيةِ السَّيفِ.

وقـال بعضُهـم: هـذا نـزلَ في حـقِّ المنافقـين، كانـت تظهـرُ مـن أقوالهـم وأفعالهـم فلتـاتٌ تـدلُّ عـلى شركهـم، ثـمَّ يجادلـون عـلى ذلـك، فـوكَّل أمرَهـم إلى الله تعـالى، فالآيـةُ عـلى هـذا محكمـةٌ.

قولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ هذا اسـتفهامٌ يـرادُ بـه التَّقريـرُ؛ والمعنـى: قـد علمـت، ذلـك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعنـي: مـا يجـري في السَّـمواتِ والأرضِ ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ يعنـي: اللَّـوح المحفـوظ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: علـم الله بجميـعِ ذلـك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سـهلٌ لا يتعـذَّرُ عليـه العلـمُ بِـهِ.

قولــه تعــالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحـج: ٧١-٧٢].

قولـه تعـالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يعنـي: كفَّـار مكَّـة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ أي: حجَّـة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنَّـه إلـهٌ، ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعنـي: المشركـين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مانـع مـن العـذابِ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني: القرآن، والمنكرُ هاهنا بمعنى الإنكارِ، فالمعنى: أثر الإنكارِ من الكراهةِ، وتعبيس الوجوه، معروفٌ عندهم.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي: يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدَّةِ الغيظِ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنفِ والشدَّةِ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بأشدَّ عليكم وأكره إليكم من سماعِ القرآنِ، ثمَّ ذكرَ ذلك فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾ أي: [٥٧٠/أ]
هو النَّارُ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾[الحج: ٧٣-٧٤].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾.

قال الأخفشُ: إن قيل: أين المثل؟ فالجوابُ: أنَّه ليس هاهنا مثل، وإنَّما المعنى: يا أيُّها النَّاسُ ضرب لي مثل، أي: شبِّهت بي الأوثان ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟﴾ لهذا المثلِ[1].

وتأويلُ الآيةِ: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها؛ ثمَّ بين ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤٥٢).

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ، وأبو رزينٍ، وابنُ أبي عبلةَ: «يَدْعُونَ» بالياءِ المفتوحةِ(١).

وقرأ ابنُ السَّمَيفَعِ، وأبو رجاءٍ، وعاصمٌ الجَحْدريُّ: «يُدعَون» بضمِّ الياءِ وفتح العينِ(٢)، يعني: الأصنام، ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ والذُّباب واحدٌ، والجمعُ القليلُ: أذِبَّة، والكثيرُ: الذِّبَّان، مثل: غُراب وأَغْرِبة وغِرْبان، وقيل: إنَّما خصَّ الذُّباب لمهانتِهِ واستقذارِهِ وكثرتِهِ.

﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ﴾ يعني الأصنام ﴿لَهُۥ﴾ أي: لخلقِهِ، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾ يعني: الأصنامُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كانوا يطلون أصنامهم بالزَّعفرانِ فيجفُّ، فيأتي الذُّبابُ فيختلسه(٣).

وقال ابنُ جُريجٍ: كانوا إذا طيَّبوا أصنامَهم عجنوا طيبهم بشيءٍ من الحلواءِ، كالعسلِ ونحوه، فيقعُ عليه الذُّبابُ فيسلبها إيَّاه، فلا تستطيعُ الآلهةُ ولا من عبدَها أن يمنعه ذلك.

وقال السُّدِّيُّ: كانوا يجعلون للآلهة طعامًا، فيقعُ الذُّبابُ عليه فيأكل منه(٤).

---

(١) في البحر المحيط (٧/ ٥٣٧) عن الحسن، ويعقوب، وهارون، والخفاف، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(٢) عن اليماني، وموسى الأسوري في مختصر ابن خالويه (ص:٩٩)، وزاد في التحصيل (٤/ ٤٧٠) عمرو بن فائد.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠).

(٤) انظر: المصدر السابق.

قال ثعلبٌ: وإنَّما قال: ﴿لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ﴾ فجعل أفعالَ الآلهةِ كأفعالِ الآدميين، إذ كانوا يعظِّمونها ويذبحونَ لها وتخاطب، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[النمل: ١٨] لما خاطبهم جعلهم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقد بيَّنا هذا المعنى في الأعرافِ[1] عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الطَّالب: الصَّنم، والمطلوبُ: الذُّباب، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: الطَّالبُ: الذُّباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصَّنم، والمطلوبُ: الصَّنم يطلب الذُّباب منه سلب ما عليه، روي عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا.

والثالث: الطَّالبُ: عابدُ الصَّنمِ يطلبُ التَّقرُّب بعبادتِه، والمطلوبُ: الصَّنم، هذا معنى قول الضَّحَّاك، والسُّدِّي.

قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظموه حقَّ عظمته، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ لا يقهرُ ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يرامُ.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج: ٧٥-٧٦].

---

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٩١).

قولـه تعـالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ كجبريـل وميكائيل وإسرافيـل وملـك المـوت، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ الأنبيـاء المرسـلين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لمقالـةِ العبـادِ ﴿بَصِيرٞ﴾ بمـن يتَّخـذُه رسـولًا.

وزعـم مُقاتـلٌ أنَّ هـذه الآيـة نزلـت حـين قالـوا: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ ﴾[ص: ٨٠](١).

قولــه تعــالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ ﴾ الإشــارةُ إلى الذيــن اصطفاهــم؛ وقــد بيَّنــا معنــى ذلــك في آيــة الكــرسي(٢).

قولــه تعــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[الحـج: ٧٧].

قولــه تعــالى: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ قـال المفسِّرون: المـرادُ: صلُّـوا، لأنَّ الصَّـلاةَ لا تكـون إلَّا بالرُّكـوع والسُّـجودِ، ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: وحِّـدوه [٥٧٠/ ب] ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ يريــد: أبــوابَ المعــروفِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: لكـي تسـعدوا وتبقـوا في الجنَّـةِ.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

فصل

لم يختلف أهلُ العلمِ في السَّجدةِ الأولى من الحجِّ، واختلفوا في هذِهِ السَّجدةِ الأخيرةِ؛ فروي عن عمرَ، وابنِ عمرَ، وعمار، وأبي الدَّرداءِ، وأبي موسى، وابنِ عبَّاسٍ: أنَّهم قالوا: في الحجِّ سجدتان، وقالوا: فضِّلت هذه السُّورة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابُنا، وهو مذهبُ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: في الحجِّ سجدةٌ، وبهذا قال الحسنُ، وسعيدُ بنُ المسيبِ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، وإبراهيمُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وأبو حنيفةَ وأصحابه، ومالكٌ.

ويدلُّ على الأوَّلِ ما روى عقبةُ بنُ عامرٍ، قال: قلت: يا رسول الله أفي الحجِّ سجدتان؟ قال: «**نَعَمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا فَلَا يَقْرَأْهُمَا**»[1].

فصل

واختلف العلماءُ في عدد سجودِ القرآنِ، فروي عن أحمدَ روايتان، إحداهما: أنَّها أربعُ عشرة سجدة، وبه قال الشَّافعيُّ، والثَّانية: أنَّها خمس عشرة، فزاد سجدة ص، وقال أبو حنيفةَ: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخرِ الحجِّ، وأبدل منها سجدة ص.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥١ ـ ١٥٥)، وأبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، والطبراني في الكبير (٨٤٦)، والدار قطني في السنن (١٥٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٣)، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة أجمع أصحاب الحديث على ضعفه وترك الاحتجاج بما ينفرد به.

فصل

وسجود التِّلاوة سنةٌ، وقال أبو حنيفةَ: واجبٌ، ولا يصحُّ سجودُ التِّلاوةِ إلَّا بتكبيرةِ الإحرامِ والسَّلام، خلافًا لأصحابِ أبي حنيفةَ وبعضِ أصحابِ الشَّافعيِّ.

ولا يجزئ الرُّكوعُ عن سجودِ التِّلاوةِ، وقال أبو حنيفةَ: يجزئ.

ولا يسجدُ المستمع إذا لم يسجد التَّالي، نصَّ عليه أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتكره قراءةُ السَّجدةِ في صلاةِ الإخفات، خلافًا للشَّافعيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ **في هذا الجهادِ ثلاثة أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه فعلُ جميع الطَّاعاتِ، هذا قولُ الأكثرين.

والثاني: أنَّه جهادُ الكفَّارِ، قاله الضَّحَّاكُ.

والثالث: أنَّه جهادُ النَّفسِ والهوى، قاله عبدُ الله بنُ المباركِ.

فأمَّا حقُّ الجهادِ، **ففيه ثلاثةُ أقوالٍ:**

أحدها: أنَّه الجدُّ في المجاهدةِ، واستيفاء الإمكانِ فيها.

والثاني: أنَّه إخلاصُ النيَّة لله عَزَّ وَجَلَّ.

والثالث: أنَّه فعلُ ما فيه وفاء لحقِّ الله عَزَّ وَجَلَّ.

فصل

وقد زعم قومٌ أنَّ هذه الآية منسوخةٌ، واختلفوا في ناسخها على قولين:

أحدهما: قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والثاني: قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال آخرون: بل هي محكمةٌ، ويؤكِّده القولان الأوَّلان في تفسير حقِّ الجهادِ، وهو الأصحُّ، لأنَّ الله تعالى لا يكلِّفُ نفسًا إلَّا وُسعها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه.

والحرجُ: الضِّيق، فما من شيءٍ وقع الإنسانُ فيه إلَّا وجد له في الشَّرعِ مخرجًا بتوبةٍ أو كفَّارةٍ أو انتقالٍ إلى رخصةٍ ونحو ذلك.

وروي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: الحرج: ما كان على بني إسرائيل من الإصرِ والشَّدائدِ، وضعه الله عن هذه الأمَّةِ[1].

قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾.

قال الفَرَّاءُ: المعنى: وسَّع عليكم كملَّة أبيكم، فإذا ألقيت الكاف [٥٧١/أ] نصبت، ويجوز النَّصبُ على معنى الأمرِ بها، لأنَّ أوَّل الكلامِ أمرٌ، وهو قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ والزموا ملَّةَ أبيكم[2].

فإن قيل: هذا الخطابُ للمسلمين، وليس إبراهيم أبًا لكلهم.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

فالجواب: أنَّه إن كان خطابًا عامًّا للمسلمين، فهو كالأب لهم، لأنَّ حرمته وحقَّه عليهم كحقِّ الوالدِ، وإن كان خطابًا للعربِ خاصَّة، فإبراهيمُ أبو العربِ قاطبة، هذا قولُ المفسِّرين.

قال الشَّيخُ[1]: والذي يقع لي أنَّ الخطابَ لرسولِ الله ﷺ، لأنَّ إبراهيمَ أبوه، وأمَّةُ رسولِ الله ﷺ داخلةٌ فيما خُوطِبَ به رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **في المشارِ إليه قولان:**

أحدهما: أنَّه الله ﷻ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والجمهورُ؛ فعلى هذا في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ **قولان:**

أحدهما: من قبل إنزالِ القُرآنِ سمَّاكم بهذا في الكتب التي أنزلها.

والثاني: من قبل أي: في أمِّ الكتابِ، وقوله: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: في القرآنِ.

والثاني: أنَّه إبراهيمُ عليه السلام حين قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فالمعنى: من قبلِ هذا الوقتِ، وذلك في زمانِ إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقتِ حين قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾، هذا قولُ ابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكم وسمَّاكم ليكون الرَّسولُ، يعني محمَّدًا ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامةِ أنَّه قد بلَّغكم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في البقرةِ[2] إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾.

---

(١) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابنُ عبَّاسٍ: سلوه أن يعصمكم من كلِّ ما يسخط ويكره[١].

وقال الحسنُ: تمسَّكوا بدينِ الله[٢].

وما بعد هذا مشروحٌ في الأنفالِ[٣].

---

(١) التفسير الوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق.

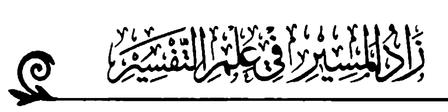
(٣) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٤٠).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة الكهف	



رقم الآية	الصفحة
سورة طه	


زاد المسير في علم التفسير